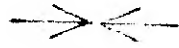


تاريخ الحضارة

تأليف

المسيو شارل سنيو بوس
أحد أساتذة كلية السوربون في باريس



لغريب
محمد كرد علي
مفتي القس

إدارة مطبعة النجاشي بالقاهرة

تاريخ الحضارة

تأليف

المسيو شارل سيموبوس
أحد أستاذة كلمة السوربون في باريس

٥١	دِينِ دَرِزَنْت
٥٨	بِرَنْد
٤٦	اِسْبَرْد
١١٠

→ ←

عرب
محمد كرد علي
مُنشَى - المقتاس

ادارة مطبعة الظاهرية بالقاهرة

جملة للمعرب

بسم الله وبه نقي

هذا هو الجزء الاول من اربع الحصارة لمؤلفه العلامة المسيو مارل سيونوس احد
اسادة كلية الدورون ماريز شرح فيه الحصارة التي اُثرت على كل امة من الامم منذ
عرف التاريخ الى يومنا هذا . وفي هذا الجزء كلام موحى على الشعوب الشرقية القديمة
كالمصريين والمصريين والبابليين والاشوريين والفرس واليهود وكلام مطول على مدنية
اليونان والرومان . صنف المؤلف مئات من الكتب حتى كتب كتابه ثمانية رماية الردد
وتوحي الايجار والسهولة في معظم مصنفه وبلغ في حسن تسيقه وتجويد اسلوبه فرائد
ان اقله من الامرسية الى العربية ليعلم انفعادها وتنت في هذا الشرح كما تنى في العرب
والله اعلم ان ينفع به ومن بالموفيق التعريب احريين الا حريين من الكتاب وهو . في اهداه
القاهرة في ٢٤ شعبان سنة ١٣٢٦ او ٣ شهر سبتمبر ١٩٠٨

البشر والشعوب

علم خصوصيات الشعوب — يعمر الارض ناس قلما يتشابهون ،
يختلفون بالطول وهيئة الاعضاء والرأس وسياء الوجه ولون العيون والشعور
ويتباينون باللغات والذكاء والاحساس . وبهذا النمايز ينقسم سكان المعمور
الى عدة أقوام تدعى أجناساً . فالجنس مجموع ناس يتماثلون ويباينون جنساً
آخر وما يمتاز به جنس عن غيره من العلامات العامة ويسمى طبائع وأخلاقاً
هو الذي يتألف منه مجموع خواصه . فيعرف الجنس الزنجي مثلاً بجلد
أسود، وشعور مجعدة، واسنان بيضاء، وأنف أفطس، وشفاه خدس، وفك
ضخم . ويدعى درس احوال الاجناس وما يتشعب عنها « ايتنوغرافيا »
أي علم خصوصيات الشعوب . وهو علم لم يرتق بعد لحداثة وضعه وما برح
مشوشاً منتشراً لكثرة مجموع خواص البشر وصعوبة التمييز بينها احياناً .

الاجناس — أخص الاجناس الجنس الابيض وهو يسكن أوروبا وشمال إفريقيا
وغربي آسيا . والجنس الاصفر ينزل في آسيا الشرقية ومنه الصينيون والمغول
والبرك والمجر . ومن دخل أوروبا منهم من الفاتحين فبشرته صفراء وعيونه
خرز مقطبة ووجنانه ناشة ولحينه خفيفة . والجنس الاسود يقطن أواسط
إفريقية وهم الممتازون باديم اسود وأنف أفطس ووفرة كالصوف . والجنس
الاحمر يستوطن أميركا ومنهم هنود تلك القارة حمر الاديم سبط الشعور

الشعوب المتحضرة — يُعدُّ أهل الجنس الابيض من المتحضرين
الا قليلا أما سائر الاجناس فقد ظلوا على حاله الهمجية والبربرية كما كان الناس
قبل زمن التاريخ . فامت الشعوب المتمدنة على تخوم قارتي آسيا وإفريقية فقام

المصريون في وادي النيل والكلدان في سهل الفرات . وكلهم أهل فلاح وحرث ألنوا الإقامة وجنحوا للسلم . أديهم مشبع ، وشعرهم قصير أنيث ، وشفاههم مبرطمة ، ولا يعلم على التحقيق من أين منبعثهم . ولم تتفق آراء العلماء على تسميتهم فيدعوهم تارة كوشيين وأخرى ساميين . وقد انسلت من جبال آسيا بين القرن العشرين والخامس والعشرين ق . م عصابات من الرعاة أهل غارة وزمهاء فنة فأنشروا في أطراف أوروبا كافة وفي غرب آسيا . ويقسمهم العلماء الى قسمين آريين وساميين .

الآريون والساميون - ايس بين هذين الجنسيتين من علامة خارجية جليلة فكلاهما من الجنس الأبيض : اهلجية سحناتهم ، متناسبة أعضاؤهم ، صافية جلودهم ، أنينة شعورهم ، أنجل عيونهم ، رقيقة شفاههم ، منتصبه أرنبتهم ، وهم في الاصل رعاة من سكان الجبال يألفون الارتحال والقتال . ساميتهم من أرمينية ، وآريتهم من وراء جبال حملايا ، وهم يمتازون بالعقل واللسان خاصة امتيازهم بالديانة قديماً . وقد وقع الاتفاق على تسمية الشعوب التي تتكلم لغة آرية بالآريين وهم الهنود والدرس في آسيا . والروم والطيان والاسبان والجرمان والسكنداونون والسلافون (الروس والبولونيون والصرب) والسلت (١) في أوروبا . والساميتون هم الشعوب التي تتكلم لغة سامية وهم العرب واليهود والسوربون ومما ينبغي ان يعلم ان بعض الشعوب تتكلم اية آرية او سامية وليست من الآريين والساميين في شيء كما ان الزنجي قد يتكلم الانكليزية وايس فيه عرق من الانكليز . وربما عدنا كثيراً من الاوريين في مصاف الآريين وليست اصولهم في الواقع الامن

جنس غلب عليه الآريون فاقتبس لغاتهم على نحو ما اقتبس الفرس لغة العرب أيام غلبوهم على أمرهم فهذا الاسم الآري والسامي يطلمان اليوم على فريقين من الشعوب وإيسا جنسين حقبقيين . ولا بأس أن يقال بناء على هذا المعنى أن الشعوب المرنقية كانت كلها سامية وآرية فنشأ من الساميين الفينيقيون رجال البحار واليهود رجال الدين والعرب رجال الحرب . فسار فريق من الآريين إلى الهند وازعرف آخر إلى أوربا فنشأت منهم تلك الأمم التي كانت ولا تزال في مقدمة العالم . واقتد امتاز الهنود في القديم بأرائهم العالية الفلسفية أو الدينية واليونان بايجاد الصنائع والعلم والفرس والرومان بتأسيسهم في الشرق والغرب مملكتين عظيمتين من أضخم الممالك التي نشأت في الأيام الحالية

ويبدأ تاريخ الحضارة بالمصريين والكلدانيين حتى إذا كان القرن الخامس والعشرون للميلاد يصير عبارة عن تاريخ الشعوب الآرية والسامية
التاريخ

الاساطير — نقلت أساطير الإواين عن روايات متسلسلة ظالماتحدث الناس بها قبل أن يدونوها لذلك تراها مشوبة بحكايات وخرافات . فتحدث اليونان أن أقدم أبطالهم أبادوا الغيلان وقالوا الجبابرة وكافحوا الآلهة وزعم الرومان أن روماس ربه ذئبة ورفع إلى السماء وقص جماع الشعوب عن طفوليتهم اساطير من هذا القبيل لا ثقة بها عند التمهيص مهما قدم عهدها
التاريخ — يبدأ التاريخ حقيقة لدن وجود اخبار صحيحة دونها اهل ثقة وعلمو سماع . وليس هذا الدور واحداً في الكلام على الأمم كلها فتاريخ مصر يبدأ قبل ثلاثة آلاف سنة ق . م وتاريخ اليونان يكاد لا يتعدى

الثمانمائة سنة ق . م وليس لالمانيا تاريخ يعرف الا في القرن الاول
للميلاد ويعرف تاريخ روسيا منذ القرن الماشر وليس لبعض القبائل المتوحشة
الى اليوم تاريخ في نشأتها

تقسيم التاريخ الكبيرة — يبدأ تاريخ الحضارة باقدم شعب متمدن
وينتهي بايامنا فمعنى القرون الماضية الدور العريق في القدم جداً ومعنى القرون
الحديثة الدور الذي نحن فيه

التاريخ القديم — يبدأ التاريخ القديم بالامم القديمة المعروفة من
المصريين والكلدانيين أي من نحو ثلاثة آلاف سنة ق . م ويم شعوب
الشرق من هنود وفرس وفينيقيين ويهود ويونان ورومان وينتهي حوالى
القرن الخامس ب . م بسقوط المملكة الرومانية

التاريخ الحديث — يبدأ التاريخ الحديث باواخر القرن الخامس عشر
زمان اختراع الطباعة واكتشاف اميركا وبلاد الهندونهمضة العلوم والصنائع
ويلمُ بذكر شعوب الغرب خاصة من اسبان وطلان وفرنسيس والمان
وروس وأميركان .

القرون الوسطى — هي عبارة عن عشرة قرون مضت بين القرون
القديمة والحديثة الا هي قديمة لما اعتور الحضارة القديمة من الاضمحلال ولا
هي حديثة لان التمدن الحديث لم يتكون بعد . وهذا ما يدعى بالجيل المتوسط .
مصادر تاريخ الحضارة القديمة — ليس في الوجود اليوم اشوريون ولا
يونان ولا رومان فقد بادت الشعوب القديمة كافة وما خلوه من العاديات
هي فهرست نستفتيه للبحث عن اديانهم وأخلاقهم وصنائعهم . والعاديات
هي الكتب والرسوم والآثار واللغات . هذه عدتنا في دراسة الحضارة

القديمة وهي تدعى مصادر لانا نستقي منها معلوماتنا . والتاريخ القديم يتفرع من هذه الاصول .

الكتب - وضع القدماء الكتب أيام عرفوا الكتابة فكان لبعضهم مثل الفرس واليهود والهنود كتب مقدسة وخلف الرومان واليونان تواريخ وقصائد وخطباً ومقالات فلسفية . وقلما نجد في الكتب المواد اللازمة لمباحثنا اذ ليس لدينا كتاب اشوري ولا فينيقي أما ما بقي من أسفار الشعوب الأخرى فتافه جداً . واقد كان القدماء يكتبون ولكن أقل منا ولذلك كانت نأليفهم اندر ولم يكن لهم من كل مصنف إلا نسخ قليلة لما ان الحال كانت تقضي باستنساخها كلها باليد وقد دثر غالب هذه النسخ أوضاع أو تعذرت قراءة ما بقي منه ويسمى علم حلها «پاليوغرافيا» أي علم الخطوط والكتابات القديمة .

المعاهد - أقامت الشعوب القديمة لانفسها معاهد مثلنا من مثل . معابد لاربابها وقصور الموكها وقبور لموتاهما وقلاع وجسور وقنوات وأقواس نصر . ولقد تهدم كثير من هذه المعاهد واستؤصل وتجزأ بيد العدو أو بيد سكان البلاد ومنها ما لم تقو الغير على تقويض دعائمه وما فتئت ماثلة للعيان متداعية مثل القصور العتيقة لانتقطاع الايدي عن تعهدها . وقد بقيت بقية يعلم منها ما كانت عليه سالفاً . وما زال بعض هذه المعاهد فوق التراب كألاهram في مصر ومعابد ثيبة وجزيرة فيلا وقصور البرسبوليس في فارس والبارتينون في اليونان والكوليزة في رومية والبيت المربع وجسر الحرس في فرنسا . وان السائح لهدنا لينظر الى هذه الآثار نظره لاثر حديث . وقد ردم أغلب هذه المعاهد على التدرج بتراب أو رمل أو فتات أرضية وانقاض فينبغي

تخليصها من هذا الساف الكثيف أو حفر أرضها وكثيراً ما تكون عمقة للغاية . ولم يعثر على القصور الاشورية الا بخرق آكام وتلال . وقد حفرت حفرة عمقها اثنا عشر متراً للوصول الى قبور ملوك ميسينا

وبعد فان عفاء هذه الخرائب لم يكن بصنع الدهر وحده فللبشر اليد الطولى في ذلك . ولم يكن القدماء ليتعبون مثلنا في التقدير والقياس لاقامة البناء . وما عنوا بنزع الردم من أماكنه بل كانوا يركون الانقاض ويبنون عليها ولا ينزعونها حتى اذا أشرف البناء الجديد على السقوط تنضم انقاضه الى اطلال اخواتها القديمة وهكذا تتألف طبقات عديدة من الانقاض . وقد جاز أحد السياح المدعو شيلمان بحفرة في مكان مدينة تروادة خمس طبقات من الاطلال اذ كان ثمت خمس مدن خربة كلها واعنقها على عمق خمسة عشر متراً . وما برحوا يعثرون في رومية في الاحابن على ثلاث بنايات منضدة بعضها فوق بعض وقد تراكت عليها الاطلال فعلا التراب في سفع النلال بضعة أمتار

بقيت مدينة بومبها لم تمسها طوارف الحدثان وذلك بحادث طبيعي جرى عام ٧٩ للمسيح وهو ان بركان فيزوف في ايطاليا قذف سيلاً من الحمم مائة أمتار رماداً فانكشنت لالحال مدينتان رومانيان كانتا مدفونتين وهما هيركولانوم وپومبهي . كانت الاولى تحت الحمم السائلة والثانية تحت الرماد . وقد أحرقت الحمم المتاع وغشاها الرماد وحفظها من الهواء فبقيت سالمة . وكلما أزيح الرماد تظاهر مدينة پومبهي للاعين على نحو ما كانت عليه منذ ثمانية عشر قرناً . وانك لترى في بلاطها بعد مجرات العجلات وآثار سير المركبات وصوراً خطت بالزعم في الحيطان ونقشاً واثناً وماعوناً

وخبزا وجوزا وزيتونا في الدور والمساكن وهياكل عظام من دهمتهم الكارثة
مبعثرة مبددة . وبهذا عرف القاري ان الآثار والمعاهد تفيدنا كثيرا
في الوقوف على حالة الشعوب القديمة . ويدعى علم الازمنة القديمة «أركيولوجيا»
الرسوم — نعني بالرسوم كل ما يشمل الخطوط عدا الكتب فمعظم
الرسوم زبرت على الحجر وحفر بعضها في صنائع من القلتر ووجد منها في
مدينة يوميه مازبر على الجدران بالاصباغ أو بالذهب . وان بعض هذه
الرسوم لتمثل تذكارات وفائع أو رجال كما هو جار الآن عند الافرنج فيما
يقيمونه من تماثيلهم وبنائاتهم . هكذا نرى الامبراطور اغسطس دوّن
حياته على معبد انسير ومعظم هذه الرسوم عبارة عن كتابات زبرت على
القبور ويمائل بعضها الاعلانات لمهدنا فتحتوي على قانون أو نظام تراد
إداعته بين القوم . ويدعى علم الرسوم «إيكرافيا»

اللغات — تفيد اللغات التي نطقت بها الشعوب القديمة في بيان تاريخهم
فاذا فهم الباحث كلمات من لغتين مختلفتين ينجلي له أحيانا أن أصل هذين
اللسانين واحد ويسجل بان الشعوب التي تتكلم بها خرجت من نبتة واحدة .
ويدعى علم اللغات «اينكستيك»

النواقص — لا يذهبن ذاهب الى ان الكتب والمعاهد والاطلال
واللغات تكفي للاحاطة بتاريخ القرون السالفة فان فيها تفاصيل جمة يمكن
الاستغناء عنها وما ترغب نفوس الباحثين في استبطان حقيقته قد يعز عليها
ويفر منها . وما برح العلماء يحفرون ويحلمون ويظفرون كل يوم باطلال
ومعاهد لم تعرف من قبل وقد بقيت مع هذا نواقص وسيبقى كذلك
أبد الدهر

مصر

بلادها - مصر عبارة عن وادي النيل وهي في مضطرب ضيق خصب ممتد على ضفتي النهر بين سلسلتين من الصخور طولها ٢٤٠ فرسخاً ويكاد عرضها لا يتجاوز خمسة فراسخ وعند منقطع الصخور تبدأ الدلتا . وهناك سهل واسع تتخلله شعب النيل وترعه . فمصر كما قال هيردوتس أبو التاريخ هبة من النيل .

النيل - يزخر النيل كل سنة في الانقلاب الصيفي بعصارات ثلوج بلاد الحبشة فيفيض على أراضي مصر العطشى يرتفع ثمانية أمتار وأحياناً عشرة فتصبح البلاد كالبحيرة وتبرز القرى المشيدة على الآكام كأنها جزيرات ثم تنخفض المياه في أيلول (سبتمبر) ويعود النهر في كانون الأول (ديسمبر) الى مجراه الأصلي وقد ترك في كل مكان طبقة من الطين خصبة وهي الاءبز وتسمى الطمي . هذه الرواسب تقوم مقام السماد ويكاد يزرع في التربة الدية بدون حرث . فالنيل اذا يأتي مصر بالماء والتربة واذا تحول عنها تعود مصر كالبلاد المحيطة بها قاعاً صفصفاً، ورمالاً مجدبة، ما امطرتها السماء وابلا ولا رذاذاً . ولم يجهل المصريون فيما مضى ما يجود به نيلهم من الخيرات الحسان وهالك نشيداً كانوا ينشدونه تظيماً له : « سلام عليك أيها النيل أنت الذي تتجلى على هذه الارض وتأتي بسلام فتحي موت مصر . أنت اذا انجليت تملأ الارض طرباً ، والقلوب بشراً ، فينال كل مخلوق قوته ، وكل سن ما تقضمه ، رحمك انك تأتي بالارزاق الطيبة وتنتج كل خير ومير وتنبت للبهائم مرعاها

غنى هذه البلاد - مصر على التحقيق واحة في قفر إفريقية تذبّت تربتها البر والفول والعدس وأنواع البقل . والنخيل فيها عابيات وآجام . وفي تلك المروج التي يرويها النيل بمائه ترعى قطعان الغنم والثيران والعنز والاوز وتكاد مساحتها تساوي بلاد البلجيك (٢٩٤٠٠ كيلو متر مربع) ومصر اليوم تقوم بأود ١١ مليوناً (١) من السكان وهي نسبة لاتعمد في أوربا على ان مصر كانت آهلة بالسكان قديماً أكثر منها اليوم

روابات هيرودتس - عرف اليونان مصر أحسن من معرفتهم سائر الممالك الشرقية فزارها هيرودتس أبو التاريخ في القرن الخامس ق . م ووصف في تاريخه فيضان النيل واخلاق السكان وازياءهم ودينهم وذكر حوادث من تاريخهم وحكايات لقنها من أدلائه . ونكلم ديودور وسترابون على مصر أيضاً . بيد ان كل من ذكروها رأوها في انحطاط فلم يتيسر لهم ان يعرفوا شيئاً عن قدماء المصريين .

شامبليون - دعت حملة الفرنسييس على مصر (١٧٩٨ - ١٨٠١) الى فتح أبواب الديار المصرية للعلماء فهرعوا اليها يزورون الاهرام وخرائب ثبية عن أمم ويعودون منها وقد حذل وطابهم بالصور والآثار . ولم يكن لاحد ان يحل الخط المصري المسمى بالهيو وغلبي . وتوهم الناس ان كل خط من هذه الكتابة يقوم مقام كلمة حتى اذا كان عام ١٨٢١ خالفهم شامبوايون احد علماء الفرنسييس وعمد الى طريقة أخرى وجاء أحد الضباط من رشيد بأثر ذي خطوط ثلاثة كانت الخطوط الهيو وغلبيه المسطورة بها مترجمة الى الرومية . وهذا الأثر يمثل الملك بطليموس محاطاً بدائرة . فتوصل

(١) في الاصل زهاء خمسة ملايين نسمة ونصف مليون

شامبوليون بهذا الاسم الى الاطلاع على حروف PTOLMIS ولدى مقابلتها باسماء ملوك آخر وكانت ايضا محاطة بدائرة اكتشف حروف الهجاء . ولما تيسرت له قراءة الخطوط الهيروغليفية ظهر له انها كتبت بلغة تشبه القبطية وهي اللغة التي شاعت بمصر على عهد الرومان وعرفت حق معرفتها .

علماء الآثار المصرية - جاء بعد شامبوليون زمرة من العلماء توفروا على دراسة أحوال مصر واكتشاف جايها وخفيها وتدعى هذه الفئة من العلماء اجبتولوك أي المشتغلون بالآثار المصرية ولهم رصفاء في ممالك أوربا كافة . وقد أجرى مارتن (١٨٢١ - ١٨٨١) من المشتغلين بالآثار المصرية على نفقة خديوي مصر . ما يقتضي من الحفريات وأحدث متحف بولاق . وانشأت فرنسا في القاهرة مدرسة لتعليم الآثار المصرية ناطت ادارتها بالمسيو ماسبرو .

الاكتشافات الحديثة - لا يعثر في بلد من بلدان الارض على خبايا ثمينة كخبايا مصر ودفائها لان المصريين كانوا يبنون قبورهم أشبه بدور يضعون فيها ما يقتضي للميت من ضروب الامتعة والاثاث والرياش والسلاح والطعام وقد غصت البلاد بالقبور الطافحة بهذه الذخائر والاعلاق . وساعد اقليم مصر الجاف الهواء على حفظ هذه الامتعة سالمة بعد مضي اربعة او خمسة آلاف سنة . فلم يترك شعب من الشعوب القديمة أثرا كآثار قدماء المصريين وما عرفنا شعباً معرفتنا له .

المملكة المصرية

قدم الشعب المصري - قال كاهن مصري لهيرودتس : انتم معاشر اليونان اطفال . كلام يفهم منه ان المصريين كانوا يرون انفسهم أقدم أمم العالم فقد قامت ست وعشرون سلالة ملكية الى عهد الفتح الفارسي سنة ٥٢٠ ق . م ترتقي أولها الى أربعة آلاف سنة . وكانت مصر دولة في خلال هذه الاربعين قرناً فجعلت منفيس في بلاد الصعيد عاصمتها اولاً الى عهد السلالة العاشرة (وهو دور الدولة القديمة) ثم صارت مدينة ثيبة في مصر العليا (وهو دور الدولة الحديثة)

منفيس والاهرام - بنى مدينة منفيس أول من ملك مصر وسورها بسور منيع فبقيت سالمة من بوائق الايام زهاء خمسة آلاف سنة ثم أخذ السكان أحجار انقاضها في القرن الثالث نشر وبنوا بها مساكن القاهرة وما تركوه منها أنى عليه النبل وسدل دونه حجاباً أما الأهرام فلا تبعد كثيراً عن منفيس ويرد عهدها أيضاً الى الدور القديم وهي قبور ثلاثة ملوك من السلالة الرابعة وعلو اعظمها ١٤٧ مترًا عمل في بنائه مئة الف عامل مدة ثلاثين سنة . وقد اقيمت سدود منحدره قليلاً لرفع الاحجار الى شاهق ثم خربت المدن المصري - يدل ما يتخرج من قبور تلك العصر من هياكل وصور وأدوات على أن هناك شعباً متمدناً . فقد عرف المصريون قبل ثلاثة آلاف وخمسمائة سنة للميلاد حراثة الارض ونسج الثياب وتطريق المعادن والنقش والرسم والخط وكانت لهم ديانة منظمة وملك وادارة . على حين كانت الامم النبية وهم الهنود والفرس واليهود واليونان والرومان في

حالة من الحمجية مأثورة مذكورة .

ثيبة - خلفت ثيبة مدينة منفيس فصارت عاصمة البلاد على عهد السلالة الحادية عشرة ولم تزل خرائبها المدهشة في لوح الوجود وهي ممتدة على ضفتي النيل ومحيطها نحو اثني عشر كيلو متراً . وعلى الشاطئ الشمالي صف من القصور وهي اقصر والكرنك تبعد بعضها عن بعض نصف ساعة بنيت كلتاهما وسط الخرائب ويجمع بينهما شارع ذو صفين من تماثيل أبي الهول وكان هناك قديماً أكثر من ألف أبي الهول . وأعظم هذه المعابد الخربة معبد عمون في الكرنك أحيط به سور محيطه ٢٣٠٠ متر . وان طول اشهر قصر (ايبوستيل) وأعظمه في العالم مئة و متران وعمقه ٥٣ متراً وهو حجم عمود فاندوم . وكانت ثيبة عاصمة ومدينة مقدسة ومقر الملوك ومسكن الكهنة نحو ألف وخمسمائة سنة

فرعون - يعتبر ملك مصر المعروف بفرعون ابن رب الشمس ومثاله على الارض وبزعمون انه كان هوربا . وقد شوهدت صورة الملك رعمسيس الثاني جالساً بين ملكين . فالملك يتعبد انساناً ويعبد ملكاً . وفرعون ساطة مطلقة على البشر لربوبيته فبحكم حكم المولى على كبار سادات عصره وعلى المقاتلة ورعاياه كافة والكهنة في عبادتهم إياه يلفون من حوله ويحرسونه فيكون رئيسهم الكاهن الاعظم للرب عمون المسأثر بالحول والطول دونه وقد يحكم باسم الملك ويخلفه في الاحاين

الرعايا - يملك مصر من أعلاها الى أسفلها الملك والكهنة والجند والموالي وما عداهم فوصفاء يستخدمونهم في حرب الارض وعمال الملك يلاحظونهم ويقبضون ثمار عملهم بضرب المتدي أحياناً واليك ما كتبه

أحد هؤلاء الموظفين الى صدق له : ألا تذكر حالة الفلاح الذي يحرق الارض فان جابي الاموال يقف على الرصيف المعد لجباية عشر الغلات وثلة من العمال بمصيدهم يتبعونه وزنوج ماسكون بأيديهم سعفات النخل يصرخون بصوت واحد . البدار البدار الى تسليم الحبوب . واذالم يكن للفلاح ما يؤديه من الغلات ليقونه على الارض ويشدون وثاقه ويجرونه في التربة رأسه الى تحت وقدماه الى فوق

كيفية حكم مصر كان الشعب المصري أبداً ولم يزل بعد فرحا لا يهتم خاضعاً خاضعاً أشبه بالطفل المستسلم الى ظالمه . وكانت العصافي هذه البلاد أداة التربية والحكومة حتى كان أعوان الملك يقولون : (خلق ظهر الفتى ليضرب فهو لا يمتثل الأمر الا اذا ضرب) ذكر أحد سياح النمريسيس انه كان واقفا ذات يوم أمام خرائب ثدية فهتف قائلاً : ليت شعري كيف بنوا كل هذا . فاستضحك دليلاً وقال ماسكاً بيده مشيراً الى نخلة : « بهذه بنوا هذا اجمع » اعلم يا مولاى انه اذا كسرت مئة ألف سعفة من سعف النخل على ظهر من اكسافهم عربانة أبداً تبني قصور كثيرة ومعابد اعزال المصريين . قلما خرج المصريون من بلادهم لما انهم حاذروا ركوب البحر ولذلك لم تكن لهم ملاحه وما اتجروا والشعوب الاخرى ولم تعرف لهم بحرية الا على عهد الدولة السادسة والعشرين وما كانوا أمة حربية قط . وافد قادم ملوكهم الجنود في حروبهم واتخذوا القنال ديدنهم فبعنوا البعوث الى زنوج الحبش نارة والى القبائل السورية أخرى فاذا غلبوا صوروا صورة النصر على جدران قصورهم ومتى قتلوا راجعين من غزاتهم يأتون

بالأسارى فيستخدمونهم في بناء المعاهد على انهم ما حرزوا قط نصراً مؤزراً
ولا فتحوا فتحاً ميبناً فدهم الاغيار مصر اكثر مما حمل المصريون على الاغيار

ديانة المصريين

يقول هيرودتس ان المصريين من أشد البشر تديناً ولا يعرف شعب
بلغ في التقوى درجتهم فيها فان صورهم بجملتها تمثل ناساً يصلون أمام رب
وكتبهم على الجملة أسفار عبادة وتنسك .

الارباب المصرية — رب الشمس رأس الارباب (الآلهة) عندهم
وهو الخالق المحسن العليم الكائن منذ البدء له امرأة وابن عريقان مثله في
الربوبية وكان المصريون يتعبدون بهذا التثليث الذي تختلف اسماؤه وان
اتحدث مسمياته فكان اهل كل إقليم يسمي كلاً من هذه الاسماء الثلاثة باسم
يختلف عن الآخر . ففي منفيس سمي الاب فتاح والام سيخت والابن
ايموتس وفي أبيدوس سموها أوزيريس ، ايريس ، وهوروس ، وفي ثيبة
عمون ، وموت ، وشونس . ثم اختار اهل كل إقليم أرباب الاقاليم الأخرى
وقد يشتقون من كل رب تثليث أرباب أخرى وهكذا تعدد الارباب
وتشوش الدين

اوزريس — لهذه الارباب تاريخ وهو تاريخ الشمس فكان هذا الكوكب
يتراءى للمصريين كما يتراءى لغالب الشعوب الاصلية انه أقدم المخلوقات
وبعبارة أخرى انه من الارباب فاوزيريس أي الشمس قتلها سيت رب الليل
وايزيس القمر امرأته تبكيه وتدفنه وهوروس ابنه الشمس الساطعة يأخذ
ناره قاتلاً قاتله

عمون را — هو رب ثيبة عندهم صور مجتازاً السماء كل يوم في قارب

وأرواح الموتى تقذف به بمجازيف طويلة فالرب يقف في المقدم . مستعداً لضرب العدو برمح . وهالك الذئيد الذي كان يتغنى به تعظيماً له . « السلام عليك انت تهب محسناً انت تهب صادقاً يا مولى الا فقين انت تطوف السماء من عل وأعداؤك هالكون . السماء في أنس والارض في فرح والارباب والناس في عيد وكلها اجتمعت لتمجد « را » يشاهدونه في قاربه وقد كسر العدى . يارا هب فرعون حياة طيبة وامنحه ما يقوته من خبز ويرويه من ماء وطيب شعره وعطره اردانه . »

أرباب رأسها رأس حيوان -- مثل المصريون أربابهم في صورة آدمية تارة وعلى مثال البهيمة أخرى . ولكل رب حيوانه فيتجسد فتاح في الجمل . وهوروس في الباشق . وازوريس في النور . وتختلط الصورتان طوراً في انسان رأسه رأس حيوان او في حيوان رأسه رأس انسان . وللرب عندهم أن يكون ذا أربع صور وأشكال فيكون هوروس مثلاً باشقاً او انساناً برأس باشق أو باشق برأس انسان

حيوانات مقدسة — لا يعلم لماذا كان يعنى المصريون بهذه الاشارة من اتخاذ الحيوانات التي تشبه الارباب مقدسة مباركة مثل الثور والجمل وايبس (طائر طويل الرجل) والباشق والقط والتمساح فيتوفرون على إطعامهم وحمايتهم . فقد قتل أحد الرومانيين في القرن الاول قبل الميلاد قطعاً في الاسكندرية فثار الشعب وقبض عليه فذبحوه رغم ارادة الملك وسفاعة فيه فعلوا ذلك علي حين يرهب المصريون بأس الرومانيين كثيراً وكان المصريين رب يعبدونه في كل معبد وقد قص سترابون كيفية زيارته تمساحاً مقدساً في ثيبة فقال : كان هذا الحيوان رابضاً على شط غدير فاقترب منه الكهنة

وتقدم اثنان منهم ففتحاه فيه وجاء ثالث وحشاه حلويات وسعكاً مشوباً
وشراباً من عسل مصفى

الثور ايسيس -- اجل هذه الحيوانات المربوبة او المؤلمة الثور ايسيس فانه
كان يمثل اوزيريس وفتح معاً ويعيش في منفيس في مصلى له يخدمه الكهنة
فيه حتى اذا مات هذا الثور يكون حاله حال اوزيريس (رب الشمس)
فيحنط وتجعل مومياءه في ناووس اما قبر أوسارهابي فهو من المعاهد الهائلة
وقد فتح ماربت الفرز - اوي مقبرة السرايوم عام ١٨٥١

عبادة الموتى - عبد المصريون أيضاً أرواح الموتى ويظهر انهم كانوا
يعتقدون أولاً ان لكل انسان قريناً (كا) فاذا مات يخلفه قرينه في حياته
وهو اعتقاد اعتقده كثير من الشعوب المتوحشة وكان القبر المصري يدعى
قديماً « بيت القرين » وهو عبارة عن مكان منخفض منظم كالغرفة يزين من
اجل القرين بضروب الآثار من كراسي ومناضد وسرر وصناديق وأصونة
واغشية وأقمشة والبسة وادوات زينة واسلحة ويضعون تارة مركبة حربية
وما شاء للذته من تماثيل وصور وكتب ولطعامه من بر وكل ما حلا بالعين
وحلي بالفم ويضعون فيه طوراً قرين المبت وهو تمثال من خشب او حجر صنع
على صورته ومثاله ثم يسور مدخل الناووس فبقي فيه القرين ومعنى الاحياء
بامره فيجابون له طعاماً او يتوسلون الى أحد الارباب ان يرزقه طعاماً على
نحو ما تراد في هذا الرسم المزبور: على الحجر (قربان لا زوريس ليعطي زاداً من خبز
وشراب وثيران وأوز ولبن وخمر وجعة ولباس وعطور وكل ما طاب وصفا
الى المتوفى فلان)

حشر الارواح -- انشأ المصريون منذ السلالة الحادية عشرة يعتقدون

ان الروح تنفصل عن الجسد وتلحق باوزيريس تحت الارض حيث تغيب الشمس كل يوم فيما يظهر . هناك يتصدر اوزيريس في محكمته وقد أحاط به اربعة وعشرون محكماً فيؤتى بالروح امامهم فتحاسب عما قدمته بين يدي نجواها في الحياة فنوزن اعمالها بميزان الحق وتطلب شهادة القاب . فيهتف الميت قائلاً . « ياقلب اني ورثتك عن أمي منذ درجت على الارض فلا تقم علي شاهداً تتجنى عليّ أمام الرب المنعال » فالنفس الشريرة تعذب قروناً ثم تهلك والنفس الطيبة تطير احقاباً وبعد محن كثيرة تنضم الى زمرة الارباب ونفنى فيهم

الموميات - تستطيع الروح في خلال هذه الزيارة الدخول في الجسد لتستريح ولذا اقتضى ان يظل الجسد سليماً . ومن اجل ذلك تعلم المصريون طريقة تحنيط الجثث فيملأون الجثة عنبراً وينفطسونها في مستحم من النطرون ويعصبونها بعصيات فتصير مومباء . هكذا توضع المومياء في تابوت من خشب اوجبس وتودع في القبر مصحوبة بما يقتضي لها من ضروريات الحياة

كتاب الاموات - كان بوضع بجانب المومياء كتاب صغير اسمه كتاب الموتى يذكر فيه ما ينبغي للنفس أن تقول في العالم الثاني دفاعاً عن نفسها امام محكمة اوزيريس وهو : « ما ارتكبت خيانة وما عذبت أيماً وما ارتكبت محرماً ولا ألفت البطالة ولا وشيت بالبعد الى مولاه ولا حبست الخبز عن المعابد ولا سرقت عصيات الموتى ولا طعامهم ولا طففت مكاييل الحبوب ولا صدت الحيوانات المقدسة ولا قبضت الاسماك المقدسة . اطعمت الجوعان واسقيت العطشان وكسوت العريان وقدمت الضحايا

للارباب وصنعت الوضائم للموتى اهـ « وهنا تستبان حكمة المصريين وهي الاحفاظ بالرسوم والتكاليف واحترام ماله علاقة بالارباب وان يكون المرء مخاصاً محتشماً محسناً

الصنائع

الصناعة - المصريون أول من مارس الصنائع الي تمس حاجة الشعب المنحضر اليها فكانت الصور في القبور من عهد السلائل الاولى أي من نحو ثلاثة آلاف سنة قبل الميلاد تمثل ناساً يحرثون ويزرعون ويحصدون ويدرسون ويذرون الحبوب وقطعاناً من ثيران وخرافاً واوزاً وخنازير واعياناً حسنة ثيابهم واحنفاً واعياداً يحتفل فيها بضرب العيدان أي كما كانت حياة هذه الامة بعد ثلاثة آلاف سنة حذو القذة بالقذة . وقد عرف المصريون لذاك العهد صنع الذهب والفضة والقلز والاسلحة والحلي والزجاج والخزف والماينا ونسج الثياب من صوف وكتان وانسجة شفافة او . وشاة بالذهب

عقود الابنية - كان المصريون اقدر البنائين القدماء في العالم اقاموا المعاهد العظيمة حتى صارت كأنها خلدة بحيث لم بقو الزمن لعهدنا على تقويضها وتبيدها ولم يبذوا . فلنا يوتاً اسكن الاحياء بل كانت . بانهم خاصة بالارباب والموتى فيبنون لهذا الغرض المعابد والمقابر . ولم يبق من مساكنهم الارسوم محيلة أما تصور الملوك فلم تكن على قول اليونان غير خانات بالنسبة للقبور . ذلك لان المسكن يبنى ليأوي اليه الانسان في حياته والقبر يبقى خالداً على الدهر القبور - أصل الهرم الكبير قبر ملوكي والقبور القديمة هي من هذا النوع . وترى في مصر السفلى الى اليوم اهراماً . مصطفى كالشوارع أو

مبددة هنا وهناك تختاف في الكبر والصغر . ثم صارت تقام القبور تحت الارض يعمر بعضها تحت التراب وينحت الآخر من حجر الصوان « الكرانيت » في الجبال ولكل جبل قبور جديدة . وكانت مدينة الموتى أي مدافنهم على مقربة من مساكن الاحياء واسكنها ازهى وأوسع المعابد - يتطاب الارباب كذلك مساكن طيبة خالدة وتتألف معابدهم من هبكل جميل وهو مأوى الرب نكتنفه القصور والحدائق وغرف الكهنة وحاشيتهم ودروج جواهرهم وأدواتهم وملابسهم وقد صنع مجموع هذه الابنية المسورة في عصور كثيرة . فاشترك ملوك من جماع السلالات المصرية في تشييد معبد عمون في ثيبة من السلالة الحادية عشرة الى السلالة الاخيرة ومن العادة ان يفتح في أول المعبد باب عظيم محني الجوانب وتقام على طرفيه مسلنان مبنيتان بشعاف الصخر مذهبة الاطراف أو تمثالان من الحجر على مثال جبار جالس . وقد يوصل الى المعبد من طريق طويل نصبت في جوانبه تماثيل ابي الهول مصنوعاً من الحجر على صفيين . هذه الاهرام والمنحنيات والتماثيل وأبو الهول والمسلات نبي بما بلغه المصريون من العناية بعقود الابنية وكلها ضخمة قصيرة عميقة بحيث تبدو هذه المعاهد ضخمة لا يلبها الدهر ولا تفنها الغير

صناعة النحت - حاكي النحاتون من المصريين الطبيعة بنقوشهم . وان الناظر ليدersh من أقدم التماثيل لما فيها من الحياة والبساطة ولا شك انها كانت صور الموتى . ومن هذا الجنس صورة ذاك العامل الجاني المحفوظة في متحف اللوفر بفرنسا . وعلى عهد السلالة الحادية عشرة تقيد النحات بقاعدة مقرررة دينية فلم يعد يمكنه تمثيل الجسم الانساني على حسب ما يظهر

له وأخذت النماثيل منذ ذاك العهد تتشا كل وغدت السوق متأزية والارجل ملتفة والاذرع مشتبكة على الصدور والهيئة غير متحركة لكنها مهيبه وأبدأ ذات جلال ومتحدة في النوال فانقطعت هذه الصناعة عن محاكاة الطبيعة وغدت رمزاً متفقاً عليه

الرسم استعمل المصريون اصباغاً لاتنصل بقيت باهية زاهية بدمد مضي خمسة آلاف سنة عليها . على انهم لم يعرفوا غير تلوين الرسم وظلوا ولا خبرة لهم بتوزيع الالوان ولا رسم الظلال والاستباح البعيدة . وكان للرسم كما للنقش قواعد دينية مطردة فاذا عرض على صانع ان يرسم خمسين شخصاً يصورهم على هندام واحد ونظام واحد

الآداب - للمصريين آداب خاصة بهم فقد عثر في النواويس على كتب طب وسحر وزهد كما عثر على قصائد ورسائل ورحلات وروايات مصير التمدن المصري' - احتفظ المصريون باربابهم ودينهم وصنائعهم الى ما بعد سقوط ممالكهم فخضعوا للفرس ثم لليونان ثم للرومان ولم يطرخوا شيئاً من عاداتهم القديمة ولا نسوا خطهم ومومياءهم وحيواناتهم ثم دثر التمدن المصري' ببطء بين القرن الثالث والثاني ب م



الاشوريون والبابليون

بلاد الكلدان

وصفها — ينبجس من قم جبال أرمينية المغطاة بالشلوج نهران سريع جريهما بعيد غورهما وهما الرافدان دجلة والفرات الاول من الشرق والثاني من الغرب . يتقاربان أولاً ثم يتباعدان عند بلوغهما السهل فيستقيم دجلة في جريته وينعطف الفرات في صحاري الرمال ثم يجتمع النهران قبل أن يصلا الى البحر . فالبلاد التي يجتازها هذان النهران هي بلاد الكلدان . وهي بسبب من صلصال تمطره السماء قليلا وتشتد فيه الحرارة والقيظ بيد أن الانهار تسقي بجداولها هذه الارض الصاصالية فنصيرها من أخصب بقاع الارض وابت قيعانها . وان حبة القمح والشعير لتأتي مثنين وفي أعوام الرخاء ثلثمائة والنخيل في تلك البلاد غابات غيباء يستخرج منه الخمر والعسل والطحين

الامة الكلدانية — باكرت الحضارة بلاد الكلدان في العهد الذي باكرت فيه مصر فسكنها شعوب متمدنة . وتدها جبالها عدد من الاجناس من أصفاع كثيرة فاجتمعوا وامتزجوا في هذه السهول الفسيحة الارجاء . جاءها من الشمال الشرقي ناس من النورانيين أهل اللون الاصفر وهم يشبهون الصينيين وأتاهم من الشرق طائفة من الكوشيين ولونهم أسمر قائم وهم أنسباء المصريين ونزل اليها من الشمال فئة من الساميين وألوانهم صافية وهم أقرباء العرب فتألف الشعب الكلداني من هذا المزيج

مدنها — زعم كهنة الكلدان ان ملوكهم تبسطوا في مناحي الساطة منذ مائه وخمسين الف عام وهو زعم خرافي يعذرون عليه لان الحامل لهم عليه توغل مملكة الكلدانيين في القدم . هذه الارض تخلصها هضاب وآكام

كلها كومة أنقاض من بقايا بلد غفته طوارق الدهر. وقد فتح كثير منها
واخرجت منه عدة دفائن مثل «أور» و «لارسام» و «بال ايلو» وظفر
الباحثون بعدة آثار. وما برح أمر هذه الشعوب مستورا عن الانظار مجهولة
حقيقتهم على أرباب الافكار على انه من المأمول أن يظفروا بكتابات جديدة
في الاماكن الكثيرة التي لم تتناولها الايدي بالحفر واستخراج الدفائن. وبعد
فقد دعت هذه الامم نفسها بالسوميريين والاكاديين وانقرض ملكهم
حوالى سنة ٢٣٠٠ قبل المسيح وربما كانت اذ ذاك في اiban قدمها فيرد
عهدا اذا الى ثلاثين قرناً قبل الميلاد على الاقل

الاشوريون

أشور — هذه البلاد واقعة وراء بلاد الكلدان على شاطئ دجلة
وهي مخصبة التربة قائمة على تلعات كثيرة فيها واحادير. تحترقها هضاب
وتتخللها صخور. تثلج فيها السماء في الشتاء لقربها من الجبال وتهب عليها
الاعاصير في الصيف

أصولهم — زخر بحر العمران في بلاد الكلدان فكان فيها امصار
عاش فيها الاشوريون خاملين في جبالهم وقد أغار ملوكهم بجيوشهم
الجرارة في القرن الثالث عشر على السباسب والفدافد فاسسوا مملكة ضخمة
عاصمتها نينوى

أساطير قديمة — لم نكد نعرف عن الانسوريين منذ أربعين سنة الا
قصة ذكرها ديودورس الرومي من أهل جزيرة صقلية وقيل أن نينوس
بنى مدينة نينوى وافتتح آسيا الصغرى جملة واستخضعت امرأته سميراميس
بلاد مصر وكانت من الارباب فاستحالت بمد حماة فخلفها ملوك خاملون

مدة ١٣٠٠ سنة . حوصر آخرهم في عاصمته واسمه ساردانابال فحرق نفسه ونساءه الى ما شا كل ذلك من الاقاصيص التي قل فيها الصدق واعوزت كلمة الحق

نينوى - هذا ما عرف عن مملكة اشور القديمة الى ان اكتشف المسيو بوثا قنصل فرنسا في الموصل سنة ١٨٤٢ اطلال قصر عظيم بالقرب من قرية خراساباد الحقيرة وقد غشيتها رمال صيرتها رابية . وهذه هي المرة الاولى التي شوهدت فيها الصناعة الاشورية بمظهرها ووجدت الثيران المجنحة بالاحجار سالمة ماثلة على باب القصر . وقد جيء بها الى باريز فجعلت في متحف اللوفر . واقد استلفت بوثا بحفرياتة أنظار أوروبا فانفذت بعثات كثيرة وخصوصاً الانكليز . توفر بالاس وايارد على الحفر في آكام أخرى فاكتشفت قصور غير هذه . سللت هذه الخرائب لجفاف الهواء في تلك الارعاء وبما غشيتها من طبقات التراب . ثم انه عثر على جدران مغطاة بنقوش بارزة وصور وتماثيل وكتابات كثيرة فتسنى درس حال تلك العمارات في اما كنها وأخذت عنها صور المعاهد والنقوش . وأول ما اكتشف قصر خراساباد وهو الذي بناه الملك سراغون مكان نينوى عاصمة ملوك اشور وهي قائمة على عدة هضاب يحيط بها سور ذو ابراج مربع الاضلاع ذرعه ٢٦٠ غلوة (نحو ٤٣ كيلو متراً) وقد بني خارج الجدران بالقرم ودخله تراب مهيل . أما دور المدينة فقد دثرت ولم يبق منها أثر ضئيل ولا رسم محيل . بيد انه ظهرت عدة قصور شادها غير واحد من ملوك اشور . وقد ظلت نينوى عاصمة الملوك الى ان اوغل الماديون والكلدانيون في احشاء مملكة اشور ومنزقوها شذر مذر .

كتابات القرمد — يتألف كل حرف في الكتابات الاشورية من مجموع علامات على شكل سهم او زاوية ولذلك دعي هذا الخط بالخط المسماري وكانوا يستعملونه خنجراً مثلث النصل في آخره حد مثلث الاضلاع لرسم هذه العلامات يبلونه في صحيفة من الخزف الرطب ثم يدخلونه التنور فيصير صلباً لا ينمحي أثره . وقد كشفت في قصر اسوربانيال مكتبة تامة من الصفائح قام فيها القرمد مقام الورق

الخط المسماري — غالى جملة من رجال العلم في حل هذا الخط أعواماً كثيرة فتمذرت عليهم قراءته اذ كان لاول عهده يستعمل في كتابة خمس لغات متباينة وهي الاشورية والسوسية والمادية والكلدانية والارمنية . دع عنك الفارسية القديمة . وكانت تلك اللغات مجهولة فدامت اللغة التي نتكلم عليها الآن مشوشة كل التشويش لاسباب عديدة أهمها تركيبها من خطوط رمزية ينوب كل منها مناب كلمة مثل « شمس » « رب » « سمك » ومن خطوط ذات مقاطع . ولان لهذه اللغة مائتي خط ذي مقاطع يتشاكل بعضها مع بعض ويسهل التباسها وإشكالها ولان الخط الواحد كثيراً ما ينوب عن كلمة وعن مقطع ولان الخط الواحد يقوم مقام مقاطع مختلفة بمعنى أن خطأ واحداً يقرأ « ايلو » تارة « وآن » طوراً وهو أصعب هذه الصور وأشكلها .

كان هذا الخط عسراً حتى على من يكتبونه . ونصف مالدنيا من الآثار المسمارية هو كتب إرشادات من نحو ولغة وصور مما ساعد على حل النصف الآخر فتأني الرجوع اليها في حل المشكلات على ما كان عليه شأن المتعلمين في مملكة آشور منذ ٢٥٠٠ سنة وقد أفلاح العلماء في حل الكتابات الاشورية

كما أفلحوا في حل الكتابات المصرية . فكانت لهم كتابة مستطيلة في لغات ثلاث آشورية ومادية وفارسية ونفقت الفارسية في حل غيرها

الشعب الاشوري — فطر الاشوريون على حب الصيد والحرب وان نقوشهم لتمثلهم مدججين بالاقواس والرماح راكبين صهوات الخيول بحيث ساغ أن يوصفوا بانهم كمة مجال وأبطال يحسنون الكر والفر . وان استوى في أعينهم رواحهم الى مناوشة ومغداهم في حرب زبون . ولقد عرفوا بالخيانة وسفك الدماء فوطئوا آسياه ستة قرون وخرجوا من جباههم يغيرون على جيرانهم . ولطالما آبوا من غزواتهم وقد أسروا شعوباً باجمعها والظاهر أنهم يناشبون غيرهم القتال لحض حب السفك والتدمير والنهب فانهم أشد خلق الله بأساً وأقساهم قلوباً

الملك — رأى الاشوريون لملكهم الخلافة عن الله في الارض جرياً على العادة الآسايوية فاطاعوه طاعة عمياء وبذلوا في حبه مهجهم . فكان الملك عندهم سيداً مطلقاً في حكمه رعاياه مهما اختلفت طبقاتهم يدعوهم الى حمل السلاح تحت لوائه فيقاتل بهم شعوب آسياه حتى اذا قفل منصوراً يصور ما أثره على جدران قصره ذا كراً انتصاراته وما ناله من الغنائم وحرقة من المدن وذبحه من الاسرى وساخه من احيائهم

الحملات — اليك بعض فقرات من نشرات الحروب قال اسورنازيرهابال عام ٨٨٢ : انني عمرت جداراً امام ابواب المدينة العظمى وساخت جلود زعماء الثورة وغطيت هذا الجدار بجلودهم وقد دفن بعضهم احياء في اساس البناء وصلب فريق آخر وجعلوا على أوتاد في الحائط وساخت جلود

كثيرين في حضرتي وكسوت الحائط بها وجمعت رؤوسهم على هيئة التيجان وضممت جثثهم الى أشكال الا كاليل

وكتب توكلابالازار عام ٧٤٥ ما نصه : حبست الملك في عاصمته ورفعت كروما من الجثث أمام الابواب . هدمت مدنها كلها ودمرتها وأحرقها وأقفرت البلاد وصيرتها آكاماً وقاعاً نصفاً ينعق فيها يوم الخراب . وقال سنحاريب في القرن السابع : « انطلقت كالعاصفة المدمرة فسبحت السروج والاسلحة في دماء الاعداء كاهها في نهر والتراب مبلل وجمعت جثث جندهم كما تجمع الغنائم وبترت أطرافهم وقضت عظام من أخذتهم أحياء على نحو ما نقصن التبنة وقطعت أيديهم عتماً بالهم بما جنت أيديهم » هذا وقد صورت في إحدى النفوش التي تمثل مدينة سوس وهي ترد الى عهد اسوربانيبال وشوهدت فيها رؤوس المغلوبين يعذبهم الاشوريون وقد صلمت آذان بعضهم وسملت أعين آخرين ونتفت لحاهم . وهناك رجل يسلخ جاده وهو حي مما دل على ان أولئك الملوك كانوا يرتاحون الي ما يتم على أيديهم من الحرائق والمذابح والعذاب

خراب المملكة الاشورية - بدأت هذه الطريقة في الحكم في القرن الثالث عشر زمن الاستلاء على بابل وذلك نحو عام ١٠٧٠ وظل الاشوريون منذ القرن التاسع يسرحون الحملات ويشنون الغارات حتى أخضعوا وان شئت فقل خربوا بلاد بابل وسورية وفلسطين ومصر وكان المغلوبون يثرون في غضون تلك المدة بلا انقطاع والمذابح قائمة على ساق وقدم . ثم ضعفت قوى الاشوريين واتحد البابليون والماديون فقلبوا عرش مملكتهم نينوى عاصمة بلادهم سنة ٦٢٥ وهي المدينة التي سماها أنبياء بني اسرائيل « عرين

الاسد » ومدبنة الدم والغنيمة فتيسر الاستيلاء عليها وخربت فلم تقم لها قائمة بعد . قال النبي ناحوم (خربت نينوى فمن يشفق عليها ياترى ؟)

البابليون

المملكة الكلدانية - قامت مملكة اشورية جديدة مكان بلاد الكلدان القديمة الدائرة دعيت مملكة البابليين او المملكة الكلدانية الثانية . وقد تكلم احد انبياء اسرائيل على لسان الرب فقال : « انا احبي الكلدان تلك الامة الظالمة وسرعان ما تطوف الارض الاستيلاء على مساكن غيرها وان خيولها لا خف سيراً من النمر وفرسانها لينتشرون في الاطراف ويطيرون كائنسر ينقض على قنيصته » وبالجملة فقد أُلِف الكلدانيون الفروسية والحرب والفتح وهم يمانلون الاشوريين كل الممالك فاستولوا على بلاد الفرس والجزيرة وبلاد اليهود وسورية وكانت مدة حكمهم قصيرة فقد أنشئت المملكة البابلية سنة ٦٢٥ وابداهها الفرس سنة ٥٣٨ في م .

بابل -- كان بمختصر (٦٠٤ - ٥٦١) من اقدر ملوكها وهو الذي خرب بيت المقدس وساق اليهود اسرى واسس في بابل عاصمة بلاده كثيراً من المعابد والقصور . اقيمت هذه المعاهد بالآجر الفلد الحجر في سهل الفرات . ولما كتب عليها الدثور والعفاء لم يبق منها الا كوم من اتراب والانقاض وقد عثر في المكان الذي كانت فيه بابل على بعض كتابات فعرفت هيئة المدينة . بيد ان هيرودتس اليوناني وصف مدينة بابل وصفاً مسهباً وكان زارها في القرن الخامس ق . م فاذا هي محاطة بسور مربع يشقه الفرات وكانت المدينة تشغل حيزاً من الارض مساحته ٥١٣ كيلومتراً مربعاً

(أي سبعة اضعاف مدينة باريز) ولم تكن كل هذه البقعة الفسيحة الارحاء عامرة بالدور والمساكن بل كان يتخللها حقول مزروعة تقوم باود السكان آونة الحصار . فكانت بابل من ثم اشبه بمعسكر حصين منها بمدينة . وفي جدرانها ابراج ولها مئة باب من النحاس الاصفر وكان سمكها صالحاً لمرور مركبة عليها وفي حيال السور خندق عريض عميق مليء ماء وستر حافته بالقرمد . وكانت دورها ذات ثلاث طبقات او اربع والشوارع وسطها زوايا قائمة . وما اعجب بناء جسر الفرات وارصفته والقصر الحصين والجنان المعلقة احدى عجائب الدنيا السبع . وهذه الجنان سطوح منروسة بالاشجار قائمة على عمد وقباب مصفوفة طبقات الاولى بعد الثانية .

برج بابل - بنى بختنصر في طرف المدينة برج بابل وقال في احدى كتاباته «لقد جددت اعجوبة بوريثيا (من ضواحي بابل) ايمعجب الناس منها وهو معبد السيارات السبع في الدينا فاعدت تأسيسه على النحو الذي كان عليه في الازمان السالفة » . وهذا المعبد على شكل مربع مؤلف من سبعة ابراج بعضها على بعض وخص كل برج باحدى السيارات السبع وصور بالالون الذي اختاره الدين لتلك السيارة . وهذه الالوان اذا بدئ بها من أسفل فهي : زحل (سواد) والزهرة (بياض) والمشتري (ارجوان) وعطارد (ازرق) والمريخ (قرمزي) والقمر (فضي) والشمس (ذهبي) . وكان في أعلى الابراج مصلى ومنضدة من ذهب وفراش وثير تسكن اليه كاهنة .

اخلاقهم وديانتهم

اخلاقهم — لا نعرف هذه الشعوب الا بمآهدها ومآهدها تكاد لا تتعدى اعمال ملوكها فلا ترى الاشوريين أبداً الا وهم مصورون في حرب او في صيد او في احتفالات وما صور نساؤهم قط اذ كنّ جلس بيوتهن لا يخرجن للناس . وعلى العكس في الكلدان فانهم كانوا أهل حراثة وتجارة والكننا لا نعرف شيئاً عن حياتهم . يقول هيرودتس ان هذه الامة كانت تجمع البنات في مدنها مرة واحدة في العام لتزويجهن فيبيعون الجميلات منهن ويؤخذ ثمنهن ليعطى جهازاً الى مشوهات الخلقة . قال وعندي ان هذا القانون من احكم ماوضع من القوانين والشرائع .

ديانتهم — دين هاتين الامتين واحد فالاشوريون تمذهبوا بمذهب الكلدانيين وقد التبس علينا هذا الدين لانه نشأ كدين الشعب الكلداني من مزيج ديانات متباينة مشوشه كلها . فكان التورانيون يعتقدون على نحو ماتوهمه قبائل سبيريا الصفر ان العالم غاص بالشياطين (مثل الطاعون والحمى والاشباح والنفاريت) دأبها تربص البشر بالشر والاخذ بمخنةهم ولذلك تراهم لا يلجأون الى السحرة ليطردوا عنهم هاته الشياطين برقياتهم . وكان الكوشيون يعبدون ريين ذوي اقنومين الذكر وكان القوة بزعمهم والانثى وهي المادة وكان الكهنة الكلدان وهم مجموع طوائف قوية من المنعة بحيث ساغ لهم ان يعموا بتوحيد الدينين .

الارباب — الرب المنعال هو ايلوفي بابل واسور في اشور وقلما يقيمون له معبداً ومنه يشتق ثلاثة ارباب وهم آنو رب الظلمة وصورته صورة رجل وذنوب نسر معصب رأسه برأس سمكة . وبعل ملك الارواح مصور

كالملك على عرشه . ونواح وهو العالم المنظور هيئته هيئة جبار ذي اربعة اجنحة
منتشرة . ولكل من هذه الارباب ربة انثى اشارة الى كثرة الاولاد
والذراري . ثم ترد من اسفل صور القمر والشمس والسيارات الخمس
والكواكب وفي هواء بلاد الكلدان الشفاف يضيئ سناها اضواء لم نعهدها
فتتلاً كالارباب . وقد اقام الكلدانيون معابدهم باسم هذه الارباب وما
هي في الحقيقة الامراصد يتمكن منها المتعبد من مراقبة سير الافلاك .
علم التنجيم — ذهب الكهنة الى ان هذه الكواكب ارباب عظيمة
تعمل عملها في حياة الانسان . فكل امرئ يولد في الدنيا في طالع كوكب
من الكواكب فينأى النبوء بسعده اذا علم الكوكب الذي ولد في
طالعه . ومن هنا نشأ علم التنجيم والفأل فما يحدث في السماء علامة على
ما سيحدث على الارض . فالنجمة المذنبه مثلاً تنبئ بحدوث ثورة .
ويعتقد كهنة الكلدانيين انهم اذا رصدوا القبة الزرقاء وسباراها يتنبأون
بالحوادث وهذا أصل التنجيم .

علم السحر — للكلدان ضروب من الرقى والطسمات يدمدمون بها
لطراد الارواح أو استحضرها . وهذه العادة من بقايا ديانة التورانيين وهي
أصل السحر . نشأ علم السحر والتنجيم في بلاد الكلدانيين وانتشر في أفق
المملكة الرومانية ثم تعداها الى بلاد أوربا . عرف ذلك من تتبع القوانين
السحرية في القرن السادس عشر وكان فيها اذ ذاك كلمات آشورية محرفة .
العلوم — نشأت علوم النجوم في بلاد الكلدان فمنها عرفنا منطقة
البروج وتألف الاسبوع من سبعة أيام اكراماً للسيارات السبع وتقسيم السنة
الى اثني عشر شهراً واليوم الى اربعة وعشرين ساعة والساعة الى ستين

دقيقة والدقيقة الى ستين ثانية . وعندهم أخذنا طريقة الاوزان والمكاييل محسوبة على مقياس الطول مما ألف بالاستعمال عند الشعوب القديمة كافة

الصنائع

علم عقود الابنية — لا نعرف صنائع الكلدانيين حق معرفتها اذ قد سجل العفاء على معاهدتهم . وقد حذا أهل الصنائع من الاشوريين ممن رأينا صنائعهم حذو الكلدانيين فصيح الحكم على المملكتين جملة واحدة . كان الاشوريون يبنون كالكلدانيين بأجر مجنف بالشمس ويغشون ظواهر الابنية بالاحجار .

القصور — اقام الكلدانيون قصورهم على آكام صناعية جعلوها واطئة مسطحة تشبه سطوحاً كبيرة واقتضى جعل العلامي والغرف ضيقة واطئة واكتفي بتطويلها كثيراً لان الآجر لم يكن لينفع في بناء القباب المنبسطة العالية . فالقصر الاشوري يشبه سلسلة أروقة ودهاليز . والسقوف سطوح ممتدة ذات شرفات وفي الباب ثيران ضخمة مجنحة على هيئة الانسان . والجدران مغطاة من الداخل تارة بروافد من الخشب النفيس وطوراً من الآجر المزين بالميناء وأخرى بصفائح من الرخام الابيض المنقوش وآيات تزدان الغرف بالصور ويحلى الاثاث بالترصيع البديع

النقش — يعجب المرء من نقوش الصور الاشورية خاصة ومن المحقق ان التماثيل نادرة ولا اتقان فيها لان النحاتين يؤثرون تحت صفائح كبيرة من الرخام ونقوش ناشئة تشبه الصور ويرسمون مشاهد لانظام فيها احيانا وحروباً وصيوداً وحصارات مدن واحتفالات يخرج الملك بها في موكب حفل وهناك تتجلى التفاصيل الدقيقة . فترى بنات الخدام الموكلين بطعام

الملك وزمر العملة يبنون له بلاطه والحدائق والحقول والغدران والأسماك في الماء والطيور ترفرف على وكناتها أو تتطاير من شجرة الى أخرى . وترى صور الكبراء من جوانب وجوههم لان أهل الصناعة ما عرفوا تصويرها من الامام . ولكنك تقرأ في سحناتهم الحياة والشرف . وتظهر الحيوانات في الاحابين وخصوصاً في الرسوم البارزة في الصيد وفي العادة أن تنقل نقلاً حقيقياً مذهشاً . وكان الاشوريون يتأملون الطبيعة ويرسمونها أصبح رسم وبهذا تعرف قيمة صنائعهم حتى ان اليونان اقتدوا بمذهبهم في الصنائع بان قلدوا النقوش الاشورية ففاقوا مقلديهم وليس في الامم حتى ولا اليونان أنفسهم من أحسنوا تصوير الحيوانات كالاشوريين

الفينيقيون

صور وقرطاجنة

وصفها — فبنيقية من بقاع الارض الضيقة طولها خمسون فرسخاً وعرضها من ثمانية فراسخ الى عشرة وهي بين بحر سورية واعلى سلسلة في جبل لبنان . بل هي على التحقيق عبارة عن سلاسل أودية ضيقة ومجار حرجة متخللة بين هضاب وعرة ممتدة الى البحر ومسائل من الثلوج . تعبت بها العواصف الى آخر الربيع اما في الصيف فينضب ماؤها الا ما خزن منه في الآبار والصحاريج . ولقد كسيت جبال هذه الناحية بالاشجار فكان في القمم ارز لبنان المشهور وفي المنحدرات الصنوبر والسرو وفي السفوح اشجار النخيل بالغة شاطئ البحر وفي الاودية ينمو الزيتون والكرم والتين والرمان .

مدنها - تتألف عن بعد على طول الشاطئ ، الصخري رؤوس من البحر
 أو جزر منه تكون منها مرافئ طبيعية ففي هذه الموانئ أقام الفينيقيون مدنها .
 فقامت صور وارواد في جزيرة يزدحم فيها السكان في المنازل وكانت ذات
 طبقات ست وسبع وثمان . ويجلبون الماء لشفاهم في القوارب : أما مدينة
 جبيل ويروت وصيدا فكانت في اليبس . ولم تكن أرض هذه البلاد لتقوم
 باود هذا العدد الدثر من الناس ولذلك مال الفينيقيون الى الملاحة والتجارة .
 الخرائب الفينيقية - لم يحفظ عن الفينيقين كتاب فقد ضاعت حتى
 كتبهم المقدسة . ولقد جرى الحفر في مواضع مدنها ولكن الخرائب على ما
 قال العالم المندوب الى ذلك لم تسلم إلا في البلاد المهملّة المتروكة . على ان
 السوريين عنوا كثيراً بالخرائب فأنهكوا حرمة القبور واخذوا حلي الموتى
 وهدموا العمارات ليسنعينوا باحجارها على البناء وحطموا النقوش وذلك لكرهه
 المسلم الصور المنحوتة بحبث لم يبق اليوم سوى شقيف من الرخام المحطم
 واحواض ومعاصر نحتت في الصخر وبضعة نواويس من الحجر . اطلال قلما
 تجدي نقماً وتأتي العلم بفوائد . وايس ما عرف عن الفينيقين إلا ما علمناه
 كتاب اليونان وانبياء اسرائيل

حكومة الفينيقين - لم تكن فينيقية مملكة قائمة برأسها بل كان لكل
 مدينة ناحية صغيرة تستقل بها ولها مجالس وملك تحكم نفسها بنفسها وتبعث
 بمندوبيها الى أعظم مدينة فينيقية لهض المصالح المشتركة وكانت صور محط
 رحال المندوبين منذ القرن الثالث عشر . واذا لم يكن الفينيقيون أمة حربية
 خضعوا لسطوة جماع الناحيين من مصريين واشوريين وبابليين وفرس وادوا
 لهم الجزية عن يد وهم صاغرون .

صور - كانت هذه المدينة منذ القرن الثالث عشر من أهم المدن الفينيقية ضاقت على أهلها فاقامت اذ ذاك مدينة جديدة قبالتها . ولقد أسس تجار صور مستعمرات في البحر الابيض كله يصيبون الفضة من مناجم اسبانيا و سلع العالم القديم أجمع . دعاهم أشعيا النبي الامراء ووصف حزقيال النبي تلك القوافل التي كانت تأتيتهم من كل صوب وأوب وطلب سليمان النبي الى هيرام احد ملوك صور عملة يشغلهم في بناء القصر والمعبد في بيت المقدس .

قرطاجنة - كانت هذه المدينة مستعمرة صور ففاقت هذه بالعظمة وذلك ان الصوريين نبذتهم احدى الثورات فاسسوا مدينة قرطاجنة على شاطيء افريقية بالقرب من تونس بعثهم على ذلك امرأة اسمها ايليسار ونحن ندعوها ديدون (القارة) ويحكى ان سكان البلاد ابوا ان يبيعوها إلا مسافة تكفي لتغطية جلد ثور ففصلت جلد الثور سيوراً رقيقة بحيث اقتضت مكاناً واسعاً يستوعبها فبنت القلعة اذ ذاك . ولقد اتسعت قرطاجنة لموقعها في منتصف البحر الرومي ولان فيها مرفأين فافامت مي أيضاً مستعمرات وفتحت فتوحاً حتى آل امرها الى ان حكمت شاطيء افريقية باجمعه واسبانيا وسردينيا وكان لها في كل مكان مكاتب لتجارتها ورعايا يؤدون لها الجزية

الجيش القرطاجني اقتضى لقرطاجنة ان تدرب لها جيشاً لتصون مكاتبها التجارية من حيف الوطنيين وتربأ برعاياها عن الانتقاض . ومن ثم كانت حياة القرطاجني ثمينة لا يخاطر بها إلا عند الضرورة . آثرت قرطاجنة اكتراء الجند فجندت لها جنداً من البربر سكان بلادها ومن متشردى كل صقع وناحية فصارت صبغة جيشها مبرقشة ملونة يتكلم اللغات كلها ويدين بالاديان كافة . ولكل جندي بزته واسلحته الخاصة به يخالف بزة رصيفه

واساحته . فترى فيهم النوميين يلبسون جلد الاسد يتخذونه وطاء كما يتخذونه غطاء يركبون خيلاً سريعة صغيرة بدون نظام ويطلقون القوس وخيولهم تعدو عدواً كما كنت ترى فيهم اليبين وجلودهم سوداء مسلحين بحراب . وطائفة من الايبيريين في اسبانيا لباسهم بياض مزين بحمرة وسلاحهم سيف طويل محدد وغالبين عراة الى الزنار يحملون تروساً كبيرة وسيفاً محدداً يمسكونه بكثا يديهم . وجماعة من البالياريين مدربين من طفوليتهم على رمي الحجارة او كرات الرصاص بالمقاليع أما القواد فكانوا قرطاجنيين يخافهم الحكومة فترقبهم عن أمم وربما صلبتهم اذا غلبوا ولم يحرزوا نصراً مؤزراً

القرطاجنيون - كان في قرطاجنة ملكان والامر والنهي لمجلس الشيوخ وهو مؤلف من أغنى تجار المدينة ولذلك كانت كل قضية بنهى بها الى الحكومة مسأله تجارية . كره الناس القرطاجنيين لقسوتهم وطمعهم وغدرهم ولما كان لهم أسطول منظم وعندهم مال يستأجرون به جنداً وحكومة باطشة تهيأ لهم توطيد دعائم ملكهم في غرب البحر المتوسط مدة ثلاثة قرون (من القرن السادس الى الثالث) بين ظهراي شعوب بربرية منشقة على نفسها مخلقة كلتها الديانة الفينيقية - للفينيقيين والقرطاجنيين دين يشبه الديانة الكلدانية فالرب الذكر ويسمى عندهم بعل هو الشمس والربة الانثى وتدعى بعلت هي القمر والشمر والقمر في نظر الفينيقيين قوى هائلة نحى وتميت . ولكل من المدائن الفينيقية ربان . فلصيدا بعل صيدون (الشمس) وعشروت (القمر) ولقرطاجنة بعل عمون ونانيت ولجبيل بعل تور وباليث . ويختلف اسم الارباب في الاعتبارات ايجاداً وعدماء وهكذا يعبد بعل مثلاً في قرطاجنة باسم ولوش ويعتبر عدماء . وقد تنوب عن هذه الارباب أصنام ولها معابد ومذابح وكهنة

يعظمون من شأنهم ويقيمون لهم المآدب والاعیاد الخافلة باعتبار كونهم
 موجدین ويقدمون لهم ضحایا بشریة باعتبار كونهم مخربین وتعبد عشتروت
 ربة الصید العظيمة في الغابات المقدسة ویصورونها على شكل هلال القمر
 والحمامة ويرسم بعل مولوش في قرطاجنة تمثالا عظیما من القنز باسطا ذراعیه
 ومدلیهما واذا ارادوا تسكين غضبه یرفعون على یدیه اطفالا تسقط للحال في
 هاویة من نار . وقد قدم اعبان مدينة قرطاجنة مائتي طفل من اولادهم ضحایا
 للربة مولوش في خلال حصار اغانوكل لقرطاجنة

هذا وان تلك الديانة على ما نشأت علیه من الشهوات وسفك الدماء
 لترهب الشعوب الاخرى ولكنهم يحاكونها ویأتمون بها فكان یذبح اليهود
 لبعل على الجبال ويعبد اليونان استارتيه وصیدون باسم افرو ديت وبعل ملخارت
 من صور تحت اسم هيراكليس

التجارة الفینیقیة

استغال الفینیقیين -- عاش الفینیقیون بالتجارة لازدحام أقدامهم في بقعة
 ضيقة من الارض ولم یکن لسائر شعوب الشرق من مصریین وکلدانیین
 واشوریین ولا قبائل الغرب البربریة (الاسبان والغالیين والطلیانیان) عهد
 یركوب البحار وشرق العباب والفینیقیون وخدم جرأوا في تلك الايام على
 تجشم البحر فصح ان یدعوا من اجل هذا عملاء تجارة العالم القديم وقادة
 البیع والشراء یناعون من كل شعب سلعه ویتقايضون معه على غلات البلاد
 الاخرى تجارة كانت مستحكمة الصلات مع الشرق برأ والغرب بحرأ
 القوافل -- اعناد الفینیقیون ان یرسلوا في البر قوافل تنجہ وجهات ثلاث
 احداها الى بلاد العرب لتأتي منها بالذهب والعقیق الیانی والبخور والصبر

وعطور بلاد العرب واللؤلؤ والابازير والعاج والابنوس وريش النعام وقرود الهند. والقافلة الثانية ترحل الى بلاد اشور لتعود منها بانسجة القطن والكتان والحر والاحجار الكريمة والماء المعطر وحرير الصين . وتقصد القافلة الثالثة انحاء البحر الاسود لتستجلب منها الخيل والرقيق والالوانى النحاسية من مصنوعات سكان جبال قافقاسيا « القوقاز »

بحريتهم -- بنى الفينيقيون بخشب ارز لبنان المتين قوارب باسرة ومجاذيف حملوا عليها متاجرهم البحرية وما مست حاجتهم ان يكونوا ابداء على مقربة من الشواطئ في ركوبهم البحر اذ كانوا يتجهون حيثما ارادوا بجعل نجمة القطب قيد نواظرهم وكانوا يستدلون بها على الشمال . ولقد فطر الفينيقيون على الاستخاف بركوب اليم فالفوا بانفسهم في مراكب صغيرة تغدو بهم وتروح في اطراف البحر الرومي بل جرأوا على اجتياز مضيق جبل طارق او كما دعاه القدماء « اعمدة هيركول » فيجتازون البحر المحيط الى شواطئ انكلترا وربما بلغوا بلاد النروج . سافرت عصابة منهم في خدمة احد ملوك مصر في القرن السابع وجازت البحر الرومي لتطوف حوالى افريقية ثم رجعت على ما قيل بعد ثلث سنين من البحر الاحمر وغادرت قرطاجنة حملة ضربت نحو شاطئ افريقية الى خليج غينة . وقد كسب القائد حانون قصة في هذه الرحلة

البضائع -- كان الفينيقيون يبنعون محاصيل صناعات الشعوب المتمدنة ويبحثون في البلاد المتوحشة عما يقل الظفر به في المشرق من المحاميل . يصطادون الصدف من شاطئ بلاد اليونان ومنه يستخرجون صباغاً احمر وهو الارجوان . وكانت الانسجة الارجوانية تستعمل عند الاقدمين كافة

ملابس للملوك والامراء ويجلبون الفضة التي يستخرجها أهل اسبانيا وسردينيا من مناجمهم وكان القصد من ضرورياتهم يستعملونه في صنع النحاس الاصفر وهو مركب من نحاس وقصدير لا أثر له في بلاد الشرق ولذا كان الفينيقيون يرحلون في طلبه وينشدونه حتى في شواطئ انكلترا في جزائر القصدير المعروفة بجزائر كاسيتريد . وحيثما حلوا يتخذون الرقيق يبتاعونه نارة كما كان يبتاع النحاس العبيد في ساحل افريقية . اذ الشعوب القديمة كلها كانت تجر بالرقيق . وينزلون طورا في احدى السواحل فجأة فيختطفون النساء والاطفال وينقلون بهم الى بلادهم او يبيعونهم في القاصية . واذا واتهم الحال ينقلون قرصانا ولا يحامون إطالة يد التعدي على الاغيار :

سرّ اختص به الفينيقيون — لم يعلق الفينيقيون إلا من قيام بحارة الامم الاخرى الى منازعتهم السلطة على البحار ومجاراتهم في الملاحة والاتجار فن ثم كانوا يكتدون الطريق التي يسلكونها لدن عودتهم من لاقطار النائية ولذا لم يعرف احد في القديم جهة جزر الكاسيتريد المشهورة التي جلبوا منها القصدير . وقد رأت احدى المراكب بلاد اسبانيا التي كانت لها صلات تجارية مع فينيقية منذ قرون عرضا بدون تعمل . وكانت قرطاجنة تغزو من تصادفهم من التجار الاجانب في سردينيا او في ناحية جبل طارق . حتى ان ربان احدى المراكب أغرق سفينته ذات يوم عندما رأى سفينة غريبة تطارده مخافة ان تطلع على خطة سيره

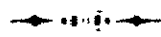
مستعمراتها — انشأ الفينيقيون مكاتب تجارية في البلاد التي اتجروا فيها وهي مراكز للبرد حصينة واقمة على شاطئ بحر على مرفأ طبيعي يخرجون اليها بضائعهم وهي في العادة انسجة ونخار وحلي واصنام فيأتي أهل تلك البلاد

بغلاتهم فيقايضونهم عليها كما يقايض اليوم تجار الاوربيين ذنوج افريقية .
 نقام أمثال هذه الاسواق في قبرص ومصر وجميع بلاد البحر الرومي التي
 كانت على همجيتها مثل اقريطش (كريت) وبلاد اليونان وصقلية وافريقية
 ومالطة وسردينيا وشواطئ اسبانيا (مالقة وقادس) وربما أقاموها في بلاد
 الغول (موناكو) وكان اهل البلاد يبنون اكواخهم حول بنايات الفينيقيين
 فيصبح السوق مدينة ويقتبس السكان ارباب الفينيقيين وقد دامت عبادة ربة
 على صورة الحمامة حتى بعد ان صارت المدينة يونانية كما في سبتير والرب
 ملخارت كما في كورنت ورب ذو جهة ثور يفترس الضحايا البشرية كما في
 اقريطش

نفوذ الفينيقيين -- لم يكن يخطر للفينيقيين شيء على بال لما أسسوا
 مكاتبهم التجارية إلا الاحتفاظ بمصلحتهم الخاصة ولكن حدث ان نفعت
 مسعمراتهم المدن فان برابرة الغرب اخذوا عن أمم الشرق وكانت أكثر
 منها تمدناً كيفية صنع الانسجة والحلي والماعون وتعلموا محاسنها مضي حين
 من الدهر واليونان لم يعرفوا غير الاواني والحلي والاصنام التي يأتيهم بها
 الفينيقيون وعلى منوال هذه البضائع نسجوا بعد فان الفينيقيين حملوا من
 مصر واشور الصناعة والبضائع معاً

الابجدية -- حمل الفينيقيون ايضاً الى البلاد التي نزلوها ابجديتهم وحروف
 الهجاء ولم يخترعوا الخط اذ كان المصريون يعرفون الكتابة قبلهم بقرون وقد
 استعملوا حروفاً تدل كل منها على صوت كما هو الحال في حروف الافرنج .
 على ان خطهم كان مشوشاً بعلامات قديمة يدل بعضها على مقطع وآخر على
 كلمة برمتها . لا جرم انه اقتضى للفينيقيين اذ ذاك طريقة أبسط لكتابة

رسائلهم التجارية فاطرحوا العلامات كلها من مقاطع وصور ولم يبقوا سوى
 اثنين وعشرين حرفاً يدل كل منها على صوت او على لفظ باللسان فاقبست
 الشعوب الاخرى هذه الابدجية المؤلفة من اثنين وعشرين حرفاً. فقد كتب
 اليهود من اليمين الى الشمال كما كتب الفينيقيون وكتب غيرهم كاليونان من
 الشمال الى اليمين وكلهم بدلوا شكل الحروف إلا قليلاً . والخط الفينيقي على
 التحقيق أصل الابدجيات كلها من يهودي وليسي ويوناني وايتاليكي
 وابتروسكي وايبيرسكي وربما كان الخط النروجي ايضاً فالفينيقيون هم الذين
 علموا العالم الكتابة



الاسرائيليون

العبرانيون

التوراة - جمع اليهود أسفارهم المقدسة باسمها في سفر واحد دعوه
 التوراة وهو اسم يوناني معناه الكتاب هذا هو سفر اليهود الجليل وقد صار
 لاهل النصرانية ايضاً كتاباً مقدساً . وفي التوراة ايضاً تاريخ الامة اليهودية
 ولقد استفدنا كل ما اتصل بنا عن الشعب المقدس من الكتب المقدسة

العبرانيون - لما نزل الساميون من جبال ارمينية الى سهول الفرات
 أخذت احدى قبائلهم على عهد مملكة الكلدان الاولى تضرب نحو الغرب .
 فجازت الفرات فالفقر فسورية وبلغت بلاد الأردن وراء فينيقية وتعرف هذه
 القبائل بالعبرانيين يعني اهل ما وراء النهر وهم كمعظم الساميين شعب من
 الرعاة الرحالة لم يحرقوا الارض ولا سكنوا الدور والمنازل بل كانوا يتنقلون

من مكان الى آخر في قطمان بقرهم وغنمهم وجمالهم منتجعين المراعي آوين الى الخيام على نحو ما يعيش العرب في البادية اليوم . وفي سفر التكوين وصف هذه العيشة البدوية

البطاركة - كان السبط منهم أسرة كبيرة مؤلفة من الرئيس ونسائه واولاده ومواليه وكان للرئيس على الجميع سلطة مطلقة فكان بهذا السبط أباً وkahناً وقاضياً وملكاً . من اجل هذا دعونا هؤلاء الرؤساء البطاركة واعظهم ابراهيم ويعقوب فالاول اب العبرانيين والآخروالد الاسرائيليين اظهرتهما التوراة في مظهر رجلين ارسلهما الله ليرأسا شعباً مقدساً وقد اعطى ابراهيم ربه ميثاقاً ووعدته الطاعة هو ومن يأتي بعده من قومه فبشر الله ابراهيم بذرية تفوق نجوم السماء عدداً واطمأنت نفس يعقوب بان تكون منه امة عظيمة وشعب جم

الاسرائيليون - سمي يعقوب باسم اسرائيل اي مدافع عن الله لرؤيا رآها ودعي سبطه بني اسرائيل او الاسرائيليون . وذكرت التوراة ان القحط حدا يعقوب ان يغادر بلاد الاردن ليسكن واهل بيته صغارهم وكبارهم على التخوم الشرقية من مصر وهي البلاد التي دعاه يوسف احد ابنائه الى هبوطها وقد صار وزيراً لعزیزها احد القراعنة . وظلّ بنو اسرائيل في تلك الارحاء قروناً كثيرة فجاءوا وعددهم سبعون نسمة ونموا على قول التوراة حتى صار عددهم ستمائة الف رجل . خل عنك النساء والاولاد

نزول الوحي على موسى - افتتح عزيز مصر يسوم الاسرائيليين ضروب المظالم ويضطرم الى صنع الملاط والقرمد لا بتناء مدن حصينة فقام من بينهم اذ ذاك موسى احد ابنائهم وقد اوحى اليه ربه وعهد اليه ان ينقذهم من الجور

والعسف وكان يرعى غنمه ذات يوم على الجبل فظهر له ملك وسط عليقة تتلظى ثم سمع هذه الكلمات : « انا رب ابراهيم واسحق ويعقوب رأيت مادهم شعبي في مصر من الحزن وسمعت شكواه ممن يظلمونه وعرفت مايناله من العذاب ولذا نزلت لخلاصه مما ينتابه من المصريين لانزله بلاداً من ارض كنعان تفيض لبناً وعسلاً فتعال اذاً ارسلناك الى فرعون تخلص شعبي ابنا اسرائيل ونخرج بهم من مصر » فقاد موسى الاسرائيليين وهاجروا من مصر وهذا مايدعى بالخروج اوسفر الخروج واجتازوا بسفح جبل طور سيناء وهناك تلقوا شريعة الرب وأخذوا يتيهون جيلاً كاملاً في القفار جنوبي سورية اسرائيل في القفر — وكثيراً ما كان الاسرائيليون يودون الرجوع الى البلاد التي تركوها فيقولون : « انا لنذكر ما كنا نطعمه في مصر من السمك والقثاء والبطيخ والكراث والبصل نخليق بنا أن نؤمر علينا زعيماً يقودنا الى بلادنا وكان موسى يدعوهم الى الطاعة ثم بلغوا الارض التي وعد الله بها اذراريهم الارض الموعودة — دعيت أرض كنعان أو فلسطين فدعاها اليهود بلاد اسرائيل ثم دعيت بعد بلاد اليهودية ودعاها أهل النصرانية الارض المقدسة وهي بلاد جافة قاحلة في الصيف ولكن فيها جبال وآكام وصفتها التوراة بما يلي : لقد ساقك ربك القيوم الى بلد طيب ذات أنهار وينابيع في الارض تنبجس من الوادي وعلى الجبل بلد البر والشعير والكرم والتين والرمان والزيتون والزيت والعسل بلاد تأكل فيها خبزك آمناً من القحط لا ترزأ في مال ولا ينقصك شيء من رفاهية الحال. وبلغ عدد الاسرائيليين بعد الاحصاء عندئذ ٦٠١٧٠٠ رجل يحمل السلاح منقسمين الى اثني عشر سبطاً عشر منها من نسل يعقوب واثنان من نسل يوسف هذا عدا عن اللاويين

أو الكهنة وعددهم ٢٣ ألف رجل . وكانت تسكن البلاد التي نزلوها عدة شعوب صغيرة تدعى الكنعانيين فابادهم الاسرائيليون واستولوا على بلادهم « ديانة الاسرائيليين »

الله الفرد — عبد سائر الشعوب القديمة اربابا كثيرة أما الاسرائيليون فاعتقدوا بوجود إلهٍ منزّه عن الحيولى برأ العالم ودبره . ففي سفر التكوين ان الله خلق في البدء السموات والارض وقد خلق النبات والحيوان وخلق الانسان على صورته ومثاله فالبشر كلهم صنعة الله

شعب الله — بيد ان الله اختار من بين الناس جميعاً ابناء بني اسرائيل ليجعلهم شعبه وامته فدعا ابراهيم وقال له سأجعل بيني وبينك ذريتك عهداً لا كون ربك ورب ذريتك من بعدك . وقد تمثل الله ليعقوب قائلاً له : انا الله القادر اله آبائك فلا تخاف نزول مصر فساجعلك فيها امة عظيمة . ولما سأل موسى ربه عن اسمه اجابه : تقول لابناء اسرائيل اني انا الله السرمد اله آبائك ابراهيم واسحق ويعقوب ارسلني ربي اليكم هذا هو اسمي على الدهر

العهد — فبين الاسرائيليين والمولى تعالى اذا اتحد او عهد فالقيوم جلّ جلاله يحب الاسرائيليين ويدفع عنهم البوائق فهم والحالة هذه امة مقدسة « واعلى الشعوب كافة في نظره » وقد وعد ان يجعلهم سعداء اقوياء وتعهد الاسرائيليون ان يقابلوه على ذلك بان يعبدوه ويخدموه ويطيعوه فيما يريد عليهم كما يطاع المشرع والقاضي والمعلم

الوصايا العشر — أوحى القيوم الصمد عزّ شأنه مشرع بني اسرائيل بوصاياه الى موسى على جبل طور سيناء بين البرق والرعد وهي مسطورة في

لوحين وهما اللوحان اللذان كتب الله عليهما وصايا العشر بما نصه : لا يكن لك آلهة اخرى امامي لا تصنع لك تمثالا منحوتاً ولا صورة ما مما في السماء من فوق وما في الارض من تحت وما في الماء من تحت الارض لا تسجد لهن ولا تعبدهن لاني انا الرب الهك اله غيور افتقد ذنوب الآباء في الابداء في الجيل الثالث والرابع من مبغضي واصنع احساناً الى ألوف من محبي وحافظي وصاياي لا تنطق باسم الرب الهك باطلا لان الرب لا يبرئ من نطق باسمه باطلا اذكر يوم السبت لتقدسه ستة ايام تعمل وتصنع جميع عملك واما اليوم السابع ففيه سبت للرب الهك لا تصنع عملاً ما أنت وابنك وابنتك وعبدك وامتك وبهيمنتك ونزريك الذي داخل ابوابك لان في ستة ايام صنع الرب السماء والارض والبحر وكل ما فيها واستراح في اليوم السابع لذلك بارك الرب يوم السبت وقدسه اكرم اباك وامك لكي تطول ايامك على الارض التي يعطيك الرب الهك لا تقتل لا تزني لا تسرق لا تشهد على قريبك شهادة زور لا تشته بيت قريبك لا تشته امرأة قريبك ولا عبده ولا امته ولا ثوره ولا حماره ولا شيئاً مما لقريبك

الشرية — على الاسرائيليين ما خلا هذه الوصايا العشر ان يعملوا بكثير من الاوامر الالهية مما ذكر في اسفار التوراة الخمسة الاولى وهي التي تتألف منها شريعة اسرائيل . فالشرية تنظم عندهم احتفالات العبادة وتعين اعياد (السبت كل سبعة ايام والفصح ذكرى خروجهم من مصر وجمعة الحصاد وعيد المظال في موسم قطف العنب) والشرية هي التي ترتب الزواج والاسرة والتملك والحكومة وتعين العقوبات على الجرائم وتحدد الاطعمة والادوية فالشرية عندهم والامر على ما ذكر مجلة الاحكام الدينية والسياسية والمدنية

والجزائية ولمولى الاسرائيليين تعالى أن ينظم أعمال حياتهم جميعها
 (الديانة الفت الشعب اليهودي) لم يقبل الاسرائيليون بحكم الله قبول
 من خضع وخضع فقد قال موسى للاويين وهو على فراش الموت دافعاً اليهم
 كتاب الشريعة « خذوا هذا الكتاب ليكون شهادة عليكم يا اسرائيل لاني
 عارف بما أنتم عليه من شكاسة الخلق وقساوة القلب ولم تبرحوا طول حياتي
 تبدون نواجذ العصيان على المولى القيوم فليت شعري ماذا يكون من شأنكم
 بعد مماتي . وقد حدث أن مرت قرون ومن العبرانيين من يعبد الاصنام
 وربما كانت هذه الفئة هي السواد الاعظم من الامة على انهم أصبحوا أشبه
 بسائر الساميين في سورية وظل الاسرائيليون وحدهم على قدم الاخلاص
 للمولى جل شأنه فتألف منهم الشعب اليهودي وخرج الشعب المبارك بدين
 الله المتعال من قبيلة مجهولة على التدرج . نعم انها لامة قليلة الحصى والعدد
 ولكنها من الامم التي لها الشأن الاعظم في تاريخ العالم

« ملكة القدس »

القضاة — نزل العبرانيون أرض فلسطين ولكنهم ظلوا منشقين قروناً
 كثيرة لم يكن لذلك العهد كما تقول التوراة ملك لاسرائيل بته بل كل يعمل
 على شاكلته ويحكم بما يوحى اليه رأيه . وكثيراً ما كان الاسرائيليون ينسون
 ربهم ويعبدون أرباب القبائل المجاورة فاستشاط ربهم عندئذ غضباً من سيئات
 أعمالهم وأسلمهم الى أيدي أعدائهم يفعلون بهم الافاعيل حتى اذا ندموا على
 ما فرطوا في جنب الله وأصبحوا خاضعين خائعين يرسل ربهم اليهم قضاة
 يسمعون في خلاصهم من أعدائهم المباغتين وربما مات القاضي وعاد دبيب
 الفساد يدب في نفوس الاسرائيليين فيسجدون لمعبودات أخرى . وكان

هؤلاء القضاة مثل جدعون ويفتاح وشمشون من الغزاة يحررون القبائل باسم القيوم الابدي ثم لا يلبث الشعب أن يعود الى عبادة الاوثان والتلطخ بحماة العبودية

الملوك - سئم الاسرائيليون آخر الامر وطلبوا الى شمويل (سموأل) الكاهن العظيم أن يجعل لهم ملكاً فلما عليهم شاول على رفهم ارادته وكان على هذا الملك أن يكون منفذاً خاضعاً لارادة الرب لكنه حاول الخروج عن الطاعة وشق عصا الجماعة فراح الكاهن العظيم يقول له : لقد نبذت كلام الله ظهرياً فسيبعدك ربك عن الحكومة وينزع السلطة من يدك . ثم ان داود وكان زعيماً جندياً خلفه وحمل على أعداء اسرائيل كافة واسترجع لهم جبل صهيون ونقل اليه عاصمته وهي القدس .

بيت المقدس - كانت القدس بالنسبة الى بابل وثيبة عاصمة بلاد فقيرة . وما كان العبرانيون يتعاطون البناء ويميلون الى العمران بل كانت ديانتهم تحظر عليهم اقامة المعابد وكان يقضى على مساكن الخاصة أن تشبه تلك المكعبات من الحجر التي لا تزال تشاهد الى اليوم في شواطئ لبنان وقد غشيتها الكروم والتين ولكن كانت القدس بلد اليهود المقدسة وكان فيها للملك قصر يسكنه ألا وهو قصر سليمان الذي دهش العبرانيون بعرشه المصنوع من العاج وهناك أقيم بيت الرب وهو أول معبد عبراني

المعبد - كان المعبد الذي أقيم على عهد سليمان كبيت القربان المقدس عند النصارى مقسوماً الى ثلاثة أقسام ففي داخله يقوم قديس القديسين حيث كان تابوت العهد ولم يكن يسمح لغير السكاهن العظيم أن يدخله مرة في السنة وفي وسطه المكان المقدس وكان فيه مذبح البخور ومسرحة ذات أغصان

سبعة ومائة الخبز يدخل اليه الكهنة لحرق الغالية ووضع القرابين وفي المقدمة ساحة البيعة مفتحة أبوابها للناس تنذر فيها الضحايا على المذبح الكبير. وعليه فقد صار معبد القدس بعد واسطة عقد الامة يقصدونه من اقاصي فلسطين لحضور الاحتفالات وكان الكاهن الكبير الذي يرجع اليه أمر العبادة من أعظم الرجال وربما كان في الاحايين أكبر سلطة من الملك

الانبياء

نكبات اسرائيل - ان سليمان آخر ملك عرف بالحول والطول وانفصل بعده عشرة اسباط ألفوا مملكة اسرائيل تلك المملكة التي عبد سكانها عجول الذهب وأرباب الفينيقيين ولم يخلص منها الدين لله وحده أو لملك بيت المقدس سوى سبطين ومنهما قامت مملكة يهوذا (٩٧٧) ولقد انتهكت قوى تينك المملكتين بما اضطررا الى دخوله من المعارك حتى اذا جاءتهما جيوش الفاتحين من الشرق خربت مملكة اسرائيل بأيدي بختنصر ملك الكلدان (٥٨٦)

احساس الاسرائيليين - رأى المؤمنون من الاسرائيليين هذه المصائب عقوبة لهم وان الله عذب شعبه لخروجه عن طاعته على نحو ماجرى قديماً على عهد القضاة وأسلمه للفاتحين يمزقونه كل ممزق . وركب أبناء اسرائيل هوام واجترحوا الآثام في جانب مولاهم فبنوا علايا وقصوراً في المدن كافة وحذوا حذو الامم المحيطة بهم خالفوا بذلك أمر ربهم وما حرمه عليهم فصنعوا صوراً مسبوكة وسجدوا للكواكب وعبدوا الصنم بعمل ولذا نبذ الله تعالى أصل اسرائيل وعاقبهم فجعلهم طعمة لمن يكتسح بلادهم ويسلب طارفهم وتلاذم الانبياء - على ذاك العهد ظهر الانبياء وهم الياس وأرميا وأشعيا وحزقيل وفي العادة أن يخرجوا من القفر بعد أن يقضوا زماناً في الصيام والصلاة

والاعتبار والتدبر يأتون باسم الله لا غزاة مثل القضاة بل منذرين وسبشرين يدعون الاسرائيليين الى الانابة وقلب الاصنام والتوبة الى باري النسم ويندرونهم بالخطوب التي يبعثها الله عليهم بعد اذا لم ينبوا اليه فكانوا من ثم يدعون ويتنبأون التعليم الجديد - رأى هؤلاء الرجال المستمسكون بالامر الالهى أن العبادة الرسمية في القدس غثة باردة . وليت شعري لم يذبحون البقر ويحرقون البخور اجلالاً لله على نحو ما يفعل الوثنيون . يقول عيسو : « أصيخوا إليّ باسماعكم وعوا ما يقوله تعالى : ما ذا أعمل بجموع قرايبتكم فقد شبعتم من ضحايا الغنم ومن دهن الحيوانات السمينه وما عاد يلذ لي دم الثيران ولا الخرفان ولا التيوس فكفوا إذاً عن أن تقدموا لي ضحايا هي من العبث فان نفسي عزفت عن استنشاق بخورك ومتى ترفعون أيديكم أحول نظري عنكم لان أيديكم ملأى بالدم المهرق فقوموا وطهروا أنفسكم وارجعوا عن سيئات أعمالكم عودوا أنفسكم عمل الصالحات وخذوها بتوخي طريق الرشاد وحماية المظلومين واقسطوا اليتيم ودافعوا عن الایم وعند ما تصير خطاياكم كالقرمزي حمراء تبيض كالثلج » وبهذا رأيت ان الانبياء أرادوا الاستعاضة عن القيام بالنذور والضحايا بالعدل وصالح الاعمال

المسيح - استحق بنو اسرائيل ما دهمهم من المصائب ولكن لكل قصاص حد ينتهي اليه وغاية يقف عندها فقد قال عيسو باسم الحي القيوم أيها الشعب لا تخشى الاشوري أبداً فانه سينالك من عصاه مثل ما كان ينالك من المصري في الزمن الغابر ولكن ستفتأ سورة غضبي قريباً ويرفع عن كاهلك ذاك العبء الثقيل . وعليه فقد علم الانبياء الشعب اليهودي أن ينتظروا بعثة من يخلصهم وهياؤوا السبل للمسيح

الشعب اليهودي

الرجوع الى بيت المقدس - جاء اناء يهوذا من سهل الفرات ولم ينسوا وطنهم ولطالما احتفلوا به وتذكروه في اناسيدهم يقولون جلسا على شاطئ انهار بابل وكنينا وقد ذكرنا صهيون . فعيدانا كانت معلقة في استجار الصفصاف على ضفة النهر وكان يقول لنا من أتوا لنا : آتوا بضع اناسيد من جبل صهيون ولكن أنى لنا ان تنغى بتيد للرب في ارض غريبة وبعد سبعين سنة في العبودية اذن سر وس فاتح بلاد بابل ان يعودوا الى فلسطين مجددا بناء البيت المقدس والمعبد وعادوا الى احياء الاعياد والاحتفالات بالكتب المقدسة وحددوا العيد مع ربهم علامة على اهبه عادوا الى طاعته وعدوا من تبعه وهذا العيد عبارة عن ميثاق على الاصول كتبه اعيان الشعب ووقعوا عليه .

اليهود - دامت مملكة القدس الصغرى مدة سبعة قرون يحكمها ملكت تارة وكاهن كبير أخرى وفي كلتا الحالتين كانت تؤدي الحرية الى رعماء سورية محبي حواها الفرس اولا ثم المقدونيون ثم السور يون ثم الرومانيون . ولقد صدق اليهود (دعوا كذلك لدن رجوعهم) مع ربهم ظلوا على عيدهم الاول من العمل بتريعه مومى والاحتفال بالاعياد وتقديم النذور في القدس وكان الكاهن الاكبر يحفظ التريعة بظاهرة مجمع الاعيان والكتبة ينقلونها والعلماء يفسرونها للشعب وجمهور المؤمنين يرون من واجبتهم الحري طليبا واهمل بدقيقها وجليبا واشتهر الفريسيون خاصة بعيرتهم وتدابيرهم في القيام بمسروب الاعمال الصالحة

المدارس (الكنائس) - ومع هذا فقد كان اليهود يرحلون في التجارة وينتسرون خارج بلادهم في مصر وسوريا وآسيا الصغرى وايطاليا وكانت طائفة من اهل مذهبهم في المدن الكبرى جميعا كالاسكندرية ودمشق واطاكية وافيس وكورنت ورومية وكانوا اندا يجتمعون في صعيد واحد ليحفظوا كيائهم ويجمعوا تملهم المتتت بين الوتبيين ولم يقيموا المعابد لان الشريعة كانت تحظر عليهم ذلك وليس لهم ان يبنوا سوى معبد يهودي واحد الا وهو معبد القدس حيث كان يحتفل بالاعياد وتقام المواسم والشعار بيد اهبهم كانوا يجتمعون ليشرحوا كلام الله ويتلوه ودعيت هذه الاماكن باسم يوناني (الكنيس) ومعناه المجالس حراب المعبد - ظهر المسيح في حلال تلك المدة فصالبه اليهود واضطهدوا حواريه سواء كان في بلادهم او في المدن الكبرى التي حل فيها اجم الغفير منهم . ولقد شقت القدس عصا الطاعة عام ٧٠ على الرومانيين فاحذت عنوة وذبح سكانها كافة او بيعوا الائمة والعبيد والقي الرومانيون النار في المعبد وقد حفل وطائهم بالاعلاق المقدسة . ومن يومئذ لم يعهد لليهود مجمع لدينهم

ما كتب على اليهود بعد تفرقهم - عاشت الامة اليهودية بعد خراب عاصمتها ولما انتهت
 ستمها تحت كل كوكب في العالم انتأت تستغي عن المعبد وابقت كتبها المقدسة مكتوبة
 بالعبرية . والعبرية لغة بني اسرائيل الاصلية لم يتكلم بها اليهود منذ رجوعهم من بابل بل اقتصروا
 لغات الشعوب المجاورة كالسريانية والكلدانية وخصوصا اليونانية . على ان الممورين في الدين
 من الربانيين ظلوا يعرفون العبرية وهم يتترجون التوراة ويسرونها وهكذا حفظت الديانة
 اليهودية ونفصل اللغة العبرية ايضا بقي الشعب اليهودي وكثر اتباع هذا الدين في الاعيار
 فكان في المملكة الرومانية اس كتيرون من يدينون باليهودية وليسوا من العنصر اليهودي
 في تبي .

قويت شوكة الكنيسة المسيحية في القرن الرابع فطقت تعطيد اليهود اصطهادا دام
 الى يوم الناس هذا في البلاد المسيحية جمعا . ومن العادة ان يتسامح مع اليهود في احراء مراسيم
 ديانتهم لغنائهم واستشارهم بفروع الاعمال المالية ونكسهم يحومهم عن ممارسة الوظائف الادارية
 ولقد اكرهوا في معظم المدن ان يلبسوا ثيابا خاصة ويلبوا في حي خاص مظلم وحيم ويل
 وان بعثوا احيانا باحدهم يصنع في سبب الفصحى الى ان يرموهم ناهيه بسمعون اليسابيع ويقتلون
 الاطفال ويدسون القبرين المقدسين ورموا بثورون بهم في الاحاس فيقتلونه ويحتمون ما في
 دورهم ويستقيهم قصاة الدلاد السم او يعدونه او يحرقون لاقل حجة تامة ولطائما بهم
 الحكومات رروا من بلادهم وصدرت امورهم ولقد اجتت دار اليهود من فرنسا واسبانيا
 وانكرا وايطاليا ولم تنق منهم بقية الا في الادارات والمانيا وبلجيكا وفي البلاد الاسلامية
 ومن هذه الممالك رجعوا الى سائر قارة اوروا منذ انتهت ايام اصطهاداتهم وكف الناس
 عن ارهاقهم واعنائهم



الفرس

دين وردشت

ايران - بين بهري دجلة والسند وبحر الحر والخليج الفارسي صقع عظيم يعرف ببلاد ايران تبلغ مساحته خمسة اضعاف مساحة فرنسا او تزيد ولكن معظمه نخدب قاحل وهو يتألف من صحارى رمال محرقة ومن اتحاد باردة قارسة اشقيا اودية عميقة شجرا وتحيط بها جبال شاهقة . واد حيل بين الالمهار وحريرا وهي لا تسير الا ربما تصيع في الرمال او في بحيرات مالحة . ويستمد هوا هذه البلاد ويقتب فيكون حرا في الصيف وقر في الشتاء وقد يجتار من يهبط هذه البلاد من منطقة تبلغ درجة حرارتها نحو ٣٢ تحت الصفر الى منطقة حرارتها ٢٥ ستفرادا بمعنى ان تلك البلاد جمعت الى ردسيريا حرارة السبعال . وهناك تعصف الرياح الرماح فيعزل في الاحسام فعل الحسام . بيد ان الاودية وضفاف الالمهر محصنة منبهة . وهذه البلاد هي ولا حرم مصدر الدراق وتخر الكرر ومستست التمار والمراعي الايرانيون - سكنت بلاد ايران قبل من الآريين (١) القاطنين بلخ اي بكتريا وهي الوطن الاصلي لخمس الآري (٢) كانوا كسائر ابناء هذه البلاد حنسا من الرعاة المسلمين الفخاريين . ولقد كان الايرانيون يقاتلون نبي ظهور الخيل ويطلقون السهام وينسبون البسة من الجلد يحعلونها وقاية على ابدانهم من هوا الادهم الشديد .

وردشت - سيد الايرانيون اولا ما عبده قبل الآريين من قوى الطبيعة وخصوص الشمس « ميترا » وقام بن اظهارهم حكيم اسمه وردشت (٣) له اد وله كتب كثيرة منها ما له علاقة بالشريعه ثم ظهر وردشت واصلى هذا الدين (٤) ويدعوه الافرج زرواستر فاضلى ديانة الايرانيين بين القرن العاشر والسابع قبل الميلاد ولم يلبسوا من احماره غير اسمه . الرانداستا (الرندو نازندواستا) - لم يبق شيء مكتوب يؤخر عن وردشت ولكن تعاليمه المؤلفة بعده يرمن طويل قد حفظت في الرانداستا اي التريعة والاصلاح وهو كتاب الفرس المقدس . وقد كتب هذا السمر بلغة قديمة لم يتبعها اتباع هذا المذهب انفسهم ودعواها

(١) ما كان في هذا الفصل بين هالين هو في الغالب من املاء العالم الدكتور مرزا مهدي حان زعيم الدولة ورئيس الحكماء صاحب جريدة حكمت الفارسية انجرا بصير واليه رجعا في اتجبع بعض الاعلام

اي الافرنج بارند « وكانت تنقسم على ماورد في اساطيرهم الى احدى وعشرين نسخة كتبت على اثني عشر الف جلد تور صم بعضها الى بعض باسلاك من الذهب وارادها المسلمون لما فتحوا بلاد فارس واحتفظت بعض اسرات ايرانية بتعاليم زردشت واخلصوا دينهم له فلجأوا الى بلاد الهند فحفظ فيها احلافهم المدعوون بارسيس تلك الديانة القديمة . وقد وجد عندهم سفر تام من الرانداوسنا وقطع من الكتابين الآخرين

اورمزد «هرمز وهرمس» واهرمين «رمر الى العقل والدمس وعمد العامة اله الخبير والشر» هذه ديانة زردشت على نحو ما ورد في تلك الكتب الا ان هرمز الذي يدعوه الافرنج اورمزد وهو الديان الذي لا يحيى عليه شيء خلق العالم والقوم يصلون له بهذه الالفاظ ادعوا الخالق هرمز واحتمل شعائره فانه الدور والضياء عظيم رحيم كامل تنهم ذكي جميل سام طاهر يعرف العلم الصحيح مصدر اللذة وهو الذي برأنا وصورتنا واضعما « واذ كان على جانب من الصلاح لم يخلق الا ما هو كذلك وما يرى في العالم من شر فقد برأه رب الشر انكرامانيو اي روح العذاب وندعوه اهرمين (وديو اي شيطان)

الملائكة والشياطين - يقف اهرمين الشقي المخرب قبالة هرمز الباريء الخليم ولكل منهما طائفة من الارواح جنود هرمز الملائكة المطهرون « ياراستا » وحمود اهرمين شياطين حباء (ديو) ويسكن الملائكة في الشرق في سوء المتشرق والشياطين في الغرب في ظلمات التسق وكلا الحيتين لا يزالان في حرب دائمة والعالم ساحة قتالهما لان كليهما حاصر في كل مكان فيسعى هرمز وملائكته الى الاحتفاظ بالخلق واسعادهم وصلاحهم ويطوف اهرمين وشياطينه حولهم لاهلاكهم وسوء طالعه وصلاحهم.

حلائق هرمز واهرمين - كل حسة في الارض هي من صنع هرمز ونستخدم للخير والشمس والضياء اللذان يطردان الليل والكواكب والشراب الخمر الذي يتراءى كأنه ضوء سيال والماء المروي للانسان والحقول المروسة التي تغذيها والاشجار التي يستظل بها والحيوانات الاهلية والكاب والطيور منها خصوصا ما يعيش فيها في الضوء ولا سيما الديك لانه يبشر بالنهار هذه كلها رآها هرمز . وعلى العكس يبعث كل ما يهر من اهرمين فيكون شراً مثل الليل والحفاف والبرد والقفر والنباتات السامة والتسوك والحيوانات الكاسرة والافاعي والحلمات الطفيلية (كالبعوض والبراغيث والبق) والحشرات التي تعيش في الحجور المظلمة كالصبيان والعقارب والصقار والحردان والنمل - وهكذا تبعت الحياة والطهارة والحقيقة والعمل وكل ما حسن في عالم الاخلاق من هرمز . والموت والقذارة والكذب والكسل وكل ما حبت وساء يبعث من اهرمين

العبادة - مصدر العبادة والاحلاق من هذا الاعتقاد فعلى المرء ان يعبد رب الخير (١) ويناضل عنه . يقول هيرودتس : ان من عادة الفرس ان لا يقيموا هياكل ومعابد ومذابح الارباب و يعدّ من أقى ذلك كافراً بالنعمة لان هذه الامة لا تؤمن بقد اعتقاد اليونان من ان الارباب صورة على نحو صورة البشر . وان هرمليليدو بهينة النار او الشمس ولدا يحفل الفرس بعبادتهم في الحلاء على الجبال امام موقد مستنعل فيستدون الاناسيد تحيداً لهرمر ويذبحون له الحيوانات (كذا) دليلاً على عبادته

الاخلاق - اصل الاساس عن هرمر محسباً لعمله مقبلاً لعمل اهرمين فيجاهد في الطلمات وهو يمد النار بالخطب الخاف والمطور ويجاهد في القفر تحرت الارض وابتداء البيوت ويجاهد حيوانات اهرمين قتل الحيات والصاب والحلمات الطفيلية والحيوانات الكاسرة ويجاهد الدس وذلك انه يتطهر ويدفع عنه كل ما مات وخصوصاً الاطافر والشعور وحيثما وجدت الشعور والاطافر المقصودة هناك يجتمع الشياطين والحيوانات القدرة . ويجاهد الكذب حارياً على قدم الصدق . قال هيرودتس ان الفرس يستحقون الكذب وهو عندهم عار وسبة كما انهم يكرهون الاستدانة لان المديون يكذب بالضرورة . ويجاهد الموت وذلك بالزواج والاستكثار من الولد . كما في الزنادقة ما اقم البيوت التي حرمت من السبل والدراري الحائر - متى مات الاساس تعود حسنه الى رب الشر ولذلك يقيم في انقاد الدار منها لا باحراقها فانها تحبس الدار ولا تدفنها فانها تحبس الارض ولا اعراقها فانها تحبس الماء ومن فعل ذلك فيكون قد تنطخ بحياة القذارة ابد الدهر . وطريقة الفرس في دفن موتاهم تختلف عن غيرهم من الامم فيجعلون الحنة في مكان عال مكشوفة حننها نحو السماء مثقلة احجاراً ثم يركبون الى الفرار حشية من الشياطين لانها تجتمع رغبهم في اماكن الدفن حيث مأوى المرض والحى والقذارة والرعب والشعور القديمة وعندها تجي الكلاب والطيور وهي من الحيوانات الطاهرة فتظهر احنة بافتراسها

مصير الارواح - تفصل روح الميت عن جسده وفي اليوم الثالث من موتها يؤتى بالروح على الصراط (شايوا) المؤدي الى الجنة ماراً فوق هاوية جهنم فيسأل هرمر الروح عندئذ عن حياتها السالفة فان كانت محسنة تعصدها الارواح الطاهرة وارواح الكلاب وتأخذ بيدها لاجتياز الصراط ويدخلها الى مقام السعداء (برودس اي فردوس)

(١) ان بعض روادقه الفرس امهدا (هم في ارض الحريرة) يعبدون رب الشر على عكس ذلك وينهبون الى ان امذهب الخير لما كان في داته سالخا ورحيماً لا حاجة ان يخضع له و يقترب اليه بانواع القربات وتدعى هذه الطائفة اليزيدية (عبدة الشيطان) قاله المؤلف

فيهرب الشياطين لاجلها لتجافى عن روح الارواح النقية اما روح الشرير فيصل على العكس من ذلك الى الصراط ضعيفة مرتجفة لا يأخذ احد بيدها ويلقي بها الشياطين في الهاوية ويتناولها روح الشر ويقيدها في قعر الظلمات .

طبيعة الديانة الهرمزية او الهرمسية المردية - نشأت هذه الديانة في بلد يستند فيه الاختلاف والتناقض فمهما الاودية الباسمة بررعها والاراضي البائرة المحزنة والواحات الرطبة والقفار المحرقة والحقول والسهول الرمزية بحيث «رأى قوى الطبيعة فيها كأمها في حرب عوان اندأ . وهذا الجهاد الذي يمثل للفرسي فيما يحيط به قد اتحدته شريعة للعالم . وهكذا تألفت ديانة حاضرة من التوائب تدفع بالانسان الى العمل والفضيلة على حين قد انتشر هذا الاعتقاد بالتيطان والخن في الغرب وشغل شعوب اورنا كافة بالاوهام .

المملكة الفارسية

الماديون (١) - سكنت بلاد ايران عدة قبائل ولم يشتهر من بينها سوى الماديون والفرس حيم الماديون في غرب بلاد فارس وهم اقرب الى الآشوريين ولذلك كان يلى ايديهم حراب يسوى واولادها « ٦٢٥ » ولكن لم يلبسوا انب استعرقوا في الدروب واشتاوا يتحدون بيابا مسدولة وبألمون البطالة ويعتقدون اعتقادات خرافية شأن الآشوريين الساقطين وما رالوا على ذلك حتى امزجوا معهم اي امزاج

الفرس - اما الفرس فكانوا في الانحاء الشرقية (والجنوبية) واحمضوا اخلاقهم وديانهم وشديتهم . يقول هيرداس ان الفرس لا يعلمون اولادهم الى سن العشرين عبر ركوب الحبل ورمي النشار وقول الصدق .

قورش اوسيروس او كيجسرو - قام رئيسهم قورش حوالي سنة ٥٦٠ وخلق ملكت الماديون (الذي هو حده لأمه) وجمع تحت لوائه شعوب ايران كافة وفتح بهم ليديا وبابل وجميع بلاد آسيا الصغرى . ويروى لهذا الملك قصة قصصها هيروداس في تاريخه بضميلاً شافياً قال انه دعا نفسه في بعض مآزره على الاحجار بقوله انا قورش ملكت الكنائس والعظمة والاقدار انا ملك بابل وسومير واكاد ملكت الاقاليم الاربعة وابن كبير (كيكاسوس) وسلطان سوزان رسوم بيستون - اهلك كبير بكر اولاد قورش احاه سمرديس وفتح مصر (على قول اليونان) علماً ذلك مما اتصل بنا من الرسم الذي مثل فيه ذلك ولا تزال ترى الى اليوم في تحوم الفرس

(١) (بلاد مادي اسمها العرب بلاد الجبل والعراق المجعي واررنايجان واسرabad اي ولايات فارس وكرمان ومكران اي بلوچستان وخراسان)

وسط سهل افج صخرة هائلة تحت نحتاً عمودياً علوها ٢٥٠ متراً وهي صخرة يستون وهناك حروف ناتئة على الحجر تمثل ملكاً متوجاً ويده اليسرى على قوس وهو يدوس اسيراً وتسعة اسرى آخرون واقفون امامه وقد قيدهم بنفسه . وكتبت ترجمة حياة الملك في رسم بتلات لغات فقد اعلن الملك دار يوس « دارا » ذلك فقال : هذا ما قت به قبل ان اعدو ملكاً فقد كان كمبيز بن قورش من بني جنسنا يحكم هنا قبلي وكان له اح لانيه وامه واسمه سميرديس فقتل دات يوم كمبيز احاه سميرديس ولا علم للقوم بما حنته يداه . ثم وجه كمبيز وجهته نحو مصر وبينما هو نازل فيها تار به الشعب وكان قد اصبح الكذب مألوفاً اذ داك في تلك البلاد وفي بلاد مادي وسائر العائلات فقام موبدان « ١ » كان حاصراً اذ داك اسمه عوماتا وحدث الامة بقوله : انا سميرديس بن قورش وعندئذ انقضض الشعب اجمع وانصرفوا نحوه متخفين عن كمبيز . ثم قصي كمبيز نحوه بحراج حرج نفسه به وبعد ان اتى عوماتا ما اتى من هذه الحيلة واستلب من كمبيز بلاد الفرس ومادي وسائر الاقطار حرى في الحطة التي شاءها وصار ملكاً على هذه البلاد وحاكماً متحكماً في اهلها . فخافه الشعب لظلمه وكان لا يستنكف من قتل الامة عن بكره ايها لئلا تنكشف حيلته ويعرف القوم انه اصيق بسميرديس بن قورش ودعي في اسمه وقد اظهر لملك دار يوس هذه الحديعة ولم يكن احدي في بلاد الفرس ومادي يحجراً على استرجاع تاج الملك من هذا الموبدان عوماتا . قال دارا بعد ان قدم ما سلم وعندئذ قدمت ودعوت الرب هرمر فاداني بالتوسل به وكان في صحبتي ناس دوو احلاص وصدق واعانوني على قتل عوماتا وخاصة رحاله فاصحت ممكاً نسيئة هرمر واستعدت الملك الذي كان نوقومنا سلبوه وارحمته الى حورتي واحدت اعيد المدايح التي طوى بساطها الموبدان عوماتا وذلك لاني كنت محلصاً للامة واعدت الاناسيد والاحتفالات المقدسة الى سابق عهدها . واضطر دارا بعد ان صرب داك الدحيل عوماتا ضربة قاضية ان يقاتل عدة زعماء تائرين فقال لقد قاتلت تسع عشرة مرة وعلمت تسعة ملوك

المملكة الفارسية - علم نامضي ان دارا احضع المملكة المحتلة واعاد مملكة الفرس وقد وسع نطاقها بفتح تراس « تراتيا وهي اليوم بلاد الملغار والرومي » وولاية من الهند . وكان ينصم تحت لوائه شعوب الشرق اجمع من ماديين و فرس و اشوريين وكدايين ويهود وفيدقيين وسوريين وليديين ومصريين وهنديين فكان سيف سطوته يحمي الاصقاع الواقعة بين نهر الدانوب « الطوبة » عرباً وهرالاندوس (السند) شرقاً وبين بحر الحرر شمالاً الى شلالات النيل جنوباً . مملكة لم يعهد لها متيل في الضخامة (١٢٠ مملكة) بيد ان قبيلة جاءت بعد

(١) (موبد موبدان اي رئيس الكهنة)

واستولت على تركة الممالك الآسيوية باجمعها

اقبال الفرس - فلما يعني ملوك الشرق بامر رعاياهم الا ليستنزفوا اموالهم ويمتنعوا في سبيل سلطانهم ابناءهم وينالوا مديحهم وتناءهم وما قط اخذوا انفسهم النظر في شؤون من يحكمونهم. وكان شأن دارا (١) في هذا المعنى شأن سائر ملوك الشرق ترك كل قبيل في بلاده يحكم نفسه على ما يشاء ويشاء هواه محافظاً بلغته ودينه وشرائعه واحياناً رؤسائه وسادته من قبل . على انه كان يعنى بتنظيم دخل المملكة الذي ينقاضه من رعاياه فقسم بلاده الى عشرين (١) حكومة سماها امارة . وكان في كل حكومة شعوب مختلفة كل الاختلاف سواء كان بلعها او بعاداتها ومعتقداتها وكان على كل حكومة ان تؤدي مساهمة حراجاً معيناً بعضه نقد " ذهب وفضة " وبعضه علات وبنائج " قمح وحبيل وعاج " فينقاضي حاكم كل مقاطعة او قبيلتها ممن وسد اليه امرها الخراج ويبيع منه الى مولاه الملك

دخل المملكة بلغ مجموع دخل الملك ثمانين مليوناً نسكة زماماً ما عدا حراج العلات . واذا اعتبرنا قيمة النقود في ذلك العصر فاما تعادل ستانته ما بين جنيته (?) في ايامنا . وكان الملك يثق هذا على حكومته وحيثه وحاضته و مدح قصره ويبي عنده كل سنة سياتك عظيمة من العبيد يدخرها في صادياته وكان ملك الفرس مثل سائر الملوك المشاركة يرى امتلاك الكنوز العظيمة من دواعي الامة وانتمجد

السلطان الاعظم - لم يكن في العالم اعنى ولا اقدر من ملك الفرس فقد كان اليونان يدعونه السلطان الاعظم . (ملك الملوك شاهنشاه) وكان له كسائر ملوك الشرق سلطة مطلقة على رعاياه كافة فرسا كانوا ام غيرهم من سائر الشعوب الخاضعة لعرشه . وانت ترى فيما ذكره هيرودتس كيف كان كبير يعامل اعظم سادات قصره سأل يوماً بريكستاس (ري كشتاسباي روح العظمة) وكان ابنه يسقيه ماداً ثقول الامة في امري ؟ فاحابه . مولاي انهم ياثنون على محامدك اطيب التناء ولكسهم يذهبون الى ان لك ميلاً قليلاً للعدو

١ (هو انتدع طريقة البريد وتجنيد العشرة والمئات والالوف الخ وحمل لكل مملكة حاكماً مدنياً وحاكماً عسكرياً وحمل كلا عينا على صاحبه يرسلان اليه بتقاريرهما كل اسبوع)

٢ قال المؤلف ذكر هيرودتس عشرين حكومة وقد عثر في الرسوم المزبورة على احدى وتلاتين حكومة قال مرزا مهدي حان الظاهر ان هذا الالتباس في تقدير الاعداد جاء من ان ممالك هذا الفاتح العظيم كانت منقسمة لثلاثة اقسام منها مملكتا مادي والفرس الخاصة وما بقى منها قسمان قسم استعماري وقسم استملاكي

قال كبيز وقد استشاط غضبا من هذا . اعلم اذا كان الفرس يقولون حقاً وصدقاً . فاذا انار ميت
بسهمي قلب انك الذي تراه واقفاً امامك في هذا البهو فذلك ان الفرس لا يعرفون ما يقولون .
وما هو الا ان اعد قوسه وضرب ابن بريكتاسب حجرة الفتى صريعاً فحماه الملك بنظر اين
اصابه سهمه فراه قد اصماه ومزق حشاه . فاستفر السرور الملك وقال لوالد العلام وهو
ضاحك : لقد رأيت بهذا ان الفرس قد اضاعوا رشدهم فقل لي هل عهدت احداً يطلق
السهم اطلاقاً له فيصيب العاية على ما رأيت من الرشاقة . فقال بريكتاسب لا اعتقد ايها
المولى انه في وسع الرب نفسه ان يرمي النبال متلك في الدقة والاعتدال

اعمال الفرس . - ادى شعوب آسيا في كل دور من ادوارهم جريفة للفاتحين وحضعو للظالمين
والغاشمين فنفعهم الفرس كثيراً بان كفوا بعضهم عن مقاتلة بعض وازالوا من بسبب اسباب
التحناء وذلك لانهم اخضعوا كل الشعوب لرئيس واحد . وكان عهدهم عهد سلام لم تهد
فيه مدن تحرق ولا ديار تحرب ولا سكان تذبح او تؤخذ زرافات وافواجاً لتستعبد

مدينة سوس و برسو بوليس (١) . - عني ملوك الماديين والفرس باقامة القصور على نحو
ما كان يقيم ملوك اشور . واحسن ما اتصل بنا خبره من تلك القصور قصور دارا في سوس
وبرسو بوليس وقد حفر المسيو ديولاوا الافراسي خرابات سوس فعثر فيها على نقوش وقرامد
مرينة بالمينا تبين ارتقاء الصنائع اد ذاك وبقيت من قصر البرسو بوليس خرائب عظيمة
وقد نحت في صخر الجبل سطح عظيم قام عليه القصر وهو يوصل اليه سلم واسع بالمحدار فايل
بحيث كان يتأق لعشرة فرسان ان يصعدوه معاً

النقش الفارسي . - حدا نقاشو الفرس حذو الاشوريين في اقامة قصورهم فتجدها في
برسو بوليس كما تجدها في بلاد اشور سقوفاً متسعة السطوح يحرسها اسود من الحجر والنقوش
النائفة تمثل صيوداً واحنقالات . وقد احسن الفرس في اتمام نموذجاتهم في ثلاثة اشياء
وذلك بان استعملوا الرحام عوضاً عن القرميد وحعلوا في الردهات سقفاً بالخشب المصور واتسأوا
اعمدة حفيفة على شكل جدوع الاشجار في اقصى ما يعلم من الحداقة واللفظ وهي اعلى من
محيطها باثنتي عشرة مرة . ولذلك جاءت نقوشهم اجمل اتراً ووقع في النفوس من نقوش
بلاد اشور . وقلما يجع الفرس في الصنائع ويظهر اهم كانوا احشم شعوب ذاك العصر
واظهرهم واتجمعهم وكانت وطأة حكمهم في آسيا مدة قريبين اقل حوراً مما عرف من خروب
الحكومات وكانوا اميل الى الرفق بمن يحكمون

(١) (سوس في ولاية شستر هي التي ظهرت فيها تريعة همورابي و برسو بوليس هي

اصطخر في ولاية فارس بالقرب من مدينة شيراز)

اليونان

العناصر اليونانية

صورة هذه البلاد - ارض يونان من الاقاليم الضيقة المضطرب (هي ٥٧.٠٠٠ كيلومتر مربع) لا تكاد تزداد عن مساحة سويسرا ولكنها بما فيها من اختلاف الالهوية وما يتخللها من الجبال وينقسمها من الخلجان اقليم غريب في شكله خلق ليؤثر تأثيراً كبيراً في احلاق ساكنيه . ونقطع ارض اليونان من وسطها سلسلة من الجبال (البند) فيناوح الجبل فيها جبلاً مثله ويقوم المخفر الى جانب الصخر حتى اذا بلغ ترعة كورت ينخفض وترتفع مقاطعة المورة في الجانب الآخر من التربة فيعلو عن سطح البحر ستمائة متر كأنه حصن احاطت به سلاسل عالية وعرة متلجة تنزل في البحر على خط قائم وتمتد الحزر على طول الشاطئ وما هي الا جبال مغمورة يمر راسها فوق الماء . ونقل في هذه الارض ذات الوهاد والنجاد التربة الزراعية وتكاد لا ترى حيثما القيت ناظرك غير صخور جرداء مرداء اما الانهار فتشبه سيولاً ليس فيها غير طريدة ضيقة من التربة المنبتة بين مجراها ونصفه جاف وبين صخور الجبال الخرداء . وكان في هذه البلاد الجميلة بعض عابات واتجار سرو وعار ونجيل وكروم عرست في مواضع من التلال ولكن قلما انت اعلاات جيدة او بمراعي خصبة . فبلاد هدا تأسر طبيعتها بشأناؤها هامة تنوقة قدودهم قوية اجسادهم قابعة نفوسهم .

البحر - تعد بلاد يونان من البلاد الساحلية وهي اصغر من البرغال وسواطئها تكاد تقرب من شواطئ اسبانيا لكثرتها يساب فيها البحر من عدة خلجان ووقائع (١) وتجار . ومن العادة ان يحيط بالبحر صخور لتقدم او جرر لتقارب يتألف منها مرماً طبيعي . وهذا البحر اتسبه بحيرة لامتد فيها ولا جزر ولذلك سلمت سواطئه من الصرر وليس لونه كالبحر المحيط ابيض كامداً كثيراً وهو في العادة هادي ، صاف ولونه كالبفسج كما يقول هوميروس ولا اكثر استعداداً من هذا البحر للسفر فيه سفرأ قصيراً . ولقد تهب ربح الشمال صيحة كل يوم فتسير بها قوارب مدينة آتينة نحو آسيا ونقذفها ربح الجنوب في المساء الى المرفأ والحزر من بلاد اليونان الى آسيا الصغرى قائمة مثل صخور الكمين واذا صحت السماء تقطع السفينة المسافة وهي بقربة من اليابسة تراها كل حين . ولذلك كان لسكان هذه البلاد من سككون بحرهم ناعت على ركونه واجتيازه فاصبح اليونان من تم بحارة وتجاراً وسياحاً

(١) في القاموس الواقعة نقرة في جبل او سهل يستنقع فيها الماء جمعه موقاع ووقائع

ولصوص بحر ومتشردين على نحو ما كان الفينيقيون فانتشروا في العالم القديم اجمع وجلبوا الى بلادهم سلع مصر وبلاد الكلدان وآسيا واحتراعاتها .

هواؤها - لطف هواء بلاد اليونان حتى ان الجليد في آنية لا يحدث الا في كل عشرين سنة والحر معتدل في الصيف بما يهب عليها من نسيم البحر والى اليوم لا يزال الشعب فيها ينام في الطرقات مند شهر مايو « ايار » الى اواخر سبتمبر « ايلول » والهواء فاتر جاف وكان يرى على بضعة فراسخ في القاعة المظلمة على آنية ريش تمثال بالاس وليست دوائر الجبال القاصية مسنورة بالضباب كما هو الحال عندما معاتثر الفرسيس بل انها تفعل بأسرها في السماء الصافية . هذه البلاد بحالها تدفع المرء ان يتخذ الحياة عيداً فيرى كل شيء باسم حواليه فمن رهة في الحدائق بالليل واستماع اصوات الصراخ من الجلوس في ضوء القمر والضرب باستباب وقصد الجبال للشرب من مائها واستنحباب الراح وتبربه على النفات والاعاني وقضاء الايام في الرقص هذه هي ملاد اليونان وما هي الا ملاد جيل من الناس فقير مقنصد فتي لا يعرف الهرم ابداً .

ساسة العيشة اليونانية -- لا يتعب المرء من حرارة هذه البلاد ولا يتقى ببردها بل يعيش في الهواء الطلق مسروراً قليل النفقة ولا تقضيه البلاد عذاء عزيزاً ولا ثياباً ثقيلة ولا داراً مرفهة . فقد كان اليوناني يتبلغ بحفمة من الربتون وسمك السردين ويلبس نعلاً وقيصاً ورداء كبيراً . وكثيراً ما كان يخرج حافياً مكتشف الرأس وداره بناية منيعة ليست من المتانة بحيث يدفع اللصوص عن دخولها تنقب حائطها ولا له من الاتات غير فراش وبعض لحف . يضع اوان جميلة ومصباح وكانت الجدران حالية من الرينة مبيضة بالحير « الكس » ولا يأوي الى الدار الا آونة النوم فقط .

بلاد اليونان الاصلية

اصل اليونان - كان اصل الشعب الساكن في هذه البلاد الجميلة الصيقة النطاق من الجنس الآري انساب الهنود والفرس حاوياً متلبهم من جبال آسيا . ولقد نسي اليونان تطواف اجدادهم الطويل فكانوا يقولون انهم ولدوا من التراب كالصراخير . بيد ان لغتهم واسماء اربابهم لم تترك مجالاً للشك في اصلهم . وكان اليونان الأول كسائر الآريين يقتاتون باللبن ولحوم القطعان ويسيرون مدحجين « اسلحتهم » وهم ابداً على قدم القتال ينضمون قذائل وفصائل تحت إمرة طاركتهم .

اساطيرهم - جهل اليونان اصولهم كسائر الشعوب القديمة فلم يكن لهم اعنسلو اسلافهم ولا بالزمن الذي توطنوا فيه ارض يونان ولا شيء من اخبارهم واعمالهم فيها . وان حفظ

ذكر الحوادث الطارئة كما وقعت ليتوقف على اعداد الاسباب لها ومن اسبابها الكذابة . غير ان اليونان لم يعرفوها الاً حوالى القرن الثامن (ق . م) ولم يكن لهم واسطة لحساب السنين تم اتخذوا بعد طريقة حساب السنين اعتباراً من المهرجان العظيم الذي كانوا يحتفلون به في اولبيا كل اربع سنين وتدعى هذه المدة السنة الاولمبية وقد وضعت الاولمبية الاولى عام ٧٧٦ فتسلسل تاريخ اليونان منذ ذاك الحين ولم يتصل بما وراء ذلك . ومع هذا فقد نقلت اساطير كثيرة عن هذه المدة الاولى في البلاد اليونانية وخصوصاً قصص قدماء الملوك والابطال الذين كانوا يعبدونهم كأنهم نصف ارباب وهذه الاقاصيص متشوبة بحكايات يتعذر الالمام بما فيها من حق وصدق فقد ذكروا في آتينة ان الملك الاول المدعوسكروبس كان نصفه ملكاً ونصفه حية وذكروا في تيبة ان كادموس مؤسس المدينة جاء من فيديقية للبحث عن اوت اورويا التي حطمها تور وكان قبل ثيناً وزرع اصراسه فنبئت منها مقاتلة ومنهم مناسلت الاسرار الشريفة في تيبة وزعموا في مدينة ارغوس ان اصل الاسرة المالكة من بيلوبس وكان اعطاها المعبود زيوس كتحفاً من العاج للاستعاضة عن كنفه التي اكلتها احدى الارباب . وهكذا كان لكل بلد اساطير يتلونها ويتناقولونها وظل ابناء يونان يذكرونها الى ما بعد ويتبتون لابطالهم القدماء نصيباً من روح الرواية مثل ابطالهم برسي وبيليزوفون وهيراكليس ونيري ومينوس وكاستورس وبولوكس وميليا كرس واديس ومعظم اليونانيين بل ان الطبقة المنورة منهم اتحدوا هذه التقاليد حقائق لاراع فيها الا قليلاً . تلقوها على محوما تؤحد الحوادث التاريخية احبار الحرب بين ابي اديس ملك بيبه وحملة الارغونوت التي سافرت في طلب حزة الكبش التي قام بحراستها ثوران لها ارحل من قلز نقذف النار من افواهها .

حرب طروادة — اشتهر هذه الاقاصيص كلها حروب طروادة وهي اوسعها بياناً وتفصيلاً فيروى انه كان نحو القرن الثاني عشر مدينة عنية ذات سطوة اسمها طروادة وكانت الحاكمة المحكمة على شاطئ القارة الآسيوية فجاء احد امراء هذه المدينة واسمه باريس الى ارض يونان وسبي هيلانة حليمة ميلاس ملك اسبارطة فانفق اعامنون ملك ارغوس مع سائر ملوك اليونان وانفذوا لحصار طروادة حيثما يونانياً على اسطول مؤلف من الف ومائتي سفينة فدام الحصار عشرين سنين اذ كان الرب ريبوس راضياً عن الطرواديين عاقداً النصر اليهم . ولقد اشترك متتابعه اليونان كافة في هذا الحصار فقتل هكتور رئيس المدافعين عن حياض طروادة بيد اشيل وكان اجمل اليونانيين خلقة واشجعهم نفساً وجز جثته حول المدينة . فباتلي اشيل بسلاح الهي وهبته اياه امه ربة البحر ثم هلك بسهم اصابه في عقبه . حتى اذا

يُشس اليونان من الاستيلاء على المدينة بالقوة عمدوا الى الحيلة فاوهموا انهم ازمعوا الرحيل وتركوا وراءهم حصاناً صخماً الجثة من حشب احتبأ فيه رعاء الجيش فاحد الطرواديين هذا الحصان وادخلوه مدينتهم فلما جن الليل خرج القواد منه وفتحوا ابواب المدينة لليونان فخرقت طروادة وذبح الرجال واستعبد النساء .

ولما قفل زعماء اليونان من عنراتهم هبت عليهم العاصفة فغرق بعضهم في البحر وقذفت الالواء بفريق مهم الى سواطيء بعيدة وكان من حظ عولس اكثر هؤلاء الرعاء جريرة ودهاء واطولهم يدآ في كيد المكاييد ان قضى عشر سنين نتقاذف به البلاد حتى ادت به الحال ان فقد سفنه جمعاء ونجا من الغرق برأسه .

وبعد فقد كان الاعتقاد بحرب طروادة شائعاً في القرون القديمة شيوع الاحبار التابعة . ورعم القوم ان غاية الحصار كانت سنة ١١٨٤ وحددوا مركز تلك المدينة . وقد خطر للمسيو شيلمان من علماء الآثار سنة ١٨٧٤ ان يحفر محل هذه المدينة فاقضى له ان يزيل انقاض عدة مدائن منضدة بعضها فوق بعض فعثر على عمق خمسة عشر متراً في اعماق طبقة من تلك الانقاض على آثار مدينة حصينة استحالت رماداً وظفر في خرائب اهم تلك الانية بصندوق مليء بالحلي من ذهب سماه كبربريام . وكان تمت نقش وكانت تلك المدينة التي ظهر سورها كله صغيرة حقيرة وعثروا فيها على عدد كثير من الاصنام الصغيرة الرديئة الصنع والوضع وهي تمثل رنة لها رأس بومة (وعلى هذه الصورة كان اليونان يمثلون الربة بالاس) ومع كل هذا فليس تمت دليل يقوم على ان هذه المدينة الصغيرة دعيت باسم طروادة قديماً .

ميسينيا --- ورد في الاساطير اليونانية ان الملك اعامنون الذي كان قائد الحملة اليونانية على مدينة طروادة كانت عاصمته مدينة طروادة وان زوجته قتلته عند عودته من هذه الغزاة ودون بالقرب من قصره . ولقد عرف اليونان مكان مدينة ميسينيا لانها كانت مأهولة الى القرن الخامس قبل المسيح ولا يزال الى اليوم حول الجبل سور من الصخور الصخمة مصفوفة بعضها فوق بعض بدون ملاط يلحم بين اجزائها وتحنها خمسة امتار وكان اليونان يدعون هذا السور الحيطان السيكلونية اعتقاداً منهم بان الحبايرة سيكلون قد اقاموا بنيانها ورفعوا قواعدا . ويدخل الى هذا السور من باب علوه زهاء ثلاثة امتار مؤلف من ثلاثة صخور هائلة وفوقها عمود بين اسدين منقوشين وهذا هو باب الاسود

ولما اكتشف شيلمان سنة ١٨٧٦ مدينة طروادة سرم ان يح عن قبر اعامنون في ميسينا وكان الحفر قد جرى فيها غير بعيد عن سطح الارض فحفر شيلمان في التراب

حتى وصل الى الصحر فلما كان على عشرة امتار من العمق عثر على ستة قبور فيها سبع عشرة جثة مع كمية كبيرة من الحلي الذهبية واساور وعقود ودبابيس وتيجان وسبعمئة سفيقة» ورقة ذهب» وزهاء مائتي سيف وحجر مع انصال مموهة بالذهب والفضة . وكان على وجوه بعض الجثث برفع من السفيقة وكانت هذه القبور على ما ظهر مدافن امراء ميسينا .

ومنذ ذلك العهد اكتشف الباحثون في كثير من انحاء اليونان اشياء كثيرة ومنها اواني خزفية وحلي تشبه بخوف ميسينا وحليها وقد عثر في بعض الاحيان بين هذه الدفائن على حلي مصرية من عهد الدولة التاسعة عشرة فاستنتجوا من ذلك انه كان في يونان منذ الزمن العريق في القدم (بين القرن الثامن عشر والحامس عشر م .) ملوك اصحاب شوكة يستطيعون معها انشاء مدن حصينة ذات غنى متوسط وتيسر لهم به ان يكبزو الكنوز ويستصعوا الآثار النفيسة وهذا ما دعي بالتمدن الميسيني .

اشعار هوميروس - ان القصيدتين المنسوبتين للشاعر هوميروس وهما الالياذة التي ذكرت فيها حروب اليونان ورجولية اشيل امام طروادة والاوديسية التي جاءت فيها حوادث عولس بعد سقوط طروادة . هاتان القصيدتان هما اللتان ادعيتا في اطراف العالم اجمع سقوط مدينة طروادة . وقد حفظتا قروناً دون ان يكتبيا فكان المعلنون الذين ألغوا الترحل يستظهرون اياتا طويلة منها ويشدون بها في الاعياد . وفي القرن السادس امر احد امراء أثينة واسمه كريسترات ان يجمع القصيدتان وتكتبيا فاصحتهما بعدد وما زالتا ابداً اجل الآداب اليونانية المشحمة المطربة . يقول اليونان ان مؤلفهما هوميروس كان احد ابناء يونان من مدينة ابونية وعاش نحو القرن التاسع او العاشر ويمثلونه على صفة شيخ صريع فقير يهبط ارضاً ويصعد ارضاً وتنازعت سبع مدن شرف سبته اليها تدني كل منها اليها مسقط رأسه وقد وقع التسليم بذلك تقليداً ندون مناقشة فيه . وفي اواخر القرن الثامن عشر قام احد علماء الالمان واسمه فولف وان بعض مناقص في هاتين القصيدتين اداه ان يحرم بائهما ليستا من نظم شاعر واحد ولكسهما كتاب مؤلف من مقاطيع اشعراء مختلفين وقد حمل اهل العلم على هذه القضية حملات منكرة وهم بين مثبت لها تماماً ومنكر لها تماماً وظلوا مدة نصف قرن يتنازعون في وجود هوميروس او دمه وما زال فريق اهل العلم الى اليوم على ان هذه المسألة متعذر حلها . ومن المؤكد ان هاته القصائد قديمة العهد جداً ربما كانت من القرن التاسع . الف الالياذة في آسيا الصغرى وربما تألفت من مجموع قصيدتين خصت احدهما بحروب طروادة وثانيتهما بجمادات اشيل اما الاوديسة فانها على ما يظهر من نظم شاعر واحد . ولكن ليس ثمة من دليل يقوم على انها من نظم مؤلف الالياذة بعينه .

اليونان على عهد هوميروس — يتعذر علينا ان نعمل في تاريخ اليونان الى قرون بعيدة .
 واشعار هوميروس اقدم مستند نساأناه . ولما نظم هذا الشاعر منظومته نحو القرن التاسع
 قبل المسيح لم يكن لبلاد اليونان اذ ذاك اسم يطلق على سكان اليونانية قاطبة فسماهم هوميروس
 باسم قبائلهم الاصلية ويطهر اسمهم كما وصفهم قد يحجوا منذ عادروا آسيا وعرفوا حرت
 الارض وبناء المدن الحصينة وتألفوا شعوبا صغيرة . واطاعوا ملوكاً لهم وكان لهم مجلس
 شيوخ ودار ندوة وقد فاحر اليونان بحكومتهم واحثقروا الشعوب النازلة بقرىهم لانهم
 كانوا دونهم فدعاهم البرابرة . ولقد صرح عولس بنخشونة السيكوليس بقوله : (ليس لهم
 قواعد في العدل ولا اندية يتشاورون فيها وافرادهم يحكمون ساءة واولادهم بالذات ولا
 يعنى بعضهم ببعض) ومع هذا فقد كان اليونان الى ذاك العهد نصف برابرة فلم يعرفوا
 الكتابة ولا النقود ولا تطريق الحديد وقلما كانوا يجرأون على ركوب البحر وتجتسم اخطاره
 ويزعمون ان العول سكن جزيرة صقلية .

غارات على ارضهم ورحلات اليها

تاريخ اليونانية — لم يسكن جميع شعوب يونان منذ الزمن الاطول البلاد التي كانوا
 فيها في القرن السابع اي في العصر الذي احدث اهل العلم يعرفون عنهم شيئاً يوثق به . وقد حفظ
 كثير من هذه الشعوب ذكرى رولهم في تلك البلاد وامتازوا عن الشعوب العريقة في القدم النازلة
 في تلك البلاد . جاءت امم كثيرة فاحتلت ارض يونان بقوائم سيوفها وتشتت شمل عيرهم امام
 المعبرين عليهم . ويقول اليونان ان بدء هذه الغارات الشعواء والرحلات كانت من القدم
 بحيث لم اصلنا اخبارها مسطورة ونقلت ونساعد كرها تقليداً او يقولون انها كانت في القرن الثاني
 عشر (اي بعد احدث طروادة بتمانين سنة) ولا عبرة بهذا التاريخ اذ لم يكن لليونان وسائط يحسبون
 بها في ذاك العهد المتطاوول على ان هذا التاريخ احد قصصه مسلمة بدون جدال ولا نزاع فيه .
 دعي اقدم سكان يونان بالبلاسح (ولعل معناه القدماء) ولم يعرف عنهم شيء ولا
 فيما اذا كانوا من جنس يوناني او من جنس آخر . ومن هؤلاء السكان لا يعرف غير اليونان
 ولا يعلم ايضاً كيف ابدل اسم يلاسح بالهيلانيين اذ لم يرد في اشعار هوميروس ايضاً
 ذكر لهذا الاسم . ومن المقرر ان بضعة بلاد حفظت آثاراً من آثار فاتحيها وعزاتها . فقد
 جاء قوم برابرة من البلاد المشهورة ببلاد الالبانيين « الارناؤوط اليوم » وهاجموا سهل بينيه
 المفسح فدعي بعد باسم تساليا وتألفت من هؤلاء المهاجرين عصاية من الفرسان الاشراف
 وامسى سكان البلاد الاصليون عملة يررعون ويحرتون ليس الا . وقد رحل الى وادي
 سيفيز الذي سمي باسم (بيوسيا) كل من لم تخضع نفسه لهذا الحكم

وبعد ربح من الدهر خرج الدور يون من جبال البند واجتازوا برزخ كورت واغاروا على بلاد المورة واستوطنوا من اقاليمها ما امرعت تربته وعنت رباعه ونقاعه . مل لاكونيا ومسينيا وارغولديا وسيكيونيا وكورنت وميكار . ويروى ان قدماء ملوكهم دعوم الهيرا كليديين (اي نسل المعبود هيرا كليس) ليغلبوا رعاياهم التائرين ويعيدوهم الى عروشهم وكان ملوك اسبارطة يرون انهم من نسل قدماء السكان لا من الدوريين وقد استحال الشعب الذي احتل البلاد التي اغار عليها الدور يون الى زراع واهل ولاحة

واستولت عصابة من الايتوليين الذي صحبوا الدوريين في تلك الحملة على مقاطعة ايلديا في الغرب . وانها لالايتيانيون ممن است نفوسهم الخضوع على شاطئ شبه جزيرة المورة الشمالي وطردها منها الايتيين واسسوا الايتي عشرة مدينة الايتيانية فلجأ الايتيون المطرودون الى مقاطعة اتيكيا وامتزجوا بسكانها الاقدمين ومن ذاك العهد عرف الايتيون اي سكان اتيكيا شعباً ايونياً . ثم انفصلت عصابات من عدة شعوب وراحوا يؤسسون مستعمرات في السيف الاحمر من البحر . والايوليون اقدم هذه العصابات النازلة في آسيا ثم سكنوا بعد ذلك الشاطئ بعينه . واحتل الدور يون جزيرة افريطس (كريت) وبعد زمن استعمر اليونان صقلية وايطاليا الجنوبية .

الدور يون — يراد بالدور بين نسل سكان الجبال النازلين من الشمال ممن طردوا او اخضعوا سكان السهول وشاطئ بلاد اليونان الجنوبية المعروف بلاد المورة ويذكر هؤلاء المغيرون ان ملوكا من اسبارطة من نسل البطل هيرا كليس قد طردهم رعاياهم فجاؤا يمتحنون عندهم في جبالهم فتبع الدور يون اخلاف هذا البطل حباً به وصبوهم على عروشهم ثم اغاروا على السكان واستصفوا ارضهم وديارهم . وكان هذا العنصر جيلاً من الناس استمر بجماله وقوته وصحة اجسامه وتعود البرد وثلث العيش وحياة الفقر والفاقة فترى رحالم وساءهم يلبسون ثياباً قصيرة لا تصل الى ركبهم . والدور يون امة حربية دعاها الاضطراب الى ان تكون ابدآ على قدم الدفاع تحمل عدتها وعتادها وهم اقسى اهل يونان لبعدهم اقليمهم عن البحر ولذلك احتفظوا باخلاق الاجيال المتوحشة وهم اعرق في اليونانية من غيرهم من سكان تلك الامصار لانهم كانوا على وحدتهم لا يستطيعون الامتزاج بالعرباء ولا تقليدكم في منازع اخلاقهم .

الايتيون — يدعى شعوب اتيكيا والجزائر وشاطئ آسيا بالامة الايتونية . ولا يعلم من اين جاءتهم هذه التسمية وهم على عكس الدور بين جنس من التجارة او التجار . ومن اكثر شعوب اليونانية تهذيباً لانهم استفادوا من الاحتكاك بامم مشاركة اعرق منهم في الحضارة

واقبسوا من النظر اليهم وهم ضعاف في صفتهم اليونانية لامتراجم بالآسياويين ولانهم
نحو نحو هؤلاء في عاداتهم الا قليلاً يميلون الى السلم ويولعون بالصناعات ويعيشون عيش
الترف يصفون الكلام ويرفقونه ويلبسون بيانا خافية الاذيال على مثال المشاركة

الهيلانيون — هذان العنصران او الجنسان المتباينان المعروفان بالدورين والايونيين
هما اشهر عناصر اليونان واقدرها . فاقليم اسبارطه للدورين واقليم اتيبة للايويين وليس
السراد الاعظم من اليونان دورين ولا ايونيين ويعرفون بالايوليون وهو اسم مجهول يطلق
على شعوب مختلفة في تلك الاصقاع من ايولين واكرانيين وموسيديين ويوسيين من
اهل البلاد اليونانية الوسطى والاشابيين من اهل المورة . وكل من تقدم ذكرهم يسمون
باسم الهيلانيين الذين عرفوا به منذ ذاك العهد وهم لا يعرفون وجه تسميتهم هذه كما محمل
نحن ذلك على انهم يقولون ان دوروس وعولس كانا اولاد هيلانة وايون حفيدها

مستعمرات اليونان (١)

الاستعمار اليوناني — لم يقتصر الهيلانيون على سكنى بلاد اليونان فقط بل قام منهم
طواريء من اهل المدن استولوا بلدانا في جميع الانحاء المجاورة وكانت عدة من هذه الممالك
الصغيرة اليونانية في جميع حرائر الارحبييل وعلى جميع شاطيء آسيا الصغرى واقريطش
وقبرص وفي كل ما احاط بالبحر الاسود الى بلاد القافقاس والقرية على طول البلاد العثمانية
في اوربا (المعروفة اذ دلك تراسيا) وعلى شاطيء افريقية وفي صقلية وايطاليا الجنوبية الى
شواطيء فرنسا واسبانيا

احلاف هذه المستعمرات — يبدأ تاريخ المستعمرات اليونانية من قرون كثيرة اي من
القرن الثاني عشر الى القرن الخامس وهذه المستعمرات استنقت من كل المدن ونجت عن كل
جنس دوريا كان او ايونيا او ابوليا . ولطالما قامت المستعمرات في اماكن قفرة تارة وفي
بلاد مأهولة اخرى أسست حيناً بالفتح وآونة بالاتحاد مع السكان وانتأها بحارة او تجار
او منفيون او متشردون . وتمتاز هذه المستعمرات على اختلاف زمانها ومكانها وجنسها واصلها
بخلق عام وانها نشأت دفعة واحدة بمقتضى قواعد نائمة . وما كان الطواريء او المستعمرون
من اليونان يحلون في بلد واحداً بعد واحد عصابات صغيرة ولم ينزلوا بقعة عرضاً فيقيمون لهم
مساكن تصبح بالتدريج مدينة على نحو ما يفعل الطواريء من الاوربيين في اميركا اليوم
بل كان الطواريء منهم يسافرون قضم وقضيضهم دفعة واحدة ورئيسهم واحد فنؤسس

(١) جاء هذا الفصل متأخراً عن هذا بضعة فصول في الطبعة الاحيرة

البلدة الجديدة في يوم واحد . وكان تأسيس احدى المدائن يُعدُّ احتفالاً دينياً فيخط
المؤسس لها سوراً مقدساً ويجعل بيتاً مباركاً يوقد فيه ناراً مقدسة .
نقايد المستعمرات - ينصح مما نقل من القصص القديمة في تأسيس بعض هذه
المستعمرات وجه الاختلاف بينها وبين المستعمرات الحديثة . واليك كيفية استعمار مدينة
مرسيليا والبداءة به فقد جاء الى بلاد العال (فرنسا اليوم) او كسينس احد اهالي مدينة
فوسي في آسيا الصغرى على سفينة تجارية فدعاه احد زعماء العالين الى عرس ابنته ومن
عادة هذا الشعب ان تدخل العروس بعد الطعام حاملاً كأساً تقدمها لرجل تختاره من الجماعة
فوقفت امام اليوناني ومدت الكأس نحوه . فطهر للقوم ان هذا العمل كان الهام من السماء
اذ لم يكن متوقعاً . فما كان من الرعيم العالي الا ان زوج او كسينس من ابنته وسمح له بان
يؤسس ورفاقه مدينة على خليج مرسيليا ثم لما رأى اهل فوسي ان الجيش الفارسي يحاصر
مدينتهم قاموا يعدون لهم سفناً نقل عيالهم واولادهم واصنامهم وحلي معاندهم وعادروا والدهم
ماحرين في سفنهم واقتحموا عند منصرفهم ان لا يعودوا اليها الا اذا عانت على وجه الماء
الحديدة الحماة التي القوها في البحر . وقد نكت كثير منهم هذا العهد وعادوا الى مسقط
رؤوسهم اما الباقون فظلوا يشقون العذاب بعد العذاب حتى وصلوا الى مرسيليا بعد ان تحتموا
اهوالاً كثيرة . واسس الايبويون مدينة ميلت تاركن اساءهم وراءهم واستولوا
على بلد يقطنها ناس من آسيا فدبحوا الرجال وتروخوا نسايتهم وبناتهم قسراً . ويقال
ان هؤلاء النساء اقسمن ان لا يتناولن الطعام مع ازواجهن وان لا يباديهم بيا ازواجهن .
عادة بقيت قروبا يعمل بها عند نساء ميلت . اما مستعمرة برقة في افريقية فقد اسست
بامر صريح من المعبود ابولون ووحى منه . فلم يكن سكان مدينة تيرا الذين امروا بذلك
يحاذرون من رول للدهم ولم يعملوا بهذا الامر الا بعد سبع سنين وكات حريتهم
عرضة للجفاف فاعتقدوا ان ابولون ساقهم الى تلك الحرية عقاباً منه لهم . وحاول الطواريء
الذين اعدوهم ان يرجعوا فداهمهم مواطنوهم واكرهوهم على السفر . وبعد ان قصوا عامين
في احدى الحضر وقد حانتهم فيها اسباب النجح انتهى بهم الحال ان يستوطنوا اندالوس مدينة برقة
فكان منها مدينة عامرة راقية .

خطورة المستعمرات - من شأن هذه الطواريء ان تؤسس حكومة جديدة في كل
مكان تنزله ولا تحصى لأهم القرى التي انفصلت عما تارة . وهكذا بلغت الحال ان كان
البحر المتوسط محاطاً بمدن يونانية كل منها مستقلة تمام الاستقلال . فاصبح كثير من هذه
المدن آية في غناه وقوته لم تضاهه بهما المدن التي خرجت منها وكان لها اصقاع اوسع

رحصب وسكان اوهر واكثر . ويقال انه كان في مدينة سيباريس في ايطاليا ثلاثمائة الف رجل يحمل السلاح وان كروتون جيتشت جيتاً مؤلفاً من مئة وعشرين الف مقاتل وداقت سيراكوزة في صقلية وميلت في آسيا تقوتها مملكتي اسبارطة وآتينة وكان يدعى جنوب ايطاليا يونان الكرى . وما كانت المملكة الاصلية غير بلاد صغرى بالنسبة لتلك المملكة المأهولة كلها بالطواريء من اليونان . وحدث ان كان الهيلانيون اوهر عدداً في البلاد المجاورة منهم في بلاد اليونان نفسها . وترى بين رجال ثلاث المستعمرات طائفة صالحة من المشاهير مثل هوميروس والسيوس وسافوس وطاليس وفيتاغورس وهيراقليطس ودموقريطس وانفيدكلس وارسطوطاليس وارحميدس وتيوكرياتس وغيرهم .

المدن - ظل اليونان منقسمين الى طوائف صغيرة في كل البلاد التي رلوها كما كانوا على عهد هوميروس . وغير - ف ان ارض يونان وايطاليا الجنوبية منقطعة بالبحر والجبال ولذلك انقسمت بالطبع الى عدد كبير من المقاطعات الصغيرة كل منها منفردة عن حارتها رأس من البحر او بخدار من البحر بحيث يسهل الدفاع عنها وتصعب المواصلات فكانت تتألف من كل مقاطعة حكومة على حدتها تدعى مدينة وقد بلغت اكثر من مئة مدينة . واداً الحصيت المستعمرات بلغت زهاء الالف (١) وليست مملكة اليونانية الا صورة مصغرة بالنسبة اليها فان ايتكيا كلها لا تساوي نصف اصغر مقاطعات فرنسا لهذا العهد اما اراضي كورنت او ميكار فقد صارت ريفاً ومرارح ومن العادة ان يكون ما يعبرون عنه بمملكة عبارة عن مدينة وساحل ومرافاً او بصع قرى مبعثرة في الغلاة حول قلعه فترى من المملكة الواحدة قلعة المملكة الثانية وجبالها او مرافاً المملكة المجاورة وكثير من هذه الممالك لا يسكنه اكثر من بضعة ألوف من الناس واعظمها لا يكاد يكون فيه مائتان او ثلثمائة الف نسمة . وبعد فلم يؤلف الهيلانيون او اليونانيون أمة برأسها ولا انعكوا من المقاتل والنقاط على انهم تكلموا لغة واحدة على حد سواء وعبدوا آلهة واحدة وعاشوا عيشة واحدة منذ سقوط اسبانيا الى طرف البحر الاسود . فكانوا بهذه العلامات يتعارفون كما يتعارف أبناء نبعة واحدة ويتنازون عن سائر الامم التي بدعوها البرارة فينظرون اليها نظر الاستخفاف والامتهان .

الديانة اليونانية

تعدد الارباب - اعتقد اليونان اعتقاد سائر قدماء الآريين بارباب كثيرة ولم يكن لهم شعور باللاهية ولا بالازلية ولم يؤمنوا برب واحد تكون السماء سرادق والارض سلمه

(١) في الطبعة الاحيرة حذف المؤلف هذه الفقرة الطويلة كلها الى آخر الفصل

ومرتقاه . واعتقد اليونان ان كل قوّة في الطبيعة من هوائها وشمسها وبحرها هي قوّة الهية ونسبوا كلاً من هذه القوى الى رب خاص اد لم يدركوا ان علة واحدة تنتج كل هذه الاكوان ولذا عبدوا عدداً عديداً من هذه الآلهة فكانوا وتنين على هذا النحو .

نسبة الشهوات البشرية ودعوى تجسد الرب — كل رب هو قوة من الطبيعة وله اسم خاص به ولشدة تصوّر اليونانيين وسعة حيالهم مثلت لهم اذهانهم تحت هذا الاسم كأنها حياً في اهي المظاهر من الصور البشرية وكانوا يمثلون المعبود او المعبودة على صورة رجل جميل الطلعة وامرأة وسيمة الحيا وعند ما كان عولس او تيليماك يصادفان رجلاً عظيماً وسيماً يبدآن بسؤاله عما اذا كان رباً من الارباب . وقد صوّر على ترس البطل آتيل صورة جيتس . قال هوميروس في وصفه له : ان اريس واتيبيه كانا يقودان الحيتن وكلاهما متسبح بالذهب وكانا من الجمال والاعتدال على صورة تليق بالارباب اد البشر اقزام قصار القامات وكان الارباب اليونانيون بشرّاً بلبسون نياتاً ولهم قصور واحساد كاحسادنا وهم ان لم يموتوا يجرحون . وذكر الشاعر هوميروس كيف ان احد المحاربين جرح الرب اريس فراح يصرخ من الألم . وهذا الضرب من اختيار الارباب على مثال البشر هو ما يدعى « انثروبومورفيسم » اي تجسيد الارباب .

علم الميتولوجيا — للارباب اقرباء واولاد ورهط واسرات لاهم ناس كالأدميين وامهم ربة واحوتهم ارباب واولادهم ارباب عرهم او ناس هم نصف ارباب . وتدعى اسباب هذه الارباب تيوغويا . وللارباب تاريخ وحوادث ولهم قصص في مواليدهم واحبار شبيبتهم واعمالهم . فالرب ابولون مثلاً ولد في جزيرة ديلوس وكانت لحأت اليها امه لاتون وقيل عيلاً كان قد حارب تلك البلاد في سمح جبل الباراس . وهكذا كان لكل مقاطعة يونانية احبار تعرفها لاربابها سموها الخرافات ومن مجموعها تألف الميتولوجيا اي تاريخ الارباب .

الارباب المحليون — بقي الارباب اليونانيون وهم على صفتهم البشرية على ما كانت عليه اولاً كوائن طبيعية فكان القوم يتخيلونها كما يتخيلون البشر وقوى الطبيعة فقد كانت الناياد فتاة جميلة ونبعاً مبيساً في آن واحد . وتخيّل هوميروس الشاعر ان هر جريرة الرات هو رب وقال فيه لقد تدفق هر الرات على البطل آتيل وهو يريد غيطاً ويرغي حنقاً ويحر طافحاً بالربد والجثث) وظلت الامة تقول ان الرب ريوس يدرل المطر ويرسل الرعد .

وكان اليوناني يعتقد ان الرب عبارة عن مطر وسيل وسماء او شمس لا السماء والشمس والارض على الجملة . وكان ربه مسامتاً للسماء التي تطله والارض التي نقله والنهر الذي يعله . فمن تم كان لكل مدينة ارباب ومعبودات كثيرة فمن رب الشمس الى ارباب الارض الى رب

الحجر وكانت تلك الارباب منفصلة عن شمس البلد المجاورة وارصها وبجورها بمعنى انه كان لاهل كل مقاطعة ربها ومعبوداتها الخاصة بها . فليس رب اسبارطة زيوس رباً لآتينة زيوس بعينه ور : كان يذكر في قسم واحد ربان تحت اسم آتييه اوربان تحت اسم ابولون . ذكر احد من طاف بلاد اليونان من السياح انه شاهد الوفاً من الارباب كانت تدعى ارباب المدينة ولم يكن هناك سيل ماء ولا عانة عبياء ولا أكمة تناء الا وهي مؤلهة (١) ولها صفة لا يشاركها فيها غيرها وربما كان هذا المعبود صغيراً لا يعبد الا ناس من اهل الحوار وما مراره عبر معارة في الصحر .

الارباب الكبيرة — وهم اليونان ان فوق طوائف الارباب الكثيرة الصغيرة المنبثة في كل مقاطعة بضعة ارباب كبيرة كالسماء والشمس والارض والبحر المدعوة بهذا الاسم ولها في كل مكان معبد خاص او مرار يتقرب فيه اليها وكانت تمثل كل من هذه الارباب اهم القوى الطبيعية وما اكثر عدد هذه الارباب التي استرأى اهل يونان كافة في القرب اليها فانك لو احصيتها لاتكاد تصل في عددها الى العشرين . ومن سوء عادتنا معاشر الافرح ان ندعو هذه الارباب باسماء ارباب لآتينية واليك حقيقة اسمائهم :

زيوس (المستري) . هيرا (جونون) . آتييه (ميرفا) . ابولون . اريتمس . (ديان) هرميس (عطارد) . هيمرنوس (فولكين) . هيسيتيا (فيسا) . اريس (المريخ) . افروديت (الزهره) . بوزيدون (ببتون) . امفيتيريت . روتة . كرونوس (رحل) . رهبيا (سبيل) . ديميتير (سيريس) . رسيهونه (روررين) . هاديس (بلوتون) . ديونيروس (باحوس) . وهذه الرمة من الارباب هي التي كانت تعبد في كل المعاند على الجملة ويتوسل اليها في الصلوات

حصائص الارباب — لكل من هذه الارباب هيئته وهدامه وادواته المدعوة حصائص هكذا تصورها المؤمنون من اناء يونان وهكذا مثلها القاشون منهم . ولكل حلقه المعروف به بين عانديه ولكل منها عمله الخاص به في العالم ويقوم بوظائف معينة وذلك بمعونة ارباب ثانوية تطيعه في العادة ويتصرف فيها بامرهم . فالرب آتييه مثلاً هو على صورة عذراء ذات عيين برافتين مثلت قائمة وهي تحمل رمحاً وعلى رأسها حودة وعلى صدرها سلاح لامع وهي عندهم ربة الهواء النقي والحكمة والاحتراع وعلى جانب من الهيبة والشراسة .

ومثل هيفيرتوس رب النار حاملاً بيده مطرقة على صورة حداد اعرج فبيج الهيئة وزعموا انه يرمل الصاعقة . وان الرمة اريتمس كانت ندرأ متوحشة تحمل قوساً وكنانة

(١) يقول الشاعر از يودس اليوناني انه كان في بلاده ثلاثون الف رب

وهي تطوف العابات نصيد مع رمرة من الجنيات وهي ربة الغابات والصيد والموت . اما هرميس الذى قبلوه لابساً نعالاً مجنحة فهو رب المطر المخصبة وله اعمال اخرى وهو رب الاسواق والاما كن ورب التجارة ورب السرقة ورب الفصاحة يسري ارواح الموتى ويمشي في السفارات بين الارباب ويقوم على تربية الحيوانات . ولارب اليوناني ابداً عدة وظائف في العالـب هي في نظرها متخالفة غير ان اليونان تخيلوا ان بينها تشابهاً ويرتأون لها صلة وعائداً الاولـب وزـيوس . كل من هذه الارباب اشبه بملك في مقره ومع هذا فقد لاحظ اليونان ان جميع قوى الطبيعة لا تسير بالتصادف وانها تعمل يداً واحدة فكانوا يطلقون اللفظ الواحد للتعبير عن النظام والعالم ففرضوا ان الارباب اتحدت على تسيير نظام العالم وانه كان لهم شرائع وحكومة كما للبشر . وكنت ترى في تماثيل اليونان جبلاً واقم مكسوة بالتحلم يصعد اليه بئير واسمه الاولـب وعلى هذه القمة المستورة عن اعين الناس بنا يتراكم عليها من الصباب توهـم اليوار . ان الارباب يعقدون جلساتهم فيختمعون مستديرين بشور سماوي يتفاوضون في شؤون العالم وعظيمهم زيوس (المستري) يرأس تلك الجلسات لانه رب السماء والنور والرب اندي يؤلف السحاب ويرسل الصواعق وصوروه على مثال شيخ مهـاب ذي لحية بيضاء حالس على عرش من ذهب وهو الذى 'حص بالزعامة دون سائر الارباب ولذلك تراها مجتمع له فاذا بدت من احدها بادرة المقاومة في امر يهددها زيوس واليك ما ذكره هوميرو . على اسائه « اعقدوا في السماء سلسلة من ذهب وتعلقوا بها انتم معاشر الارباب ذكور . كنتم او انا ولو بدلتـم الحـمد كلـكم لا تجرون زيوس الى الارض وهو الملك الامر وعلى العكس اذا اردت ان احـدب السلسلة الى فاناجادب الى الارض والمحرم اعلقه بقمة الاولـب ويبقى العالم كله معلقاً مصلوناً ما دمت اعلى مرتبة من الارباب والبشر »

آداب المينولوجيا اليونانية -- وهم اليونان ان معظم اناسهم من القسوة والسفك والحداع والسفاهة على جانب فاحترعوا لهم اخباراً سفية واعمالاً ردية عن طور اللياقة . فكان هرميس رعيها لصاً واشتهرت افروديت بعجها وحفرها واريـس بسوته وكانوا كلهم من العجب بحيث لا يفكـون عن اخطيـاء من تساهل في تقديم العذبات لهم . ولما اُنـجبت نيوبي ملكة تيبة بكثرة اسرتها لم يصعب عليها ان رأت الرب اولون يعصي اولادها بالسهام ويمزقهم كل ممزق . وكان من حال تلك الارباب في الحسد بحيث لا تتمالك من رؤية انسان بلغ عايات السعادة . فاليونان رأوا السعادة من اعظم الاخطار لانها تجلب غضب الارباب حتماً ولذلك ابتدعوا ربه للعصب والانتقام سموه نيزيس ويدكرون ما قصصاً كالآية مثلاً : ذلك ان بوليكراتس الظالم من اهل جزيرة سيسام خاف يوماً حسد

الارباب اذ غدا ذا طول وحول وكان يملك خاتم ذهب له موقع كبير من نفسه فالتقاء سيفه اليم لثلاث تكون سعادته مشوبة بالشقاء ثم ان صياداً احضر لبوليكراتس دات يوم سمكة عظيمة وجد خاتمه في جوفها مكان ذلك نظره شؤماً دالاً على وقوع المصيبة الاكيدة . فحوصر بعد في مدينته وأخذ وصلب وعاقبه ارباب يونان على سعادة نالها وحط من النعم اصابه .

عرف بهذا ان الميتولوجيا اليونانية كانت عارية عن الاخلاق اذ كان الارباب قدوة سيئة للناس قال ذلك فلاسفة اليونان وضيقةوا على الشعراء الذين بشروا هذه الحكايات وذكر احد تلاميذ فيثاغورس ان معلمه اطلع على الجحيم فرأى فيه روح هوميروس الشاعر مصلوبة في شجرة وروح از يودس الشاعر مدلاة في دعامة عقوبة لها على اهانتها الارباب وقال كسينوفان ان هوميروس واز يودس قد سببا للارباب اعمالاً من شأنها ان تكون عاراً بين البشر وشاراً عليهم وهناك إله واحد لا يشبه البشر باجسادها ولا يعقلها وكان يريد على ذلك قوله لو كان للمهر والاسود ايدي واستطاعت ان تصور كالناس لصنعوا للارباب اجساداً تشبه اجسادهم ولجعلت الخيل للارباب احساداً كالخيل والبقر . والناس يدهمون الى ان الارباب احساساً وصوتاً وجسداً . هذا قول كسينوفان وهو من الحق والعدل تمكن اذ قد جعل اليونان الأول اربابهم على صورهم مثل ما كانوا عليه في ذلك العهد سفاكين عذارين حسودين معجبين وكذلك كان اربابهم . ثم صاروا على نسبة التحسين في اخلاقهم بنسبة اخلاقهم متبرمين من هذه المادى ، كتبها غازين عنها ولكن تاريخ الارباب واحلافهم كانت مقررة بحكايات قديمة احدها اهل الاجيال الحديثة ولم يحراً واعلى تعبير ارباب احداثهم الفظة السفينة بعيرها

البطالم

البطل --- البطل في بلاد اليونان رجل معروف يعدو بعد موته روحاً ذات سلطان ولا تتم له الربوبية بل ينال منها نصفها من ثم لا يسكن الانطال في الاولب في سماء الارباب ولا يدبرون شؤن العالم اجمع ولهم مع هذا ايضاً سلطة فوق كل سلطة لتسرية يفتنون بها احبابهم ويهلكون اعداءهم . ولدا عبيد يونان عبادتهم الارباب واستعانتوا بهم وتضرعوا اليهم . وما من مدينه او قبيلة او أسرة الا ولها بطل خاص بها وهو عبارة عن اسباح متحيلة تحميها فتعبد لها وتقدم اليها بانواع القرابات .

ضروب الانطال -- ومن هؤلاء الابطال فئة اشتهرت في الاساطير وعدت من الاعيان مثل اشيل واوديس واعامنون ولا شك في ان بعضهم لا حقيقة لهم قط مثل هيراكليس واديب . وليس بعضهم الا اسما لا مسميات لها مثل هيلين ودوروس وعولس

غير ان عمدتهم ينظرون اليهم نظرم الى اشخاص قدماء وقد عاش معظم هذه الارباب وبعضهم من الانيان قد ذكرهم التاريخ وكانت لهم اعمالهم مثل لبونيداس وليزاندر وكانا من القواد وديمقراط وارسطو وكانا فيلسوفين وليكورك وصولون وكانا مشرعين . وعبد اهل مدينة كروتون احد مواطنيهم فيلبس لانه كان اجمل اهل زمانه في بلاد اليونان . وكان الرعيم الذي يقود الطواريء ويؤسس مدينة يعد بين السكان البطل المؤسس فيقيمون له معبداً وينقرون اليه كل عام بانواع النذور والقربات . وهكذا كان ملتياديس الآيني يعبد في مدينة من اعمال تراسيا وبرازيداس الاسبارطي الذي قتل في دماغه عن امفيبوليس كما يعبد في هذه المدينة اد اعتمره السكان مؤسساً لبلدهم .

حضور الابطال — يظل البطل ساكناً في البلد التي دُفن فيها جسده سواء كان في قبره او في الحوار . وقد وصف هيرودتس هذا المعقد فكانت مدينة سيسيون تعد البطل ادراتس فقامت في الساحة العامة مصلى اكراماً له . ولقد ارتأى كليستين جبار سيسيون ان يتخلص من هذا البطل فراح يسأل هاتف دلفيس عما اذا كان يفلح في طرد ادراتس . فاجابه الهاتف بقوله : ان ادراتس كان ملك اليسوبيين وانه لص وقاطع طريق فلما لم يستطع كليستين ان يطرد داك البطل عمد الى الحيلة فبعث الى تيبة يبحث عن عظام بطل آخر اسمه ميلانيبس وجعلها في مقبرة المدينة باحتفال حافل . قال هيرودتس انه عمل كذلك لان ميلانيبس كان من أعداء ادراتس قتل له صهره واحاه . ثم حمل تلك الاعياد والنذور تقدم الى ميلانيبس بعد ان كانت تقدم الى ادراتس زمناً وراح يقنع وسائر اليونانيين ان البطل المعتاطيركن الى الفرار .

مداحة الابطال — الابطال قوة الالهية في وسعهم كما في وسع الارباب ان يفعلوا الخير والشر كما يشاءون . ولقد اخطأ الشاعر ستيريستور في كلامه على هيلانة المشهورة (تلك التي جيء بها الى طروادة على محوما ورد في الاساطير) فكف بسرّه للحال حتى اذا رجع عن كلامه عاد بصيراً . ويرعمون ان هيلانة صارت نصف ربة بعد موتها فارسلت للشاعر بالداء باديء بدء ثم اتبعته بالدواء . ويدعون ان الابطال الحامية لبلد تدفع عنها الادواء والمجاعة وتذب عن حياضها من عارة الاعداء . وقد زعم الحند الآيني انهم رأوا بين صفوفهم في حرب مارانون تيزيه بطل آتينة ومؤسسها وقد تدحج بسلاح لامع في حرب سلامينة وظهر البطلان احاكس وتيلامون اللذان كانا فيما مضى ملكي جزيرة سلامينة في اعلى ذروة منها باسطين ذراعيهما نحو الاسطول اليوناني . قال تيموكلس (وما قهرنا الفرس اذ قهرناهم ولكن الارباب والابطال قهرهم) وفي احدي روايات سوفقلس

(اديب الى تولون) بينا كان اديب مشرفاً على الموت راره ملك آيينة وملك تيبة واراده . كلاهما على الرضا بترك جثته تدفن في ارضها ليكون بطلاً حامياً لها فاحاب طلبهما في ان يدفن في بلاد الآتيين وقال للموكب . اني لا اكون بعد موتي حاليًا من النفع في هذا القطر بل اكون ركنًا ركينًا لا تقاويه الوف الالوف من المحاربين . وكان يرى ان بطلاً واحداً يساوي جيشاً برمته ويهرب بأس هذا السج ولا رهبة الاحياء اجمعين .

العبادة

بدء عبادة الارباب -- كان الارباب والابطال على ما لهما من الحول والطول يشرون في الناس جماع الخيرات والسيئات كما يتشاءون فكان من الخطران يكونوا على المرء ايلبًا ومن العقل ان يكونوا واياهم يدًا واحدة . ولقد ذهب القوم الى اهمهم كانوا اتسبه بالبشر يسخطون اذا تركوا وشأنهم ويرضون اذا عني بهم . وعلى هذا الفكر نشأت العبادة فكانت عبرة عن اتيان صالح الاعمال مع الارباب لنيل رضاهم . وقد صرح افلاطون بالرأي العام كما يلي قال : (ان الاضطلاع بالقول والقيام بصالح الاعمال مع الارباب سواء كان في الصلوات او في الدورهم من القوى التي بها نجاح الخاصة والبلاد وعكسها هو الشقاء الذي به تنل عروش الممالك وندك معالم العمران) يقول كسينوفان في آخر كتابه الدروسية ان الارباب لا يرضون عمن يعرعون اليهم في حاجاتهم فقط بل يرضون عمن يكرمهم في محوحة النجاح . فالديانة كانت باديء عهدًا وميتاقًا فكان اليوناني يسعى في استرضاء الارباب ويتال من لديهم مقابلة ذلك منافع ومعام قال احد كهنة ابولون لمعبوده « اني قد احرق من اجلك تيرانًا سمينة منذ زمس طويل فاقبل الآن تضرعاتي وارم بسهام عضلك اعدائي »

الاعياد العظيمة -- رعم اليونان ان لاربابهم احساسًا وعواطف كعواطف البشر ولذلك 'عنوا بالقيام بكل ما يسترضى به الانسان فكانوا يقدمون لهم لبنًا وخمرًا وحلواء وفاكهة ولحمًا ويستثون لهم قصورًا ويحفلون اكرامًا لهم باعياد اد كانت تلك المعبودات اربابًا سعيدة تحب الفرح والمناظر الجميلة . وما كان العيد كما هو الحال عندنا اليوم عبارة عن افراح بل كان احتفالاً دينيًا يصرب في خلاله عن الاعمال وتأخذ الامة في ابداء مظاهر المسرة على رؤوس الاشهاد امام المعبود . فمن كان اليوناني 'يسرٌ مهدد اعياد ويحفل بها احتفالاً لاربابه ومعبوداته لا قدامًا باهوائه الخاصة وشهواته . جاء في نشيد قديم اكرامًا للمعبود ابولون ان الايونيين يدخلون السرور عليك بما يقومون به من مطاعنهم المعهودة وعناهم ورقصهم .

الالعب الاحتفالية - نشأت الالعب الاحتفالية من هذه المسليات التي كانت تقام اعطاماً للارباب فكان لكل مدينة ضرب من صروبها تكرم بها معبوداتها وما كانت في العادة تقبل لمشاركتها بها غير اناء وطنها ومع هذا فقد كانوا يقومون بالعب يشترك بها جماع اسماء يونان ويحصرهم. وذلك في اربعة اماكن من البلاد اليونانية . وتدعى الالعب الاربعة العظيمة واحص تلك الالعب الارب اونييا . يحصل بها كل اربع سنين اكراماً للمعبود زيوس وتدوم خمسة ايام او ستة يوماً في دهان اليونان من اطراف البلاد تعص بهم الملاعب ومشاهد وبأحدوي في نقد استخبارا والتقرب بالصلوات الى المعبود زيوس (الشمس ؟) وسائر الارباب هم يتبارى القوم في الاعمال الآتية عدو على الاقدام حول الملعب . فقال يعرف عندهم بالناساتل لانه كان عذارة عن حمسه اللعاب فيقف الممارون ويركضون من طرف الملعب الى طرفه الآخر ويندفعون الى تعذيب بطارة من معدن ويرمون الحراب ويقذفون بالايدي والاربعان . ملاكمة بحسب الاكث يقاتلون فيها وادرعهم مستورة لسيور من حديد . ومسابقه عجالات كانت تجري في المسدان والعجلات حفيقة يجرها اربعة جياذو يتصدر القصة في الالعب بالسهم ، القرمزية وقد توضحوا بالليل العارفيادي المنادي بعد القتال باسم الطائر واسم المده على رؤوس الاسنان ويكشف منح من الربيون حراء ما وفق له ويسبقه مواظوه اسبقا للدمر الفاع ورتبا سرقوا حرقا في حائط ايمروا به منه فيقبل نقله مركبة نحرها اربعة من الحياض لاسما القرمزي والتعب كله يحفره . كان يعد هذا النصر الذي بعده اليوم من اعمال المسارعين في المجال العامة من احسن الاعمال واولاها على ذلك العهد يحصل بها اعظم الشعراء ومن يكن هم ينندار اشهر شعراء الاساطير القدماء غير نظم المقاطيع في سباق المركبات . ويروي ان احدهم واسمه ديا كوراس رأى في يوم واحد ولدين له وقد توحا تخملاه على اعين القوم حمد الطافرين فلما شاهد الشعب ان امتال تلك السعادة عظيمة جدا بالاصافه الى الميت ناداه . مت يا ديا كوراس اد ليس في وسعك ان تكون بعد معبودا . فصاق درع ديا كوراس من الاضطراب ومات بين ايدي ولديه وفي نظره ونظر اسماء يونان ان رؤيه ولديه واكفهما قوية شتنة وسوقهما سريعة كان ذلك منتهى السعادة الارضية . وعلى هذا يحق لليونان ان يحبوا بالقوة الطبيعية فقد كان اقوى المسارعين من احسن الحمد في الحروب التي يقاتلون فيها حسداً لحسد .

القال - - كان اليونان يرجون من آلههم اعمالا كبيرة لقاء تلك الواحات والاعياد والاحتمالات فكانت المعبودات تحمي عبيدتها وتوسع عليهم برود العافية والعنى والصروة قبيهم المصائب والنوائب التي يتوقعون بروجها ترسل علامة من لديها يفسرها الناس . وهذا ما كان

يدعى بالآل . قال هيرودتس كان اذا اقتضى لاحدى المدن ان تتجن بعض الخطوب
ينقدم لها على ذلك علامة في العادة . ولقد بناءل اهل تايو (صاقر ؟) نفاو لا دلم على ما
يذلم من الهزيمة فلم يرجع من مئة فتي لغتوا بهم الى دلفيس يترمون ويستدون سوى فتين
وهلك سائرهم بالوباء . وعلى ذاك العهد انقص سقف مدرسة المدينة على اطفال كانوا
يتعلمون القراءة فلم ينخ منهم سوى طفل واحد وكان عددهم مئة وعشرين . هذه هي الامارات
التي قدم الارباب ارساها على ابناء يوس بدمرهم وتدمرهم . ولقد كان اليونانيون يرون
الاحلام والطيور التي تعرف في السماء واحتشاء الحيوانات التي ينقرون بها لاربابهم بل
وكل ما يقع نظرهم عليه من الرلال والكسوف الى عطسه يعطسها المرء يرون كل هذه
الامور الطبيعية امارات الحية فيها سعادتهم وشقاؤهم في حملة عقلية فيما كان نيسياس
القائد الآبي يركب حيشه المهرم في السنن اوقفه خسوف القمر فطن ان الارباب بعثت
بهذه العجبة تنذر الآبيين ان لا يتقوا ما بداوا به من الاعمال الخرية فاضطر نيسياس
الى الانطار سبعة وعشرين يوما وهو يقدم القرابين تسكنا لعصب الارباب . فسد
الاعداء في هذه الفترة مما المدينة وحطموا اسطوطها وهددوا تمل حيشها . ونذر الآبيون
لما بلغهم هذا النبا سوى امر واحد نحو من اخذ نيسياس وذلك انه كان عليه ان يعرف
ان احتفاء القمر بالمطر الى حيش منهرم علامة حسنة . وفي عصون العودة المعروفة بعودة
العترة آلاف حطب القائد كسينومون في حده فلما انتهى الى هذه العبارة « لنا الامل
الوطيد ان يرجع والمجد اليها معونة الارباب » عطس احد الاحداد على الاتراف اخذ الحيش
يصلي ويصرخ الى الرب على ان يعت لم هذا الفأل وبهف كسينومون الا فسد بقدته
صحايا لريوس ادعت اليها ما تتفاد به فيما بحر . وص في سلامتها .

هانف العيب كان الرب في الاحابن يحيب سؤل من بدعوه ويستشير من
المؤمنين لا اشارة صماء بل على اساس احد المهمين من عليه الناس فيأتي القوم مراررب
يستدون احوبة يتلقونها ويصانح بسسصخون . وهذا هو معنى الهاتف بالعيب . وانك لترى
في اما كن كثيرة من بلاد اليونان وآسيا حمل صاحبة من الهاتفين بالعيب واشهرهم في
دودون من بلاد ايروس ودافيس في سنج حمل البار . كان الرب ريبوس في دودون
يحيب دعوة المضطربن بدوي استجار البلولط المقدسة والرب ابولون كان المستصح في دلفيس
وكان يسري في معارة من معبده من شق انراب مجري بسيم من اليونان ان الرب بعث به
لانه ما استنشقه اساس الا وحرف وجن ولدا وضعوا اتقية على شق الارس وهي عبارة
عن امرأة (بيسيا) فتجلس على تلك الاتقية بعد ان تستحم في حمام مقدس وتقبل الالهام

فما هو إلا ان يأخذها تبيء من الجحرا العصبى حتى تبدأ تصرخ اصوات وتنفو نكبات مقطعة ويتلقاها منها كمنة يجلسون حولها فينظمونها شعراً ويقصونها على من جاء يستصع فكان هتاف الغيب من يسيها هذه مشوة شاملة بساً . ولما سأ لها كرىوس عما اذا كان يجب عليه ان يشهر على الفرس حرباً اجاتته بقولها (ان كرىوس يدمر مملكة عظيمة) ثم ان مملكة عظيمة تقوت اركانها واكسها كانت مملكة كرىوس . وكان للاسبارطين ثقة عظمى باليد يا ولم يكونوا يسبرون حملة لهم دون استشارتها وقد اقدى بهم سائر اليونانيين وهكذا اصبحت دلفيس مبعث الهاتف الوطني .

الامفكتيونيا - ألف اثنا عشر رجلاً من اعيان الشعوب اليونانية جمعية سموها الامفكتيونيا حباً بحماية قدر دلفيس فكان يجتمع بواب هذه الشعوب كل سنة في دلفيس للاحتفال بعيد اولون ولانظر فيما اذا كان المعبد يحتسى عليه من مد يد الادى لانه كان فيه تروة عظيمة ربما تدعو اللصوص ان يهبوه . وقد صادر اهل سيرا وهي المدينة القريبة من دلفيس هذه الكنوز الثمينة في القرن السادس فاعل عليهم اولئك الاعيان المشار اليهم حرب من استباح الامور المحظورة وحرق سيلاج المقدسات فاحدت سيرا وهدمت من اساسها وبيع سكانها بيع الرقيق واصبحت ارضها كآل لم تعن بالامس . ومع هذا فلا يبغى ان يذهب داهب الى ان مجمع الامفكتيون اسمه في وقت من الاوقات مجلساً يونانياً . بلى انه لم يعن الا تعبد اولون لا بالشؤون السياسية وما قط ضرب على ابدي شعوب الامفكتيون حتى لا يبيروا بينهم دواعي التقاق والهاتف العبي والامفكتيونيا في دلفيس كان لها من السطوة حظ اوفر من سطوة اخانيين والامفكتيونيين ولكنه ما صم قط انذات اليونانيين وجعلهم امة قائمة براسها

اسبارطة

شعبها

لا كونيا - لما هاجم اهل الجبال من الدوربين شبه جريرة المورة برلت اعظم عصاة منهم في مقاطعتي اسبارطة ولا كونيا ومقاطعة لا كونيا واد صيق يشقه مهر عظيم يعرف بالاوروتاس يحيط بهما جبالان عظيمان عطيت قممهما بالثلوج وقد وصفهما احد الشعراء بقوله : « ايتها الارض الغنية التربة المحصة الرباع المتعذر استبانتها واستتارها ايها البلدة الجوفاء المحصورة بين جبال قائمة الكثيبة في منظرها المنيرة على هجمات المهاجمين » وقد عاش الدوربون من الاسبارطين في هذه البلاد الحصينة بين ظهراي سكانها القدماء فاصبح بعضهم

رعايا لهم وفريق منهم عبيدهم ومواليهم وبهذا انقسم سكان لاكوبيا الى ثلاث طبقات وهم الهيلوتيون والبيريكيون والاسبارطيون .

الهيلوتيون - سكنت هذه الطبقة من السكان اكواحا منتشرة في الفلاة واقاموا على حرت الارض ورراؤها وما ملكوا الاراضي التي كانوا يعملون فيها ولم يكونوا مطلقيين في مغادرتها وما كان حالهم في ذلك الا حال عبيد القرون الوسطى مستأجرين تابعين للارض حلفا عن سلف عاملين لما لكها الاسبارطي وكان يتناول منهم افضل قسم من علاتهم . ولطالما احقرهم الاسبارطيون وحادروا ناسهم واساءوا معاملتهم واصطروهم الى لبس ثياب عليطة وضربهم بلا داع لينذكروهم انهم عبيد وارقاء . وربما اسكروهم في الاحايين لينفروا اناءهم من السكر . وقد شبه احد شعراء اسبارطة الهيلوتيين « بحمر موقورة تكبو ونوء تحت اعباء الاحمال واعياء الضرب »

البيريكيون - سكنت هذه الفئة مئات من القرى في الجبال او على الساحل وانفوا الاسفار البحرية والتجروا وصنعوا المواد الضرورية للحياة فكانوا احراراً يدبرون شؤون مرارعهم بيد اهلهم كانوا يؤدّون صرمة لحكام اسبارطة ويخضعون لهم .

حالة الاسبارطيين - بعض الهيلوتيون والبيريكيون ساداتهم الاسبارطيين . يقول كسيوموت لم يكن لاحد منهم عندما تكلم في شأن الاسبارطيين ان يكتم مبلغ سروره لو نسي له ان يأكل الاسبارطيين احياء . رللت اسبارطة ذات يوم وكادت تدعى اركانها فما كان باسرع من برق حتى امهال الهيلوتيون من اطراف الفلاة ليقتلوا الاسبارطيين الناحين من الهلاك . تم انقض البيريكيون وابوا الخضوع . على ان الاسبارطيين كانوا من سوء السلوك بحيث يستحقون سخطهم . ولقد امر الاسبارطيون عقيب حرب اشترك فيها كثير من الهيلوتيين في معسكراتهم ان ينشقوا من اشتهر منهم بالشجاعة ووعدهم ان يعفوهم وكان هذا الوعد منهم حيلة ليعرفوا بها اتبعهم نفوساً واحراًهم على ابداء واحد التوبة فانتهب ألفان منهم طافوا بهم ارجاء المعبد منوجة رؤوسهم اشارة الى الحرية تم ادخلهم الاسبارطيون في حركان ولم يعرف احد كيف هلكوا على حين كان المضطهدون عشرة اضعاف مواليهم وما قط ربا الاسبارطيون على تسعة آلاف رب أسرة يقابلهم مائتا الف من الهيلوتيين ومئة وعشرون الفا من البيريكيين . اقنصى ان يعادل واحد من الاسبارطيين عشرة من مواليهم في مسائل القتل واذا اعتادوا المصارعة قضت الحال بان يكون افرادهم اقوياء اشداء فكانت اسبارطة معسكراً لا جدار له وكان شعبها جيئاً على قدم الدفاع ابداً

التربية

الاولاد — يؤخذ اطفال هذه الامة منذ ولادتهم ليكون منهم اجناد فكل مولود يؤتى به امام المجلس فاذا وجد انه ضعيف اسوه بعرضه على مجلس لان احوالهم اوجبت ان لا يكون جيتهم مؤلفاً الا من ارباب القوة والجلادة فمن يستحيونهم يؤخذون من اهلهم في السابعة من عمرهم ويربون مع اقربائهم كأهلهم اولاد جماعة فيروحن عارية اقدامهم وليس على ابدانهم غير رداء واحد هو وقايتهم صيفاً وشتاءً وينامون على كدس من القصب ويغتسلون في المياه الداردة من نهر الاوروتاس ويقتلون من الطعام ويرددون كثيراً واطعمتهم عليظة ليعادوا ان لا يملأوا معدهم . ويقسمون الى سرايا كل سرية مئة رجل ولكل منها زعيم . وكثيراً ما يريدونهم على النطاعن بالارجل والا كف . ويساطون في عيد ارنيمس حتى تدل دماؤهم امام هيكله وربما مات بعضهم متأثراً من الصرب على اهلهم قلما يستعيتون فيرون الترف ان لا يرفعوا اصواتهم يريدون بذلك تدريهم على ان يقتتلوا ويحتملوا العذاب والالم . وكثيراً ما يبيعون عنهم الطعام ثباتاً فيسرقون ما يقتاتون به فاذا خدعوا يضربون بالسياط ضرباً مبرحاً . وكان من احد اولاد الاسبارطين كما قيل وقد سرق ثعلباً صغيراً وحبأه تحت توبه ان آثر جعل بطنه فريسة للثعلب يبهته على افصاح امره واظهار فعلته . وكان يراد تدريب هؤلاء الاطفال على حسن التخلص في الحروب فيسيرون غاضين انهم ساكتين وايديهم تحت ثيابهم لا يفتنون بمنة ولا يسرة كأنما على رؤوسهم الطير امام اذياكل وكان عليهم ان لا يتكلموا على الطعام ويطيعوا كل من يلقوهم وذلك لكي يخصوهم للنظام .

البنات — اما سائر اليونانيين فيحبس بناتهم في البيوت ويشعلنهم بركبة الصوف . اراد الاسبارطيون ان يقووا احسام نسايتهم ويجعلنهم من المقدرة بحيث يلدن الاقوياء . من الاولاد من كانوا يربون البنين على عرار البنات الا قليلاً . ولقد كانوا يمتربون بنات رياصاتهن على الركض والقفر ورمي الاطرو والطعن بالحراب . وقد وصف شاعر ألعاب كانت فيها البنات كالمباري مسرسة شعورهن والغباء تار وراءهن وقد اشتهر من امرهن انهن كن اصبح نساء يونان واتجمعن .

التدريب — حياة الرجال منظمة ايضاً حياة الجند اذ قضت الحال ان لائنتي عزائمهم امام جمهور الاعداء فيكون الاسبارطي في السابعة عشرة من سنه جدياً ويظل كذلك الى الستين . فكانت الارياء وساعة القيام والنام والطعم ورياضات تحدد معروفة بنظامات كما هو الحال في تكتة الجند اليوم . فاذا لم يحارب الاسبارطي يستعد للحرب فيمرن نفسه

على العدو والقفز وحمل السلاح ويروض كل حين عامة اطراف جسمه من عنقه ودراعيه وكمفيه وساقيه . ولا يحق له ان يتجر ولا ان يحترف ولا ان يحتر ارضاً فهو حندي وليس عليه ان يجيد عن مهمته بمعاطاة اي عمل كان . وليس له ان يعيش في أسرته على هواه فان الاسبارطيين يتناولون الطعام رمراً زمراً ولا يجرحون من بلادهم الا نادر وهذا يعد من باب تنظيم جيست في ديار العدو

الايجاز في الكلام - قاسى هؤلاء المخاريون شطط العيش فكانت سخناتهم صفيقة نقرأ فيها العجب والخيلاء وكانوا يحتفلون الكلام احتراً . وهذا ما يسمى بالكلام الموجر وبالأفريجية (لا كويك نسبة لمقاطعة لا كوييا وقد بقي منها هذا التعبير) . فكانت الحكومة تبعت الى حامية على خطر من مباغتته العدو لها رسالة لا تكتب فيها سوى كلمة (الحذر) ولقد احظر ملك الفرس حملاً اسبارطياً ان يطرح سلاحه فاجابه القائد « تعال خذ » ولما استولى لاندرك على آتية لم يكتب سوى هذه الجملة « سقطت آتية » .

الموسيقى والرقص - كانت الاشغال الاسبارطية صنائع حرية بحيث . حمل الاسبارطيون معهم صرناً من الموسيقى خاصة مهم كانت على حاب عظيم من الوقار والحاسة والكراهة في الاسماع وهي من صروب الموسيقى العسكرية . فيروح الاسبارطيون الى ساحة الوعى على نعات المرمار ويسبرون على الايقاع . ورقصهم عبارة عن استعراض قائد لخذ فيرقص الراقصون الرقص العسكري المؤلف ببلاد يونان المدعو بالبيريك مسلحين ويتابعون عامة حركات القتال ويشيرون بالضرب والكر والفر والطعن بالحرب .

نأس النساء - عرف النساء تقميس الرجال على القتال واشتهرت آبار تنجاعتهن في يونان فكتبت فيها المصنفات . وقد قبلت امرأة اسبارطية ولدها لفراره من الرحف قائلة « ان مهر الاوروتاس لا يجري ليشر من الوعول » ولما علمت احدى نساء تلك البلاد ان خمسة اولاد لها هلكوا قالت ليس هذا ما اسألكم عنه فبلا كتب المصرا لاسبارطة فلما احببت بالا يحاب قالت اذا فلنحمد الآله ولنشكر لهم .

الترتيبات

الملوك والمجلس - للاسبارطيين اولاً كما لسائر اناء يونان ملوك ومجلس شيوخ ودار ندوة وقد حفظت كل هذه الترتيبات ولكن من حيث الصورة فقط . فالملوك وهم من سل المعبود هيراكليس يشرفون ويكرمون ولم حق التصدر في المواضع الاولى في المادب ويقدم لهم من الطعام ما يبغي اثنين وادامات احدهم بلبس جميع الرعايا عليه الحداد . بيد انهم لم يتركوا لهم ادبي حكم بل يراقبونهم كل المراقبة . وكان مجلس النواب مؤلفاً من

ثمانية وعشرين شيخاً منتخبين من العيال العلية القديمة يقومون بما ندبوا اليه مدى الحياة ولكنهم لا يحكمون .

المفتشون — ان المفتشين (ايفور) هم السادة الحقيقيون في اسبارطة وهم خمسة حكام يتجدد انتخابهم كل عام ويناط بهم تقرير السلم والحرب وفصل القضايا . وهم يرافقون الملك في قيادة الجيش فيديرون حركة الاعمال الحربية وكثيراً ما يريدونه على الرجعة من الحرب وهم في العادة يستشيرون اعضاء مجلس الشيوخ ويقررون ما ينبغي باتفاق آرائهم ثم يجمعون الاسبارطيين في احدى الساحات ويطلعونهم على ما تم من القرار ويطلبون اليهم ان يصدقوا عليه اما الامة فانيها تستحسن ما تم بالهتاف دون ان تناقش في اقل مسألة . ولا يعلم مما اذا كان للامة الحق ان ترفض ما قرر وهي التي علمت الخضوع وان لا تعاند اصلاً . وكانت هذه الحكومة حكومة اشراف مؤلفة من عدة اسرات حاكمة . فمن ثم لم تكن اسبارطة دلال مساواة وكان فيها اناس يدعون اهل المساواة وذلك لانهم كانوا سواء فيما بينهم اما غيرهم فيدعون المروؤسين ولم يكن لهم شيء من الحكم المتة .

الجيش — بفضل هذه الطريقة في الحكم احفظ الاسبارطيون اخلاقهم الحبلية القاسية فلم يكن عندهم نقاشون ولا مهندسون ولا خطباء ولا فلاسفة بل اهمهم انصرفوا كلهم الى الحروب وحدثوا علم الكر والفر ايما حذق وعدوا من المفتشين لغيرهم من اليونانيين واتوا العالم بعملين عظيمين احسن طريقة في القتال واحسن طريقة في التدريب .

المسلحون — كان اليونان قبلهم يسيرون الى القتال بغير انظام فيمتطي الرعاء صهوات الحبول او محلات حفيفة ويتقدمون صفوف الحملات والناس يتبعوهم متساء وقد تسليح كل منهم كما اراد وقد تفرقوا طرائق قديداً وليس في وسعهم ان يكونوا يد واحدة في العمل او المقاومة . وما هو الا ان يستحيل القتال الى مبارزات تم الى مذايح . اما في اسبارطة فالمقاتلة باجمعهم سلاح واحد وكانت وسائل دفاعهم درعا يغطي النصف الاعلى والحوذة نقي الرأس والمسامي (الطماقات) نقي الساق والتروس تجعل في مقدمة الحسد . اما وسائل هجومهم فسيوف قصيرة ورمح طويل . ويسمى السلاح على هذه الصورة باسم ايبوليت . والمسلحون من الاسبارطيين مقسومون الى كتائب وسرايا وفرق وترازم على مثال ترتيب حيوتنا لهذا العهد الا قليلاً . فكان الضابط يقود احدى هذه العصابات وبلغ رحاله اوامر الرئيس بحيث انه يتأني للقائد العام ان يوحد حركة الجيش كله . وهذه الطريقة التي راعها سهلة هي النسبة لليونان ابداع عجيب .

مصاف الجيش — متى بلغ الجند مقدمة الاعداء بأحدون مصافهم ويكون في العادة

على ثمانية صفوف متقاربين بعضهم من بعض مؤلفين من جموع متكاثفة تدعى حمافل ومصافا ويقدم الملك وهو قائد الحيش عنزة على سبيل النذر للارباب واذا نفاء لوا باحشاء الديجة نفاؤلاً حسناً يبدأ جماعة من الجند يرددون لحناً وعندئذ تتهتر صفوفهم ويباعثون اعداءهم مسرعين على الايقاع ونعمات المرمار والرمح يعلو والترس على الجسد فيحملون عليهم وصفوفهم متراسة فينكسون اعلامه بمجموعهم ووبوهم ويهرمون ويقفون حالاً لئلا يقطع مصافهم وانه ليتسى لكل جندي ان يحيي احاه مادام سير الحيش كسفاً الى كتف فيكون بذلك كالبنيان المرسوص يتعذر على العدو ان يحد الى حرقه سبيلاً . نعم ان هذه التعبئة كتيبة في ذاتها ولكنها تكفي لغلبة جيش مسوس ولما يقاوم ناس منفردون مثل تلك الجموع ولقد فهم سائر اليونان هذا الامر فاقنوا جميعهم بالاسباطيين ما ساعدتهم المكنة فكان جندهم حينما حلوا مدحجين بالسلاح وقاتلوا حمافل وكسائب متراسة .

الرياضة الحسدية اقتضى تدريب رجال حفاف اقوياء لتتسى مهاجمة العدو في مثل تلك الصفوف ونكيس اعلامه لاوّل وقمة فكان على كل جندي ان يحسن البراز والصراع فمن سم رتب الاسباطيون الرياضات البدنية واقدى بهم سائر اليونانيين فاصبحت الرياضة عملاً من اعمال الامة كافة . واكبر اعمالها اعتباراً ما يكمل صاحبه في الاعياد العظيمة . عرفت احدى المدن في البلاد النائية بين برابرة العول او البحر الاسود وتبت امها يونانية اذ كان لها ملعب للاعمال الرياضية . وكان هذا الملعب قطعة مرعبة عظيمة تحيط بها اربعة اوقية او دهايلروهي في الاغلب على مقربة من بيع ولد حمامات وقاعات للتمرين . فيحضر السكان الى ذلك المكان للرهة والمحادثة وهو اتبه ساد وكان الفتيان يقضون في هذا الملعب عامين على الاقل يختلفون اليه كل يوم يتعلمون القفز والركض ورمي الايثار وضرب الحراب ويتصارعون بوسط الحسد لتقوية العضلات والجلد وينعمسون في الماء البارد ويطلون ابدانهم بالريت ويتمسحون بمسحة .

المصارعون معظم الاسباطيين يقضون عامة حياتهم في ممارسة هذه التمرينات لبناء ومروءة فلا يعتمدون ان يصحوا مصارعين وقد وفق بعضهم الى ان تمت على ايديهم حوارق ويقال ان ميلون من مدينة كروتون في ايطاليا كان يحمل بورا على كتفيه ويوقف عجلة وهي راکضة بان يمسكها من خلفها . ولقد كان هؤلاء المصارعون يخدمون في الحروب خدمة الاجناد وكثيراً ما يقومون بقيادة الرحوف وهذا صح قولنا ان الرياضات البدنية بمثابة تدريب على الحرب .

اعمال الاسباطيين تعلم الاسباطيون من اليونانيين الترويض والقتال وجاء منهم

مصارعون اقوياء اشداء وجند منظم وعرفوا هذه المزية في بلاد اليونان وكانوا من اجل ذلك يحترمون في كل مكان . ولما قضي على سائر الشعوب اليونانية ان تقاتل الفرس مجتمعة تحت راية واحدة لم يستنكفوا من اتحاد الاسبارطيين زعماءهم . قال خطيب آتيني وكان هذا الامر بحجة صحيحة واستحقاق تام .

آتينه

الشعب الآتيني

اتيكيـا — فاخر الآتينيون لسكنائهم ابدًا بلادًا واحدة وادعى اجدادهم انهم ولدوا من الرمل كالريزان . وقد احتاز الفاتحون من سكان الجبال بالقرب من بلادهم ولم يهاجموها وقبلما دعيتهم اتيكيـا الى قبالها . هذه المقاطعة مؤلفة من جبال شاهقة صخرية نائمة في البحر على شكل مثلث الاضلاع . وهذه الصخور المشهورة تقطع رحابها وبمسل نخلها حرارة مرداء بينها وبين البحر ثلاثة سهول صغيرة قاحلة لا تروى (لطفاف سواقيها في الصيف) ولا تقوم بتعذية امة كبيرة .

آتينه — على مرتفع من البحر اعظم تلك السهول قامت صخرة عظيمة وحيدة منصبة وقد استئت آتية في سفحها . اما المدينة القديمة التي كانت تدعى الاكروبول (المدينة العالية) فاما كانت في قمة الجبل . وقد اخذ سكان اتيكيـا ينفرون الى ممالك عديدة فكانت كل قرية تحكم نفسها نفسها ولها ملك يجمع جميعها تحت زعامته وهو ملك آتينه فيتألفون بذلك مدينة واحدة وليس معنى ذلك انهم كلهم يحطون رحالهم في المدينة . بل يظل كل منهم يسكن قريته ويررع ارضه . بيد انهم كلهم عبدوا اربانًا واحدة وهي آتينه معبودة آتينه وحضعوا باجمعهم لملك واحد .

تورات آتينه — قد رجعت آتينه فرعت السلطة الملكية واستعاضت عنها بتسعة زعماء (اركون) يتبدلون كل عام . وانا للجهل هذا التاريخ كل الجهل اد لم يبلغنا عن دلك الوقت اقل كتابة تستند اليها . ويروى ان الآتييين عاشوا قرونًا في شقاق يصطهد اشراف اصحاب الاملاك (اوباتريد) العملة من اصحاب المياومات في اراضيهم وبيع الدائنون مدينتهم ببيع الارقاء . ولقد عهد الآتييون حبًا بتوطيد الراحة الى صولون احد حكائهم ان يسن لهم قوانين يسيرون عليها فقام بثلاث اصلاحات : اولًا تقليل قيمة السكة وهو مما سهل على المدينيين ان يوفوا ما عليهم من اهنون سبب . ثانيًا جعل الفلاحين ملاكًا للاراضي التي يزرعونها ومن ذاك الحين صار في اتيكيـا كثير من صغار اصحاب الاملاك مما لم يعهد مثله في بلاد يونانية . ثالثًا قسم السكان عامة الى اربع طبقات بحسب مداخيلهم وقضى

على كل منهم ان يؤدي الضرائب ويقوم بالخدمة العسكرية على نسبة ثروته . اما الفقراء فاعفاهم من الضرائب والخدمة . ولقد خضع الآينيون بعد وصولون الى بيزيسترأس احد اناثهم العالمين العارفين تم بدأ الاضطراب سنة ٥١٠

اصلاح كليستين — استنفاد كليستين احد زعماء الاحراب من هذه الاضطرابات فقام ثورة عظيمة . ولقد سكن كثير من العرباء في اتيكيا وكان معظمهم ملاحين وتجاراً يقطنون مدينة بيربا بالقرب من المرفأ . فاعطاهم كليستين حقوق الوطنيين وساواهم بالسكان الاقدمين فصار من ثم في تلك المقاطعة شعبان مختلفان سكان اتيكيا وسكان بيربا وكانا يتميزان احدهما عن الآخر بعد ثلاثة قرون من هذا الاحتلاط باحتلاف سخناتهم فيسبه اهل اتيكيا سائر اليونانيين ويسبه اهل بيربا الآسيأويين . وهكذا زاد الشعب الآيني فاصبح امة جديدة ومن اكثر سكان بلاد اليونان حركة وساطاً حتى اذا كان القرن الخامس تألفت الهيئة الاجتماعية في آتينة تأليفها الاحبر فكان ثلاث طبقات من السكان يقطنون اتيكيا الا وهم الموالي والاجانب والوطنيون .

الموالي — الموالي هم السواد الاعظم من اهل البلاد فلم يكن تمت رجل مها بلع من الفقر المدقع الا ويملك مولى اما الاغنياء فيملكون منهم كتيبة وملك بعضهم نحو خمسمائة مولى وكان من شأن هؤلاء الموالي ان يبقوا في الدور وشغلهم الطحن والخبز وحياكة الثياب ونسجها وطبخ الطعام وخدمة ساداتهم . ويعمل بعضهم في المعامل حدادين وصباغين او يشتغلون في المقالع والمناجم الفضية . ويقوم سيدهم باودهم ولكنه يبيع لنفسه كل ما ينتجه ايديهم ويأتي ثمره اعمالهم ولا يعطيهم من جميع ذلك الا الطعام . فكانت عامة الخدمة والعاملين في المناجم ومعظم الصنائع عبيداً وارقاء . يعيترون في المجتمع دون ان يعدوا منه بل لا يتصرفون بانفسهم وهم ملك مواليتهم حسماً ومادة . ولم يعتبروا الا اعتبار عروض تملك وربما دعوهم « اجساداً » وليس لهم من شريعة غير ارادة سيدهم . ولسيدهم عليهم كل حق وسيطرة فان شاء شغلهم وان شاء حبسهم وان شاء حرهم من طعامهم وان شاء ضربهم واذا نشأت لاحد الوطنيين قضية يتأتى لخصمه ان يطلب تعذيب مواليه ليقر او بما يعملون . وقد امتدح عدة خطباء آتيين هذه العادة وعدوها ضرباً من صروب الخدق لاحد شهادة صحيحة . قال الخطيب ايريه ان التعذيب احسن واسطة ليل البراهين ولذلك متى كان عليك ان توضح مسألة منازعة فيها فاياك ان تعتمد الى الاصرار بل انك تصل الى كشف القناع عن محيا الحقيقة بجعل العمدان في العذاب الشديد .

الاجانب — هم ناس من اصول مختلفة يقيمون في اتيكيا وهم الدين بدعون المتيكيين

(اي المتساكنين) . ولم يكف الرجل كما هو الحال عندنا ان يولد في ارض آثينية ليعد وطنياً بل يجب ان يكون ابن وطني . وعبثاً استوطن الطراه في اتيكيا اجيالاً كثيرة وماعدت قط أسراتهم آثينية . فالميتيكيون والحالة هذه لم يكن لهم ان يستركوا في الحكومة ولا ان يتروّجوا وطنية ولا ان يقننوا ملكاً على حين كانوا احراراً في اختصاصهم ولم حق السفر في البحر وان يكونوا صيارف وتجاراً على شرط ان تخذوا لهم زعيماً ومولى يمثلهم امام القضاء . وكان في آثينة زهاء عشرة آلاف أسرة من الميتيكيين ومعظمهم صيارف وتجار الوطنيون — اقتضت الحال ان يكون الانسان ابن وطني او وطنية ليكون وطنياً آثينياً ومتى بلغ القى الثامنة عشرة من عمره يعد عندهم راشداً ويقف امام جموع الشعب ويدفع اليه السلاح الذي يقصى عليه حملد ويقسم يمينا فيقول . أقسم ناسي لأهين هذا السلاح المقدس ولا أعادر موقفي في صفوف الاعداء وان احصع للحكام والقوانين وأتصرف بحسب وطني . فيكون بهذا الحلف وطنياً وجندياً معاً ويقصى عليه بعد ان يخدم في الجندية الى من الستين وله لقاء ذلك حق الجلوس في مجلس الامة والقيام بوظائف الحكومة ورتبارضي الشعب الاثيني يجعل رجل وطنياً على حين ليس هو ابن وطني ولكنه يرضى بذلك على صفة استثنائية وتوسعا في المكرمة العظيمة . فوافق المجلس على قبول العريب وينبغي ان ينتخبه على الاقل ستة آلاف وطني بعد تسعة ايام من هذا الاقتراع وفي جلسة نائية وذلك في انتخاب سري . والشعب الاثيني هو كدائرة مطبقة لا يدخل فيه اعضاء جدد الا اذا رضى الاعضاء القدماء بقبوله على ايه لا يقبلون غير انانهم .

المجلس يلقب الاثينيون حكومتهم بالحكومة الديمقراطية (اي حكومة الشعب) وليس هذا الشعب ما نعي به عندنا من جمهور السكان بل هو جماعة الوطنيين وحلصاء الاشراف وعددهم بين خمسة عشر الفا الى عشرين الف رجل وهم زعماء الامة بأسرها . ولهؤلاء الجماعة سلطه مطلقة وكلمة عليا وهم على التحقيق ملوك آثينة وان مجالسهم بلثم ثلاث مرات في الشهر للمفاوضه والاقتراع . يجتمعون في الهواء الطلق في ساحة البيكس فيجلس الوطنيون على مقاعد من حجرات درجات ويقعد الحكام بازائهم على مطبة ويفتحون الجلسة باحتفال ديني وصلاة يصلونها ثم يعلن المنادي بصوت جهوري بالمسألة التي يناقش فيها المجلس قائلاً من مكم يشرع في الكلام أولاً . ولكل وطني الحق ان يطلب ذلك . وعندها يصعد الخطباء المنبر بحسب تفاوت اعمارهم ومتى تكلموا كافة يضع الرئيس المسألة المطلوبة على بساط البحث فيقترع المجلس بان يرفع اعضاؤه ايديهم ثم ينصرفون . المحاكم — لما كان الشعب حاكماً فهو يقضي في القضايا لذاته بذاته ولكل وطني بلغ

التلابين من عمره ان يكون من اعضاء مجلس الحكم فيجتمع الحكماء في القاعات الكبرى فرقا كل فرقة مؤلفة من خمسمائة نسمة . وفي كثير من القضايا ياتى فرقان او ثلاث فرق من الحكماء فتتألف المحكمة من جمهور يبلغون ألفاً وألفاً وخمسمائة قاضي ولم يكن للآتينيين حكم كما هو الحال عندنا لرفع القضايا بل كانت هذه المهمة من وظيفة الوطني الذي يعهد اليه تجريم المجرمين . فيمثل المدعي والمدعى عليه امام المحكمة ويخطب كل منهما خطبة لا تزيد على وقت 'حد' ساعة دقاقة مائة . ثم يبدأ القضاة بالموافقة على وضع حصة بيضاء او سوداء فاذا توفر للمدعي بضعة آراء (اصوات) زيادة على حصته يحكم عليه ويحرم .

الحكام . - كان الشعب الحاكم في حاجة الى مجلس لوضع المسائل موضعها من المبحث والى حكماء ينفذون ما يقرره ويألف المجلس من خمسمائة وطني تصيهم القرعة حولاً كاملاً . واذ كثر عدد الحكماء حص عشرة منهم لتعبئة الجيش وقيادته وللابون لادارة الشؤون المالية وستور مهم يعهد اليهم حطة الحسبة من النظر في الشوارع ونظافتها والاسواق وبياعاتها والاوزان والقياسات وما يتبعها .

معة هذه الحكومة -- لم تكن السلطة في آية في ايدي الاغنياء والشرفاء كما كانت في اسبارطة بل كانت لقرار كل مسألة باكثرية الآراء وتبادل الآراء فيجري انتخاب الحكماء واعضاء المجلس والعمال بالقرعة . الا القواد فاهم لا ينتخبون كذلك . والوطنيون يتساوون لا من حيث الامور النظرية بل من حيث الامور العملية . ولقد قال الحكميم سقراط لاحد اهالي آتينة المورين وكان لا يجرأ على الكلام امام الشعب « يا هذا من تخاف ؟ ام القصار بن ام من السكاكين او الممارين او الحرايين ام من السوق والمترفين من هاته الطبقات يتألف المجلس » وكثيرون من هؤلاء الحكماء مضطرون الى الاحتراف ليعيشوا ولم يكن في وسعهم ان يخدموا الحكومة بالمجان ولذلك عينت لهم مشاهرات واحوراً فيتناول كل وطني اجرة جلسة واحدة في المجلس او المحكمة ثلاثة فلوس او خمسة واربعين ساتيماً من سكنا وهو القدر الذي يتأقى لوجل ان يعيش به في ذاك العصر . من احل هذا كثر الاعضاء الفقراء في هذه المجالس وحلوا على دكات المحاكم مع الاغنياء كتنفاً الى كتف ووجهاً لوجه .

الفوضيون من الشعب — لما كانت تفصل المسائل برمها في المجلس او المحاكم بالناقشة فيها والقاء الخطب في مضامينها كان فصحاء القوم هم ارباب المكانة المكيئة في الامة . فاعتادت هذه ان تسمع لاصوات الخطباء وان تعمل محائيرهم وتعهد اليهم في السفارات وان تعينهم فواداً وزعماً . ويدعى هؤلاء الرجال الفوضيين « اوزعاء العصاة » . اما

حرب الاغنياء فيضحك منهم . وقد مثل اريستوفان الشعب في احدى الروايات الهللية في صورة شيخ سخيف فقال : انت عبي تصدق كل ما تسمع تستسلم لاهل النفاق والدسائس يتلاعبون بك على هواهم وتفتبط بالسعادة متى حطبوا فيك . وقال احدهم خطاباً لاجد نزاع الآفاق انت يا هذا شي فظ عظيم وصوتك شديد وفي بلاغتك من القمح وفي حركاتك من السرعة ما يؤهلك على ما ارى الى كل ما يلزمك لحكم آتينة .

الحياة المنزلية

احترع الآتييون وظائف كثيرة عهد القيام بها الى فئة من الوطنيين . فكان الوطني الآتيي كالموظف والجندي في ايامنا مهتماً بالانصراف الى الاعمال العامة يصرف ايام حياته في اشغال الحرب والحكم على الشعب ويقضي ساعاته في المجلس او في المحكمة او في الجيش وفي مجال الرياضة او في الدوق وكان له انداً امرأة واولاد لان الدين يأمره بذلك ولكنه ما كان يعيش عيش البيوت .

لاولاد - يحق للوالد عند ما يولد له مولود ان يطرحه ويطرده خارج بيته فيموت طريقاً اذا لم يلقطه احد اثناء السبيل ويربيه ليجعله مولى له . وانت ترى ان آتينة اتبعت في هذا خطة جماع الشعوب اليونانية . والبنات كن ينبذن في العراء ويطرحن خارج المنازل اكثر من البنين قال احد الخطباء الهزليين ان الابن يُربى في الغالب ولو كان ذووه في اقصى دركات الفاقة اما الابنة فتهمل ولو كان اهلها من الغنى على سبب . فان قبل الوالد الولد يعد من الأسرة ويترك اولاً في مساكن النساء بالقرب من الام حيث يظل البنات الى ان يتزوجن اما البنون فينفصلون عن تلك البيوت في السابعة من عمرهم فيسلم الطفل الآتيي الى المربي الذي يعهد اليه تعليمه وتحسين هيئته والخضوع والطاعة وكثيراً ما يكون المعلم من طبقة الموالي الا ان والد الطفل جعله في حل من حرب ابنه . وهذه كانت عادة عامة في القديم . ثم يذهب الولد الى الكتاب يتعلم القراءة والكتابة والحساب واشتاد الاشعار والتغني مع جماعة الموسيقيين على اعمات المرمار تم بأحد في تعلم الالعب الرياضية وهذه غاية ما يتعلمه الولد فيجيء من هذا التعليم من ابناء الآتييين رجال صحيحة اجسامهم هادئة افكارهم يدعوه اليونانيون اهل الصلاح والجمال . اما الفتاة فتظل بالقرب من امها لا تتعلم شيئاً . ويذهبون الى انه بكى الابنة الآتينية ان تحسن الخضوع وثقبت باهداب الطاعة . وقد مثل كسينوفان احد اغنياء الآتييين المهذبين وهو يخاطب الحكيم سقراطاً في شأن زوجه قال : لم تكذب تبلغ الحامة عشرة حتى تزوجتها وقد كان ذووها جعلوها الى ذاك العهد تحت المراقبة الشديدة وارادوا ان لا تبقى وتعيش ولا تسمع

شيئاً على التقريب مما اهلها لان تكون امرأة تحسن نسج الصوف وتصنع منها ثياباً ورأت باي الطرق يستخدم الاماء والخدامات . ولما اقترح عليها زوجها ان تكون شريكة في حياته احابته مدهوشة : على اي امر أعينك وهل انا قادرة على شيء ؟ فلطالما قالت لي أمي ان شأني الخاص بي ان اكون عاقلة . فعنى كون المرأة عاقلة ان تحضع وهذه هي الفضيلة التي نطلب الى المرأة اليونانية .

الزواج — تزوج الفتاة في الخامسة عشرة من سنها واهلها يختارون لها زوجها فيكون تارة شاباً من أسرة قريبة او رجلاً طاعناً في السن من اصدقاء والدها ولا يعدو ابدأ ان يكون وطنياً آتياً وقد تعرفه الفتاة من قبل في بعض الاحوال وما قط أخذ رأيها في معنى زواجها . ولما تكلم المؤرخ هيرودتس عن احد ابناء يونان قال : ان كالياس هذا حدير بان يتكلم المتكلمون في امره للخطبة التي يسلكها مع ساته فانهن متى صلحن للزواج ينخلعن من المال شيئاً كثيراً ويسمح لهن باختيار ازواج لهن من ابناء الامة وبروجهن عن بنتجهن النساء — كان في داخل كل بيت آتيني مسكن منعزل خاص بالنساء يدعى الحرم ولا يختلف الى هذا المسكن عبر الراج والاسباء وتبقى فيه ربة البيت دائماً مع صويجاتها وامامها ترأقب اعمالهن وتلقنهن اصول تدبير المنازل وتوزع بينهن الصوف ليحكهن وهي تشغل نفسها بحياكة الثياب ايضاً . وقلما كانت تخرج من دارها الا في الاعياد الدينية ولا تظهر في مجتمعات الرجال قط . قال الخطيب اريس : حقاً انه لم يكن لاحد ان يخرجاً على العداء عند امرأة مزوجة فان النساء المروحات لا يخرجن لتناول الطعام مع الرجال ولا يسمحن لانفسهن ان يأكلن مع الغرباء وغير المحارم . وما كانت المرأة التي تحالط الرجال معدودة في جملة النساء المحتشمات المبهذبات . وهكذا لم تكن المرأة وهي على حالها من الاعتزال والجهل ذات عشرة مقبولة فيترؤج بها الرجل لا لتكون شريكة حياته بل للقيام بأمر بيته وتلد له اولاداً ولان العادة والدين عند اليونانيين يقضيان بان يكون للمرأة حليمة . وقال افلاطون اذا تزوج المتزوج فليس برضاء وذوقه السليم بل لان الشريعة تقضي عليه بذلك . وقال مياندر الشاعر الهزلي هذه العبارة : اذا شئت التحقيق فقل ان الزواج شر ولكنه شر لا مناص منه . ولذا كان ابدأ للنساء في آتينة كما في معظم المدن اليونانية مقام وضع في المجتمع .

الحروب المادية

سببها — بينا كان اليونان آخذين في تنظيم مدنهم كان ملك الفرس يجمع شتات بلاد الشرق كافة تحت لواء واحد . ولقد تقابل اليونان والمشاركة وكان المصاف بينهم لاول

الامر في آسيا الصغرى . وكان على شاطيء آسيا مستعمرات يونانية غنية ماهولة فطمع قورث ملك فارس في ضمها الى بلاده فبعث تلك المستعمرات تستجد بالاسباطيين وقد استهروا بانهم احرا ابناء اليونان وانذروا بذلك قورث واجابهم بقوله : اني ما احتيت قط هذا الضرب من الناس الذين يجتمعون في ساحة وسط مدينتهم ليحذع بعضهم بعضا بالايمان والعهود (كلامه على ساحة السوق) فعلم ابناء اليونان في آسيا واصبحوا رعايا اداك الحاقان الاعظم . وبعد ثلاثين سنة تقابل الملك دارا مع يونان اوربا ولكنهم ظهروا عليه هذه المرة فارسى الآيبينون عشرين سفينة على الايبينون العصاة فدخل حنهم سيف ليديا واستولوا غنوة على مدينة ساردس عاصمة ليديا واحرقوها . فانقم دارا عن ذلك ان حرب المدن اليونانية في آسيا ولم يبق على يونان اوربا . وقيل انه امر ان يقتل لديه ضابط في كل مأذبة يكرر على مسامعه قوله : مولاي تذكر الآيبينين . وقد بعث الى المدن اليونانية يطلب ترأثا وماء . وهذه الاشارة الشائعة عند الفرس كانت دلالة على ان شعبا يخضع لاداة اسلمطة الحاقان الاعظم فاجس معظم اليونانيين حيفة واستسلموا حاصعين ناحمين فطرح الاسباطيون المندوبين من الفرس في شرقائلين لم ان ياأحدوا منها ماء وترابا يحملوها الى ملكهم . وهذه كانت فاتحة الحروب المادية .

مبادلة الخصمين - ان التباين بين هذين العالمين المتحاربين قد اشار اليه هيرودتس احسن اشارة في صورة محاورة بين كسيركيس ملك الملوك وديمارات احد المفيين من الاسباطيين فقال هذا : اتجاسر ان اؤك كد لك ان الاسباطيين يعلمون عليك حراثا حتى ولو انفاز سائر اناء يونان كافة الى حزنك ولولم يبلغ جيشهم الف رجل . واحاب كسيركيس صاحكاً وليت شعري هل في وسع الف رجل ان يشهروا حراثا على هذا الجيش الكثير العدد والعدد واني لاحتى ان يكون في كلامك تحذلق كثير . وهب ان عددكم خمسة آلاف فنحن زهاء الف لقاء واحد . فلو كان لهم زعيم مثلنا فان الخوف يحمسهم ويزيد نفوسهم مصاء فيرحفون بصرب السياط على جيوش اكثر منهم حصا وعددا . واذ انهم احرار لا علاقة لهم باحد فليس لهم من التجاعة اكثر مما خصتهم به الفطرة . يقول ديمارات ان ليس الاسباطيون دون غيرهم في حرب يتلاقى فيه المتحاربون جسدا لحسد حتى اذا انصموا بعضهم الى بعض صاروا جيوشا برأسه ومن اتبع الناس وامضاهم . وفصارى القول فانهم وان كانوا احرارا في الظاهر ليسوا كذلك في سائر شؤونهم فلم حاكم مطلق ألا وهو « القانون » فهم يخافونه كثيرا ويهربون نأسه اكثر من رهبة رعايانا لك . يطيعونه والقانون يا مرهم ان يثبتوا في مصافهم ابدا الى ان يغلبوا او يموتوا — اليك حال هذين

يرحفون الى العدو الا اذا امهالت السياط عليهم وقد جاؤا بسيف القوة والقهر الى حرب لا يهجم امرها ولا سلاح لديهم ، لا نظام في مصافهم فهم لا يلبتون ان يركنوا الى الفرار بمجرد ان تعيب اعين الحراس عنهم . وثقاتل الماديون والفرس وحدهم في ثلاثيه وميكال ونجا الرعايا . وكان الجند الفارسي سيء النظام والعدة يلبس بيا باطويلة وقد وقيت رؤوسهم بقلسوة من لباد وحفظت اجسامهم انراس من سجر الصفصاف والخلاف وسلاحهم قوس ومدية وحرية قصيرة جداً ولم يكونوا يستطيعون القتال الا اميدين ويقاتل الرجل رجلاً مثله . اما الاسبارطيون والتحدون معهم بقعد المخالفة فكانوا على عكس ذلك نقيم التروس العظيمة والحدود وقايات السوق ويسرون جموعاً مستبكة لا تقاوم يحرقون صفوف العدو بحراهم الطويلة وما هو ناسر من رد الطرف حتى تصير الحرب ملحمة كبرى ومذمحة تباع فيها الارواح ببع السلاح .

نتائج الحروب المادية - قادت اسبارطة الجيوش ولكن كما قال هيرودتس كانت آتينة هي التي انقذت اليونانية بان كانت لها مبالاً في المقاومة . وامت اسطول سلامينة وقد استعادت آتينة من هذه البصرة اما المدن الايوبية من الحرر وشاطيء آسيا حملة واحدة فقد تارت ومردت والتمت عصاة تبايعت فيها على الموت في سبيل الدود عن اوطانها من مهاجمة الفرس . واما الاسبارطيون وهم شعوب حلية فلما لم يستطيعوا ان يدروا حراً انصرفوا راجعين ادراجهم فاشبح الاينيون اد داند زعماء العصاة . وفي عام ٤٧٦ جمع اريستدس قائد اسطولهم نواب المدن المتحالفة فقرر رأيهم على مسامحة حرب الخاقان الاعظم وتامروا بهم على تقديم سفن ومخاربن وان يؤدوا كل سنة قطيعة من المال قدرها ٤٦٠ تالاناً (اية مليوناً وسبعائة الف مرنك) وحملت الحراة بدينه ديبوس في معبد ابولون معبود الايويين وكان عهد الى آتينة ان تقود الجيوش وتجي القطائع . وقد الى اريستدس في البحر قطعة من الحديد المحقى واقسموا كلهم ان يحتفظوا جميعاً بالعهد الى يوم تطفو هذه الحديد على سطح الماء وذلك حباً بتأكيده العهد وفادياً من نقض يمين الاحلاص .

وقد حدث مع هذا ان الحرب وقعت وعقد اليونان - وكان النصر اليك الوينهم ابداً - معاهدة سلمية او هدنة مع الخاقان الاعظم فابى الملك ان يعد يونان آسيان رعاياه (نحو سنة ٤٤٩) . وهنا سؤال يورد في هذا الباب وهو كيف انتهت معاهدة اريستدس وهل كان على المدن المتحدة ان تؤدي القطائع على حين ليس عليها ان ثقاتل بعد فابى بعضها ذلك حتى قبل ان اطفئت نار الحرب . وزعمت آتينة ان المدن كانت أخذت على انفسها العهد على الدهر فاضطرتها الى ان تؤدي ما يطلب اليها . حتى اذا وضعت الحرب

اوزارها لم تجدر حراسة ديلوس قتيلاً ولذلك نقلها الآتييون الى مدينتهم واستخدموها في
ابناء المصانع والمعاهد . ولطالما كانوا يقولون ان المتحدين يؤدور ما يتقاضونه من الضرائب
للخلاص من ايدي الفرس فمن تم لم يكن لهم ما يطالبون به بثة ما دامت آتينة تدفع عنهم
عادية الخاقان الاعظم . وهذا مما غير حالة المتحالفين فصاروا ملزمين بدفع الضرائب لا آتينة
وما عثموا ان امسوا رعاياها فرادت آتينة في قدامهم واكرهت مواطنيهم على المتول امام المحاكم
الآتينية بل قد انفتت بطواريء من قبلها ليسمعروا جاباً من ارضهم وبهذا النظر اصبحت
آتينة ام القرى تحكم زهاء ثلثائة مدينة متفرقة في الحزر وشواطيء الارحبييل وتحبي قطيعة
قدرها ستائة تالان في كل سنة .

الصنائع في بلاد اليونان

آتينة على عهد الامراتور بركليس

بيركليس --- كانت آتينة في منتصف القرن الخامس من اقدر المدن اليونانية يدير
امرها بركليس احد ابناء الاسرات العظيمة وكان مقلاً من الكلام غير منبذل في شخصه ولم
يكن يتوقع في اعماله رضى الامة بل كان الآتييون يحرمونه ولا يجرون الا على ناصحه
وهو معروف انه متمكن من شؤون الادارة ومعرفة البلاد ولدات دحوا تحت سيطرته وحكمه
وادار سياسة آتينة كلها اربعين سنة كما قال معاصره توسيديس المؤرخ : ان الحكومة
الديمقراطية كانت موجودة بالاسم بل كانت تلك الحكومة حكومة الوطي الاولى على التحقيق
آتينة ومصالحها . كانت منازل القوم الخاصة في آتينة كما في معظم المدن اليونانية
ضيقة واطنة متراكمة بعضها على بعض يكون منها ارقه حبيقة منعطفة سيئة التسلط . وقد
جعل الآتييون عظمتهم في معالمهم العامة . فنذ اخذوا يحبون من محالفيهم قطائع لتصرف في
سبيل الحروب كانوا ينفقون النفقات الطائلة في اقامة اسنية جميلة فعمروا في ساحة احد
السوارع رواقا مرينا بالصور (الفسيل) واشتوا في المدينة دارتمتيل ومعبد اكراما لتيريس
احد اطالهم واوديون ومعبد الشعر والموسيقى وذلك للمسابقة في هذا العلم . ولكن قامت احمل
المباني على صخرة الاكروبول كأنها على قاعدة هائله وهما معبدان (احدهما وهو البارثينون
جعل قربى للمعبودة آتينة حامية مدينة آتينة) والاخر هيكل نخم من الفلز يمثل آتينة وسلم من
الآبار الجليلة يصل الى البروبيلي ورواق الرحام في آتينة . ومن دالك العهد كانت آتينة
اجمل بلاد اليونانية وانضرها .

عظمة آتينة --- ومع ما حصت به آتينة من الصفات المشار اليها كانت ايضا مدينة اهل
الصنائع فقد حشر اليها الشعراء والخطباء والمهندسون والمصورون والنقاشون وكان بعضهم

من اهل آتينة ووجهائها وجاءها البعض الآخر من اطراف ارض يونان يحملون الى تلك المدينة العظيمة نتائج صناعاتهم وطرف طرائقهم . لا جرم انه نبغ كثير من ارباب الصنائع اليونان لم يكونوا من اهل مدينة آتينة وذلك قبل القرن الخامس وبعده بكثير من الزمن ولكن قل ان اجتمع هذا القدر العظيم من ارباب الصنائع في مدينة واحدة ولقد كان معظم اليونانيين من اكبس ارباب المعارف في الصناعات وموادها بيد ان الآتيين فاقوا غيرهم بحس دوقهم وصنع ايديهم وامساروا بعقول مثقفة ورعة في الطرف وآثار الظرف واللفظ . ولئن جاء من ابناء يونان امة رفيعة القدر عالية المكاة في تاريخ الحضارة فذلك لاهلها امة تحسن ملكة الصناعات فلا جيوشهم القليلة ولا بلادهم الصغيرة الرقعة حدمت العالم والعمران خدمة اعظم من خدمه صناعاتهم لها . فاليك السبب الذي من اجله كان القرن الخامس اجمل عهد في تاريخ يونان والداعي الى ان جعل آتينة تستأثر بفضل الشهرة اكثر من غيرها من المدن اليونانية .

الآداب

الخطباء --- امتازت آتينة اولاً ببلاغة خطبائها فكانت حقاً للآداب وحسن الالتقاء وبالخطب في مجلس الامة يقرر اشهار الحروب وعقد السلم ووضع القطاعات والضرائب وكل الشؤون العظيمة وبالخطب التي تلقى في المحاكم يحكم على الوطنيين والرايا او يروؤون للخطباء الساطة وعلى الامة ان تعمل نصائحهم ومواعظهم وربما عهدت اليهم ادارة شؤون المملكة فقد عين كليون قائداً ورأس ديموستين الخطيب حرب فيليب وللخطباء نفوذٌ وكثيراً ما يلجؤون الى بلاغة القول للنيل من عدائهم في سياستهم وربما اغتبنوا لانهم ينالون من ارباب الغايات ما يرضيهم من المال ليعضدوا احد الاحزاب . فقد اخذ اسيل مالا من كدونيا وقبض ديموستين دراهم من ملك الفرس .

ثم ان بعض الخطباء يستئون خطباً ليلقيها غيرهم . ولا يسوع لمن كانت له قضية ان يرفعها بواسطة محام كما هو الحال عندنا بل تقضي سريعة البلاد ان يتكلم صاحب القضية في قضيته الذات . فمن تم كان عليه ان يروح الى احد الخطباء ليلمس منه تأليف خطاب له يستظهره لينلوه امام المحكمة . ولطالما جاب بعض الخطباء بلاد يونان وتكلموا في موضوعات توحى اليهم الخيلة فاقاموا لهم كما نقول مقامات وعقدوا اندية ومؤتمرات (١) وكان قدماء الخطباء يتكلمون بدون تصنع مقنصرين على ان يقصوا على المنابر الكوائن بدون ان يعمدوا الى اساليب خطاييه فيقفون في المنبر لا حراك لهم دون ان يصحخوا او يتحركوا وكان الملك

(١) اشتهر عشرة من هؤلاء الخطباء حاسة فدعوا خطباء اتيكيا العشرة

بيركليس يحطّب خطبه على طريقة هادئة دون ان يحرك اهداب ردهائه وعند ما كان يقف في منبر الخطابة وقد تكال رأسه حسب العادة باوراق التيجريز عم الشعب انه يتخذ رثا من ارباب الاولمبيا ولكن الخطباء الذين جاؤا بعد ذلك طعموا في اتارة الامة وتحريك احساسها والنفوذ الى شعورها واصطلحوا على الاشياء المتين يروحون في المنبر ويعدون منشدتين متحركين . وما عمت الامة ان اعتادت هذا الاسلوب في الفصاحة . ولما احذ ديموستين يتكلم في منبر الخطابة للمرة الاولى طفق الحضور يقهقهون ويضحكون من اسلوبه اد لم يكن يحسن التلفظ ولا الوقوف ثم ما لبث ان مر على الالتقاء واحسان الحركات المطلوبة حتى صار ندم التعب وعمريره . دنت الايام ودرجت الليالي وديموستين حطيب في امته . وقد سئل بعد عن اول صفة في الحطيب فاجاب بانها العمل ثم سئل تاليه فقال العمل ثم سئل تاليه فقال العمل . ومعنى العمل طريقة الالتقاء فانها كانت تهم اليونان اكثر من الخطبة .

الحكام :- كان منذ قرون عند يونان آسيا حاسة اناس يراقبون المادة ويفكرون في امرها لقبوا بالحكام والعلماء في آن واحد وقد عُنوا بالطبيعيات والفلاك والدارنج الطبيعي اد لم يكن العلم قد انفصل بعد عن الفلسفة وهكذا كان حال مشاهير الحكماء السبعة ببلاد يونان في القرن السابع .

السفسطائيون :- جاء ناس على قرب عصر بيركليس الى آيينة فاتحدوا لتعليم الحكمة صناعة واجتمع لهم كثير من الالاميد استوا يقاصومهم أهور الدروس التي يلقونها . وجعلوا ديدهم الانكار على الدين والعادات واصول ادارة المدن اليونانية يوهمون انها غير مبنية على العقل . ويأخذون من ذلك ان المرء لا يعرف شيئا صحيحا (مما كان قريبا من الصواب في عهدهم) وليس في طاقه ان يعرف امرا صدقا كان او زورا قال احدهم . لا وجود . لامرومقي وجد صعبت معرفته . ويدعي هؤلاء المعلمون التشكيك بالسفسطائيين . وقد حص بعضهم بملكة الخطابة .

سقراط والفلاسفة — حاول سقراط احد شيوخ آيينه ان يكر على السفسطائيين ويوقمهم عند حدهم على فقر حاله وشناعة منطوره ولكنة لسانه ولم تكن له دروس يلقها كاولئك السفسطائيين بل يكتفي بالرواح الى المدينة يحاطب من يصادفهم من جماعتهم بكثرة ويحملهم بكثرة الاسئلة على ان يفكروا فيما ينكر فيه نفسه . وكان يحته مع الفتيان خاصة يعلمهم وينصح لهم . ولم يكن يطهر سقراط انه شدا شيئا من العلم بل كان يقول ان غاية علي اني ادري بانني لا ادري . وود لو دعي فيلسوفا اي محبا للحكمة لا حكيما كسائر تلك

المرر . ولم يتدبر شيئاً من طبيعة الكون او مسألة من مسائل العالم بل كانت همه دراسة احوال الانسان . وكانت حكمته في قوله . اعرف نفسك . فكان من ثم مبشراً بالفصيلة . واذا انه كثيراً ما كان يحوض في الموضوعات الاخلاقية والدينية عدّه الا يبيون سفسطائياً . وفي سنة ٣٩٩ تمّتل امام المحكمة متهماً بانه يتخافى عن عبادة ارباب المدينة وانه يحاول ادخال ارباب جديدة اليها ويعسد على التسان عقاندهم فلم يحاول ان يدافع عن نفسه بل حكم عليه بالموت وكانت سنه اذ داك سبعين سنة فاصصر له كسيوفون احد تلاميذه والف افلاطون من الفلاسفة محاورات اقام فيها سفراط رعيم المتحاورين فاعتبر من داك العهد انما للفلسفة اما افلاطون فقد كان صاحب مذهب معروف (٤٢٩ - ٣٤٨) ولخص ارسطو تليذ افلاطون (٣٨٤ - ٣٢٢) علوم عصره كافة في كتبه وقد انقسم الفلاسفة الذين اتوا بعد المعلمين ارسطو وافلاطون قسمين دعيت شيعه افلاطون بالروافيين وشيعه ارسطو بالمشائين (لان ارسطو كان يعلم وهو يروح ويعدو)

الموسيقيون - كان من العادات القديمة ان يرقص القوم في الحفلات الدينية فيمر جمهور من الفتيان حول مذبح المعبود ثم يرجعون واقفين كالاتراف وقفة ذات معانٍ وإشارات . اذ كان القدماء يرقصون باحسادهم كلها ويحلف رقصهم كثيراً عن رقصا وهو ضرب من التطواف الحماسي واسمه رواية ذات ايماء وكان هذا الرقص الديني انداءً مستفوعاً بانان تعطيها للارباب ويسمى جمهور الراقصين والمعلمين جماعة الموسيقيين . ولندن كلها جماعة من الموسيقيين ومنهم ابناء اشرف العيال يعدون كذلك بعد ان يستعدوا زمناً . ومن شرط العناية ان يكون خدمة الرب حديرين بخدمته .

الروايات الفاحعات والهرايات كان يحتفل الفتيان في الارياف المجاورة لآبينة كل عام باقامة المراقص الدينية اكراماً للرب ديويروس اله الكرمه وكان بعض هذا الرقص متشاقلاً يمتل اعمال المعبود فيصرب رئيس جماعة الموسيقيين على وتر أعنية ديويروس ويصور حوقه رفاقه وهم اناس لهم ارجل تيموس يسكنون العانات ثم ياحدون في تمثيل عيش ارباب أحر وابطال قدماء . ثم حطر لاحدهم ان ينصب مصطبة يجيء ممثل يلعب عليها عند ما ينقطع جوق الموسيقى عن الضرب بانعامه . وهكذا تم الشهيد ونقل الى المدينة بالقرب من سجر الحور الفارسي او مجتمع السوق فذات من ذلك الروايات الفاحعات .

اما الرقص الآخر فكان مصحكاً فينكر الراقصون وجوههم ويتغنون بمدايح الرب يونيزوس وقد شابهوها باضاحيك يسلمون بها الحضور او بتصورات هرلية في حوادث حدثت ذاك اليوم . وقد صنع في الحوق الهربي ما صنع في الحوق المجمع من ادخال ممثلين

ومحاورات ونقل المتشهد الى آتينة وهكذا نشأت الروايات الهزلية (الكوميديا) من اجل هذا كانت الروايات الفاجعة تمتل الى يوم الناس هذا ابطلاً اما الروايات الهزلية فتمثل حياة كل يوم واحتفظت الفاجعات (المأساة) والهزليات لبعض اصلها وظلت تمثل امام هيكل الرب وان تكن فاجعة ولئن غدا الممثلون وهم جلوس على المصطبة اصحاب موقع في المتشهد فقد ظل جوق التمثيل يرقص ويتغنى وهو يطوف حول المذبح وكان جماعة الموسيقيين في الروايات الهزلية كما كان يجي المتشكرون يبدون ملاحظاتهم على السياسة بغلظة .

الملاهي — جعل في منحدر قلعة الاكروبول ملعب للرب ديونيزوس اله الكرمه يسع ثلاثين الف منفرج وذلك ليحضر الآتييون كافة هذه المتاهد . وكان هذا الملعب كسائر الملاعب اليونانية مكتوفاً تحت السماء ومولفاً من دريحات من الحجر مصفوفة على شكل نصف دائرة بازاء جماعة الموسيقي حيث كان يطوف المنشدون وامام المتشهد الذي تمثل فيه الرواية . ولا نقام المشاهد فيه الا في اوقات اعياد الارباب بيد ان المشاهد كانت تدوم اد دالك عدة ايام متوالية يبدأون في الصباح عند بزوع الغزالة ويمتلون للحال ثلاث فاجعات وقصة هجوية تنتهي على ضوء المساعل من الليل والفاجعات الثلاث يؤلفها واحد وتمثل فاجعات اخرى في الايام التالية وهكذا كان المتشهد ميدان مسابقة بين الشعراء والامة تعطيهم جوائز الاستحسان واشهر هؤلاء المتبارين اسيل وسوقلس واربيدس . وقد عهدت المسابقة ايضاً بين مؤلفي الروايات الهزلية ولم يؤثر من كل ما الفوه من الروايات غير قطعة واحدة فيها ار يستوفان الشاعر الهزلي .

الصنائع اليونانية

المعابد اليونانية — قامت احمل المباني في اليونان تعظيماً للارباب فتي ذكرت هندسة اليونان فلا يذهب الفكر الا الى معابدهم . وليس المعبد اليوناني كالبيعة النصرانية خاصاً بقبول المؤمنين الدين يهرعون اليه الصلاة فيها بل هو قصر يرله الرب وعماله يمثله قصر تحفه الالهة والجلالة ولا يلجحه جمهور المؤمنين بل يطلوت حارجه حوالى مذبح تحت السماء وقد قامت مقصورة الرب في وسط المعبد وهو مرار سري لا نافذة له ولا صوت ينفذ اليه الا ما كان من كوى في الاعالي . وقام الصنم في داخله معمولاً من خشب او رخام او عاج لابساً ذهباً محلياً بالتياب والحلي وكتيراً ما يكون هيكل عظيم . وقد مثل زيوس في معبد الاولمبيا قاعداً وبكاد يصل رأسه الى القمة ولدا قيل ان الرب لو تمثل قائماً لحرق السقف وقد حجب هذا المزار عن الانظار من كل ناحية وهو عبارة عن مستودع ذخائر الصنم ويحتاز من يروم دخوله ضرباً من الرواق مولفاً من صفوف من السواري . ووراء الغرفة غرفة

ثانية معلاقة فيها الاطلاق التينة الخاصة الرب وجميع قنياته (١) وربما جعل فيها ذهب المدينة وفضتها . وهكذا كانت المعبد صواناً وكنزاً ومتحفاً وتحيط بالمعبد صفوف من السواري من اطرافه الاربعة مؤلفة حوالى جدار المزارع عشاءً ثانياً للرب وكنوزه والسواري على ثلاثة انواع تختلف باختلاف اساسها ورأسها او تاجها وعلى كل منها اسم الامة التي اخترعتها او اكرتت من استعمالها وهي بحسب اختلافها في القدم السواري الدورية والسواري الايونية والسواري الكورنثية . ويدعى المعبد باسم السواري التي بُني عليها . وفوق الاعمدة حوالى البناء صفائح من رخام منقوشة على شكل اللوحة لتناوب على قطع من رخام منصمة ومنها بتألف الافريز . ويعلو المعبد نية مثلثة في اعلى مقدم البناء مردانة بتماثيل وقد صوّرت المعابد اليونانية بالوان عديدة من اصفر وازرق واحمر وبقي اهل القمدن الحديث زمناً وهم يأبون تصديق ذلك . وكان من الوهم العام ان لانباء اليونان دوقاً معتدلاً جداً في نقش البناء . بيد انه اكتشفت في كثير من المعابد آثار نقوش لا تبقى مجالاً للشك حتى ادت الحال نالباحنين ان علموا بالتأمل فيها ان تلك الالوان اللامعة لم تحسن اخراج الخطوط وكان عليها ان تحسنه اكثر من ذلك .

صناعة النقش اليوناني -- يتراءى المعبد اليوناني باديء بدء انه ساذج لا رينة فيه وما هو الا علبة مستطيلة من حجر موضوع على صخر اما الواحية فتحتوي على شكل مربع تعلاه راويه . فلا ترى لاوّل نظرة غير خطوط مستقيمة وأسطوانات حتى اذا نظرت فيها عن أُم نكتشف انك اذ ليس من هذه الخطوط المستقيمة العديدة الا حط واحد مستقيم في الحقيقة . والسواري مستقيمة نحو اوسط والخطوط القائمة مخفية قليلاً نحو المركز والخطوط الأفقية معدبة في الوسط . وكان هذا من الدقة بحيث اقتضى قياسه بالبدقيق لا كمنشأ الصنعة فيه . وقد لحظ النقاشون اليونان ان اخراج مثل هذا المجموع المتطابق من البناء يقتضي تجنب الخطوط الهندسية التي تظهر محدرة وتومير العناية بظواهر المساطر البعيدة . قال كاتب يوناني ان غاية النقاش ان يخترع طرقاً يسحر بها اعين الناس . واقد كان اهل الصنائع في يونان يعملون باحلاص لانهم يعتقدون عملهم قربي من احد الارباب لذلك كانت صنائعهم معتنى بها في كل اطرافها حتى فيما لا يرى منها وهي من المثانة بحيث يطول امد بقائها بعد لولم يعاجلها التخریب بسدة . ودام البارتيونون الى القرن السابع عشر (١) كان في البارتيونون احد معابد أثينة على قول خزنة كنوز الارباب اوان ذهبية وفضية وتاج من ذهب واتراس وحوادث وسيوف وحيات من ذهب ومضدة من عاج وثمانية عشر فراشاً وجطاب من عاج ايضاً (للمؤلف)

سليماً وانتقى شطرين بانفجار مخزن من البارود كان يقربه وقد جمع النقش اليوناني الى المتانة حسن ذوق والى السذاجة علماً ومهارة . زالت معابد اليونان كلها تقريباً ويكاد يبقى بعضها مبعثراً مخدوشاً مهدماً متداعياً الاركان وربما كانت طبقات من سوار على انها تكفي على علامتها ان تلفت نظر من يراها .

النقش -- لم يكن النقش عند المصريين والاشوريين الازينة من توابع الابنية اما اليونان فقد احلوه محل صناعة رئيسة . واشهر ارباب الصنائع عندهم النقاشون فيدياس وبراكسيتيل وليريب . فينقشون البارز دون النصف من البناء ليزينوا جدران معبد وواحيته والبنية المثلثة في اعلى البناء . ومن هذا النوع الافريز الشهير في الباناتيه المحيط بالبارتينون وهو يمثل تطواف شابات آتينه يوم الاحتفال بعيد الربة الكبير . وكان هؤلاء النقاشون ينقشون هياكل وتماتيل خاصة بعضها يمثل رثاً ويستخدم صماً وبعضها يمثل مصارعاً ظافراً في الالعب الاحتفالية أقيمت له هذه التماثيل جراء نصرته .

واقدم التماثيل اليونانية محدرة عوجاء تشبه النقوش الاشورية ثم عدت لدنة ظريفة وكانت اعظم الاعمال من صنع فيدياس في القرن الخامس وبراكسيتيل في القرن الرابع اما تماثيل القرون التالية فانها على التأنيق فيها اقل ترفاً وعظمة . وكان في يونان ألوف من التماثيل اد ان لكل مدينة تماثيلها وقد تابع النقاشون عمل التماثيل بلا انقطاع مدة حمسه قرون ولم يبق منها على كثرتها عر حمسة عشر تمثالاً لم تعبت به الايدي . ولم لنقل التماثيل الى طرفه من الطرف الشهيرة بين اليونان واشهر تماثيلها اليونانية اما ان تكون نسخة عن الاصل مثل تمثال الزهرة في ميلوا او اعمالاً أثرت عن عصر الاحتياط مثل تمثال ابولون في البلفيدير . ومع هذا فقد بقي منها ما يكفي اذا أضيفت اليها قطع التماثيل والصور البارزة التي ما زالت تستخرج بالخير لان يتصور المرء حالة النقش اليوناني ويكون له فكر احتمالي عنها فالمهندسون اليونان فكروا اولاً في تمثيل اجمل الاحسام في مظهر وقور شريف . وما اضاعوا الفرص كلما سخط ليشهدوا احمل الرجال في اجمل الهياكل من محل الرياضة والجيش والمراقص والاجواق المقدسة فيدرسونها ويحسنون ثيابها . وما ضاهاهم احد في محاكاة الجسم البشري ومن العادة ان يكون الرأس صغيراً في تمثال يوناني والوجه ساكناً كامداً ولم يعن اليونان متلنا بمعاني الوجه بل يعتنون بجمال الخطاطيط ولم يراعوا التناسب بين الاعضاء والرأس . والجسم برمته مثال الجمال في التماثيل اليونانية .

صناعة الخزف -- عرف اليونان ان يتخذوا من الفخار صناعة حقيقية دعوها سيراميك بقي منها اسمها فقط فالخزف او الفخار لم يعتبر في يونان مساوياً لساير الصناعات ولكن له منفعة

عظيمة لنا وذلك اننا نعرفه احسن من معرفتنا غيره فقد تداعت المعابد والتماثيل اما اعمال الخزافين اليونان فقد حفظت بحالها في المدافن التي يعترف فيها عليها اليوم . وقد جمع منها الى الآن زهاء عشرين الف حزفة في متاحف اوروبا وهي نوعان : الاواني المنقوشة بنقوش سوداء او حمراء على اختلاف الحجم والتشكل . والتماثيل الصغيرة المعمولة من التراب المطبوخ التي عرفت منذ خمس عشرة سنة قد اشتهرت الآن او كادت منذ اكتشفت الدثني البديعة في تاناكار من بيوسيا ومعظمها انصاب صعيدة ومعضها يمثل اولاداً او نساء

التصوير — اشتهرت في يونان عصابة من الصورين متلر وكسيس وفارانايوس وايل وكل ما اتصل بنا عنهم يرجع الى بضع اقاويص وربا كانت مبهمة في الاحايين او الى بعض اوصاف ذات صور . وانا للوقوف على حالة التصوير اليوناني قد اقتصرنا على ما عثر عليه من تصاوير الحوائط في بيوت بومبي احدى المدن الايطالية وهي من القرن الاول للميلاد وكأنها نقول بلسان الحال اننا لم نعرف عنها شيئاً

التجارة الآثينية — اصبحت آثينة في القرن الخامس مدينة كبرى على حين كانت تيكي اقليماً مجدباً لا تغل ما يكفي لاعالة سكانها فنصطرو الى جلب الخنطة والحرير والسمن والسحك من الخارج . وقد كان عبيد آثينة على العكس يعملون الثياب والحرف والسلاح والالات مما يباع خارج بلادهم . فمن ثم كثرت اساليب التجارة . فكانت البصائع ترد الى مرفئ بيرا او تصدر منها وكانت أُنشئت فيها ارسف ومخازن وقد سماها احد الخطباء في القرن السادس باسمها سوق بلاد اليونان بأسرها . وكانت تأتياها حاصلات لادالتمال خاصة ويحمل اليها من الداخلية في موالي البحر الاسود وتراسيا الخنطة والحنطب والحلود والعبيد وكانت آثينة تجر مع اليونان النازلين في جنوبي ايطاليا الى نابولي . واذ كان لكل مدينة يونانية نقودها الخاصة بها فقد كان يأتي آثينة دراهم من صروب مختلفة فاقتضى لذلك صياغة بدلوئها وكانوا يدعونهم "ترايريت" لاسمهم كانوا يجلسون في الساحة وراء منصدة (ترايرة) وكانوا كلهم تقريباً من الغرباء الذين اصبحوا يتيكيين ثم اهتموا كانوا اتخذوا مهنة اضافوها الى مهنتهم تلك وهي اقراض النقود فيجرون الدراهم ويقرضونها بمائدة فاحشة بمحو (٢٠ في المئة)

حرب المورة

خصائص عامة — الاستيلاء على آثينة

خصائص عامة — انقسم اليونان الى قسمين بعد تأسيس مملكة آثينة في الجرائر اليونانية فكانت المدن الساحلية خاضعة لآثينة والمدن الداخلية باقية تحت امرة اسبارطة . وبعد خلاف طال امره نشبت الحرب بين اسبارطة وحليفاتها في ذلك الصقع من جهة وآثينة

ورعاياها الساحليين من الجهة الاخرى وكانت هذه الحرب هي المعروفة بحرب المورة . دامت سبعة وعشرين سنة (٤٠٤ — ٤٣١) ولما القت اوزارها عادت فنسبت باسم آخر الى سنة ٣٦٠

كانت تلك الحروب متوترة يقتتل المتحاربون فيها برًا وبحرًا يقتتلون في ارض اليونان وفي آسيا وتراسيا وصقلية اي في اصقاع مختلفة وكان جيش الاسبارطيين احسن انظاما جعل مقاطعة اتيكيا قاعا صفاً وكان اسطول الاثينيين اكثر استعدادا لحرب التسواطي . ولم يؤثر عن تلك الحروب الناقبة بين المدن اليونانية الا الشدة ويكفي في وصفها الاشارة الى بعضها . فقد كان احلاف الاسبارطيين في بدء الحرب يلقون في البحر جميع سلع المدن المعادية لهم فقابلهم الاثينيون بقتل سفراء اسبارطة بدون ان يستمعوا لاقوالهم . حصعت مدينة بلاتيه صلحا وكان وعد الاسبارطيون جماعة المحاصرين بانهم لا يعاقبون احداً بدون محاكمة واليك مع هذا كيف كان قصاة الاسبارطيين يعاملون الاسرى . يسألون كل واحد منهم عما اذا قام في حلال الحرب بخدمة للاسبارطيين فكان الاسير يجيب سلبا فيحكمون عليه بالاعدام . وقد بيع النساء كالعامة . نصب مدينة مدالي على الاثينيين فانادوها الى طاعهم ثم اجتمع الشعب الاثيني واعد المشورة ببدء تسمى باعدام سكان مدالي نعم انه رجع من العد عن رأيه وارسل باخرة تانية تحمل العمود عن اولئك المنقذين . بعد انه كان نفذ حكم الاعدام على رهاء الف من سكان مدالي . وكان من العادة اذا داهم جيش بلاد العدو ان يحرق البيوت ويقطع الاسجار ويحرق العلات ويقتل الخرابين . وبعد انهاء الحرب يُجهز على الجرحى ويعمد الى قتل الاسرى صبرا . واد ا جرى الاستيلاء على مدينة يؤول كل ما فيها ملكا للغالب فيباع رجالها وساوؤها واولادها كما يباع العبيد . هكذا كانت اذ داك حقوق الحرب . وقد اوجرها توسيديد في خطاب له في الجملة الآتية : قال لنفض المسائل بين الناس بواسطة قوانين العدل متى اضطروا اليها من الطرفين ولكن القوي يأتي ما في طاقته والضعيف يذعن له . فالارباب يتسلطون بضرورة الفطرة لانهم الاقوياء والناس يجرون على متاهلهم .

الاستيلاء على آثينة — ولما تعب الشعبان من هذه الحرب الباطلة عقدا السلم بينهما ولكن امدته لم يطل . ودلت ان آثينة بعثت بجيشها الى صقلية لفتح سيرا كوس المحالف لاسبارطة وهناك أحيط به وبعد نكبة سيرا كوس أسر الجيش الاثيني رمثه وطفق الغالبون يخنقون عامة القواد وجماعة من الجند ومن ابقوا عليه انزلوهم الى لاتومي وهي مقالع قديمة كانت تُنخذ حبوسا القوم فيها سبعة ايام متواحين متراسين لاوقاية نقيهم حرارة الشمس

في الصيف اورطوبة ليالي الخريف . فمات كثير منهم مرضاً وجوعاً وعطشاً لانهم لم يكادوا يطعمونهم الا ما يسد رمقهم بمض الشيء وبقيت اسلاكهم ملقاة على الارض تفسد الهواء ثم اخرج اهل سيراكوس من بقي حياً من الاثينيين وباعوهم كما يباع الرقيق . واقام الاسبارطيون حامية في جبال اتيكيا بحيث تمكنوا من توقيف تجارة آثينة مع بلاد الشمال ومنها كانوا يأتون بالحنطة . وذهب ليراندر القائد الاسبارطي الى آسيا واخذ مالا من الفرس همز به اسطولا وطاف سواطي، آسيا واد كان احلاف آثينة لا يقاثلون الا بالقوة تركوه وشأنه ثم ان ليزاندر حطم الاسطول الاثيني في آسيا (٤٠٥) وحاصر آثينة واخذها جوعاً واضطرها الى تخريب اسوارها وحرق سفنها الحربية .

نقدم اسبارطة

الاعضاء الثلاثون — سقراط — اجازيلا

الاعضاء الثلاثون . لما عدا القائد ليزاندر صاحب آثينة اكره اهله على تنظيم حكومتهم بحيث لا يخرجون عن حكمه ثباتاً . فانشؤا مجلساً مؤلفاً من ثلاثين عضواً اتفقوا من اعداء الحكم الديمقراطي وكانوا قبل حاولوا النزوع الى الثورة ليمضوا عرى الدستور وسعد الى هذا المجلس ان يؤلف دستوراً جديداً ويحكم آثينة بدون ان يرجع الى رأي احد ولا ان يراعي قانوناً . وأقيمت لحماية هذا المجلس من سطوة الاثينيين حامية من الحمد تحت امرة قائد اسبارطي في قلعة الاكروبول المستقرة على المدينة . وهذه كانت طريقة الحكم الي وضعها ليراندر في المدن اليونانية في آسيا والجرر سند ما اخرجها من محالفة آثينا حول هؤلاء الاعضاء سلطة لا نهاية لها وشعروا بانهم مؤيدون المجلس الاسبارطي فانشؤا يحكمون حكم السادة القادة ويقبضون على اتساع الحكم القديم وينفذون عليهم الاحكام وربما كانت سيطرتهم تتناول الاعنياء متخذين ذلك حجة في مصادرة اموالهم فمن ثم لقب اولئك الاعضاء بالثلاثين ظالماً . وانتهت الحال بترايين احد الاعضاء وكان تأمر على الديمقراطية والتفق مع الاسبارطيين ان قال لصفائه بانه قتل اناس كثيرين فيجب الكف عن ازهاق الارواح فما كان منهم الا ان اتهموه بالخيانة وطردوه من المجلس وحكموا عليه بالاعدام .

وقد مر كثير من الوطنيين من آثينة ولجؤا الى البلاد المجاورة ولا سيما الى ميكار وتيبة واستولى احد هؤلاء النازحين المدعو ترازيبول في ٧٠ من اصحابه على قلعة من اعمال اتيكيا في الجبال على طريق بيوسيا عنوة فجاء الاعضاء الثلاثون في اشياهم بدهامونه الا انهم ردوا على اعقابهم وحاولوا ان يحاصروا القلعة ولكن رجع رجالهم الى آثينة لما هطل

التلخ وعتوا بالحامية الاسبارطية و بالفرسان فهم ترازبول عليهم وقتل منهم ١٢٠ رجلاً ولحق بترازبول نازحون حدد فلما اجتمع له منهم الف رجل اجتاز اتيكيا فاستولى على مرفأ بيريه ونزل في مونيشي وراء معاقل اتخذها للتحصن فقدم الاعضاء الثلاثون في رجالهم الا انهم ردوا على الاعقاب . وعندئذ رجع اشياعهم السلطة منهم واعطوها الى مجلس مؤلف من عشرة طلب معونة اسبارطة فبعثت هذه اليها ليليزاندر حاكماً من قبلها وحاصر بيريه بالسفن . ثم وصل ملك اسبارطة في حيتسه ووصل الى آتينة وامر بالكف عن القتال وفصلت حكومة اسبارطة بين الفريقين ورحصت لجميع النازحين ان يعودوا الى آتيته فدحل ترازبول ورجاله اليها وهم مدحجون بالسلاحهم وصعدوا الى قلعة الاكروبول يقدمون ضحية للمعبودة . ثم اعاد الآتيينيون الدستور القديم وتراجع الاعضاء الثلاثون في اشياعهم الى الوزير فقصدهم الآتيينيون وهاجموهم وقتلوا الزعماء وارجعوا الباقين ثم اقسموا كلهم ان لا تازع الاحقاد من صدورهم لما انتسب من الحرب الاهلية وهو مما دعي بالهدنة « النسيان » ولم تعد تحدث ثورة في آتينة بعد .

ضعف المملكة الفارسية — شغل اليونان بقتال بعضهم بعضاً فكسوا عن مهاجمة الحاقان الاعظم بل واخذوا يسمعون في مخالفتهم . وكانت المملكة الفارسية لا ثقل عن ذلك في تيهاء الضعف فاصبح الحكام لا يخضعون للحكومة ثباتاً ولكل منهم بلاطه وحرانته وجيتسه يحارب من يشاء وقد امسى قبلاً « ملكاً صغيراً » في ولايته وكان الملك اذا اراد ان يعين والياً مكان آخر لا يجد الى ذلك سبيلاً الا بقتل السلف فمكدة ملكة الحرب من نفوس الفرس بعد ان كانوا امة يرتجف لدكرها جميع شعوب آسيا . وهالك كيف وصف الفرس كسينوفون احد ضباط اليونان الذي كان موطفاً عندهم : ابرهم ينامون على البسط واليسون قفافير سيفهم ايديهم ويتدثرون بالمرور ويلبس الكبراء حجابهم وحيازهم وطباحيهم وحماميهم والخدمة الدين يخدمونهم على موائدهم ويطيّبونهم ويعطرونهم ليجعلوا منهم فرساناً موظفين ويرتخوا اجورهم ولئن كانت جيوشهم كثيرة العدد فلم ينتفع بها في شيء وسهل على المرء ان يحكم عند ما يرى اعداءهم يطومون بلاد فارس احراراً اكثر من اصحابهم ولا يجروئن اصلاً على قتال بعضهم بعضاً عن أمم والفرسان مسلحون كما كانوا سابقاً بالسيف والدرس والعاث ولكن لم تكن لهم المرأة على استعمالها . وكان سائقو المركبات الحاصدة قبل ان تصل الى العدو تلقى نفسها عمداً او تقفز الى الارض بحيث ان تلك المركبات اذا حلت من سائقها تحدث لهم ضرراً اكثر مما يشاء منها للاعداء على ان الفرس لا يكتفون انفسهم ضعفيهم العسكري ويعترفون بانخطاطهم في هذا الشأن ولا يجروئن على الدخول في المارك بدون

ان يكون بعض الروم في جيوشهم . ومن قواعدهم ان لا يقاتلوا اليونانيين بدون ان يكون لهم منهم مساعدون .

حملة العشرة آلاف — شوهد هذا الضعف عند ما سار كيكافوس سنة ٤٠٠ احو الخاقان الاعظم ارتاكسركيس ليخافه وكان في تلك البلاد ادراك ألوف مؤلفة من نزاع الآفاق او المنفيين من اليونانيين يؤجرون انفسهم اجناداً فدعا كيكافوس عشرة آلاف رحل منهم حتى ان احدهم كسينوفون كتب يصف حملتهم . فاجتازوا بلاد آسيا الى حدود المرات بدون ان يقف احد في وجوههم ثم اقتتلوا بالقرب من بابل . واحد اليونان جرياً على عادتهم يعدون مسرعين وهم يصرخون صريح الحرب وقبل ان يكون البرابرة على قيد علوة نادروا الى الهزيمة فلحقهم اليونان وهم يتصارحون ان لا يفارق احدهم صاحبه . ولما انتهت اليهم مركبات الحرب فتحوا صفوفهم ليتركوا لهم سبيلاً الى المرور ولم يصب يوناني نادى صرب ما حلاً واحداً جرح بسهم .

جرح كيكافوس واتنت جيوشه بدون ان يقاتل وظل العشرة آلاف يوناني وحدهم في داخلية بلاد محاربة امام جيش عظيم ومع هذا لم يجسر الفرس ايضاً على مهاجمتهم ولكنهم عذبوا وقتلوا خمسة قواد لهم وعشرين صابطاً ومائتي جندي حادوا لعقد محالفة . ولما اصبح اولئك المستأجرون من الهند نالا قواد وضباط اتخبوا زعماء حاداً وحرقوا حيامهم ومركباتهم وركنوا الى الفرار ودخلوا في جبال ارمينية الوعرة وعلى ما ناله من الجوع وكثرة التلوج وسهام القبائل الوطنية التي لم ترض ان يفسح لهم مجالا للمرور وصلوا الى البحر الاسود ورجعوا الى ارض يونان بعد ان قطعوا مملكة فارس وبقي منهم لدن عودتهم « سنة ٣٩٩ » ٨٠٠٠ جندي .

اجازيلا — وبعد ثلاث سنين داهم احاريلا ملك اسبارطة في جيش صغير بلاد آسيا الوسطى وليديا وفريجيا المشهورة بغناها وخصبها وقاتل الولاة والعمال وراح يدخل الى آسيا ولكن الاسبارطيين ارجعوه ليقاتل جيوش التيبين والاتيبيين . وكان اجازيلا اول يوناني قام في ذهنه ان يفتح بلاد فارس فحين ان رأى اليونانيين يقتل بعضهم بعضاً ولما احبروه بما تم لفلة كورنت قائلين له انه هلك فيها ثمانية من الاسبارطيين فقط وعشرة آلاف من العدو لم يفرح بهذا النصر بل تنفس الصعداء وقال : « مسكينة انت يا بلاد اليونان التسعة فقد اضعف رجالك وكان لك فيهم وحدهم غناء في اخضاع عامة البربر » . والى ذات يوم ان يخرب مملكة يونانية قائلاً : « اذا اردنا جميع اليونان الدين لا يقومون بواجبهم فاين نجد رجالاً للتغلب على البرابرة ؟ » وهذا الشعوب كان قليلاً على عهده .

قال مترجمه كسينوفون عند ما اورد هذه الكلمات لاجاز بلا هائفاً « من كان غيره يرى من المصيبة ان يفلب عند ما كان يحارب شعباً من جنسه » .

عظمة ثيبة . ايبامينوداس

مقاومة اسبارطة — جاء زمن كانت فيه اسبارطة صاحبة السيادة برّاً وبحراً . قال كسينوفون : وكانت على ذلك العهد جميع المدن تخضع لامر يصدر عن احد الاسبارطيين ولما ضاقت صدور المتحالفين مع اسبارطة من الخضوع لها القوا عصاة لمقاومتها . فكان من ذلك ان طرد الاسبارطيون اولاً من آسيا ولم يسلم لهم سبطانهم على بلاد اليونان بضع سنين الا بمحلفتهم لملك الفرس « ٣٨٧ » يد ان استيلاءهم لم يدم طويلاً فكان في سهل بيوسيا شعب شديد البأس شجاع النفس وهؤلاء البيوسيون الذين شهرهم جيرانهم الاثينيون وربما على غير استحقاق قد ظلوا منقسمين بين احدى عشرة مدينة وكانت ثيبة اقواها سقطت على حين غرة في ايدي الاسبارطيين فادخل زعيم حزب الشراف المحاربين من الاسبارطيين القلعة واوقف زعيم حزب الديمقراطيين ونفذ عليه القضاء المبرم .

واذ لم يرض اربعمائة رجل من اهالي ثيبة ان يظلوا تحت حكم الاسبارطيين لجؤوا الى آتينة . فعزم اقدم المدعو يلو ييداس وهو شاب من أسرة شريفة غنية ان ينقذ بلاده كما فعل ترازيبول في تحليص وطنه فراح يقيم في قرية مع جماعة من المنفيين وانفق مع التيبين الذين بقوا في ثيبة فدحل في احدى ليالي الشتاء الى المدينة في رحاله وداهم الحكام وهم في مأدبة فذبحهم ومن الغد دعا مجلس الامة وهتف له هذا بانه محررها من اسر العبودية . وعندها سلمت الحامية الاسبارطية التي كانت في القلعة . وعادت بيبة مستقلة وعملت على ان تجمع تحت ادارتها جميع مدن بيوسيا لتسير جميع البيوسيين تحت لواء واحد لحرب اسبارطة .

ايبامينوداس — كان ايبامينوداس هو الرجل الذي نظم حالة التيبين تخففت به لهم اعلام النصر . وكان من اسرة شريفة الا انها غنية فاعناد نوعاً من الحياة القاسية وظل يعيش فيها مقلداً من الطعام لا يتناول الخمر وليس له غير رداء واحد ولا مال لديه . فصيح اللسان الا انه ينذر ان تراه يتكلم ولا يقول الا الحق « وهذا مما لم يكن من عادة اليونان » شجاع جداً في الحروب ولكنه مفرط في الانسانية متضع شديد البأس يحبه ويحترمه كل من يراه . ولم يكن يعنى بصراع المصارعين الذي كان يشوق سائر ابناء يونان بل انه اعتاد السباق واللعب بالسلاح واخترع ضرباً جديداً من القتال . وكان الثيبيون كسائر اليونانيين قد اختاروا العادة الاسبارطية فيصطف الجند الرجل منهم ككتاب كتاب على ثمانية الى

عشرة صفوف وكانت جيوشهم في كل مكان في تعبئتها نمطاً واحداً توالف مثلنا ذا زاوية قائمة مستطيلة ورقيقة فكانوا اذا حمل جندهم على العدو يشعرون بان تروسهم المعاقة على اذرعهم الشمال تحميهم من اليسار ومن اليمين صفوف رفاقهم يحمون المينة بالطبع بحيث ان الجناح الايمن من الكتيبة يشعر بانه اقوى ما يكون في العادة . فتخيل ايپامينوداس ان يعبيء رجاله على شكل زاوية قائمة مؤلفة على طولها من صفوف متساوية في عددها بل ان يضع في الجناح الايسر صفوفاً اكثر من الايمن فأتخذ الكتيبة شكلاً غير متناسب يشبه شكل زاوية قائمة . فيكون الجناح الايسر اضعف من الايمن ومؤلفاً من احسن المحاربين يحمل حملة منكراً على جناح العدو الذي يكون اضعف منه فينكس وسط جيش العدو ويأخذه من جنبه فدافع التيبيون عن بلادهم باديء بدء من الجيش الاسبارطي الذي بقي يدهم بيوسيا في ربيع كل سنة اعواماً كثيرة ويقطع الشجر ويحرق العلات ولم يجسر ان يقاتل قتالاً منطماً بل كانت عاراته مناوشات فقويت تسكينتهم وتمرسوا في الحرب . رأى ايپامينوداس ان جيشه قد اعتاد قراع الانطال وقوي ساعده في حومة النزال وكانت الرجال من جند الاسبارطيين اصطفت على عمق اسي عشرة مقاتلاً بالقرب من لوكترس وكانت رجاله التيبين اقل ورساهم اكثر . لان بيوسيا كانت بلاداً تربي فيها الحيلول الحيات . فاستطاع ايپامينوداس ان يحمي الميسرة وكان من ذلك ان احتصر حط الحرب وحمل الجناح الايسر من حيثته وكان مؤلفاً من خمسين صفاً فبدد شمل الجناح الايمن من الاسبارطيين حيث كان الملك واقفاً فقل « ٣٧١ » وهذه كانت المرة الاولى التي تلعب فيها جيش يوناني على جيش اسبارطي واصبحت بيبه المدينه المقدسه اكثر من جميع مدن يونان وصارت لما الامرة على بيوسيا كلها وكانت الشعوب اليونانية في المورة الى دلك العهد حاضعة لاسبارطة فالتفت معونة التيبين ليل استقلالها . فاستأثرت مدينة ماتينه في بلاد اركاديا اسوارها على الرعم من دفاع اسبارطة ودحت نيجة الاغنياء احلاف اسبارطة وكان الاركاديون من سكان الجنوب مستتين الى ذاك العهد في القرى فانصموا بعضهم الى بعض وانتشوا مدينة حصينة سموها ميكالوبوليس ثم اراد ايپامينوداس جمهور التيبين على ان يذهبوا الى عزو الاسبارطيين في عقردارهم فدحل الجيش البيوسي الى بلاد المورة وكتر سواده بالاركاديين واهالي ارعوس وتوعل في اقليم لاكونيا وطفق يعسكر امام اسبارطة « ٣٧٠ » وكانت هذه هي المرة الاولى التي رأى فيها الاسبارطيون العدو في ارضهم . ولم يكن لاسبارطة اسوار فسلح اجازيلا . وكان قد بلغ اذ ذاك من العمر ٧٦ سنة . جماعة الهيلوتيين وحصن الاكام المحيطة بالمدينة .

ولم يجسر ايامينوداس على الهجوم واذ كان عاجزاً عن اطعام جيشه في البلاد التي استباح حماها وجعل عاليها سافلها رجع ادراجيه وقبل ان يغادر المورة جمع المسيحيين وقد اصبحوا منذ ثلاثة قرون رعايا الاسبارطيين واعانهم على انشاء مدينة قوية سميت ميسين وعادوا يلون شعيتهم . وتحالفت اسبارطة مع الاثينيين الذين كانوا يحسدون التيبينيين كما حالقوا اهل سيراكوزة ومع الجبارديس الذي بعث اليها بالمحاربين الغاليين فغلب الاركاديون احلاف تيبة . وعندها حاولت تيبة ان تنال معونة ملك الفرس وارسل القائد بيلوبيداس الى آسيا وآب يحمل كتاباً من الحاقان الاعظم الذي وعد ان يحارب اليونان الذين لا يقبلون بمخالفة تيبة « ٣٦٧ » اما سائر المدن فلم تكن تحشى ملك الفرس وابت ان تخضع له . ولم تكن تيبة من القوة لتخضع الى سلطانها جميع بلاد اليونان فظهر ايامينوداس على احسن حال في بلاد المورة مع الجيش البيوسي وحالف الميسينيين ثانية وحاول ان يدهم اسبارطة واد بلغ ذلك اجازيلاً كراً راجعاً وراح ايامينوداس يهجم على جيش العدو في اركاديا بالقرب من مدينة ماتينه وظفر في هذه المعركة باتحاده الاسباب التي اتخذها في لوكترس ولكن اصابه سهم فمات ليومه . وفقد التيبينيون به قائداً بقودهم وانتهت ايام عر تيبة ولم يبق ثمة قام به القائد ايامينوداس الا مدينة ميسينا التي اصبحت مملكة مستقلة وسقط سلطان اسبارطة من بلاد المورة كما سقط من بلاد اليونان .

نتائج الحروب — لم تؤد هذه الحروب الى تأليف اليونانيين كافة امة واحدة اذ لم يكن لمدينة من مدنها لا اسبارطة ولا آتينة من القوة ما تكروه به سائر المدن على الطاعة لها والخصوع لسلطانها وما كان منهم الا ان ينهك بعضهم قوى بعض ويكاح بعضهم بعضاً وكان ذلك من حظ ملك الفرس الذي استفاد من هذا الانقسام ولم تبلغ الحال بالمدن اليونانية انها لم تنفق عليه بل انها كانت كل واحدة على حدة تحالفه للانتقام من سائر ابناء يونان وقد صرح الحاقان الاعظم (٣٨٧) في معاهدة انتالسيداس بان جميع المدن اليونانية في آسيا هي ملك له ولم تحالف اسبارطة قوله ذلك ولا نقضت زعمه وكذلك كان شأن آتينة وتيبة بعد بضع سنين فقد قال خطيب آثيني : « ان ملك الفرس هو الذي يحكم بلاد اليونان ولم يبق عليه الا ان يقيم له عمالاً في مدنا . اليس يده الحل والعقد في بلادنا ؟ اما نحن فنعدوه الحاقان الاعظم كما لو كنا عبيده ؟ » وهكذا اضاع اليونان بتفاسلهم وتدابهم ما كانوا غنموه في حرب مادي .

عظمة مكدونية

فيليب — الاسكندر — فتح آسيا

انهكت الحروب المتصلة مدة قرن بين اسبارطة وآثينة قوى تينك المماكتين فتركنا قتال ملك الفرس الا ان شعباً جديداً وهم المكدونيون عاودوا قتاله حتى نالوا منه وكانوا على خسوتهم وقسوتهم اتبه بقدماء الاوروبيين شعباً مؤلفاً من رعاة وجند . ولقد سكنوا شمال بلاد يونان في وادين عظيمين مطلين على البحر . ولما كان اليونانيون يحلونهم محل الاعتبار بل ينظرون اليهم نظراً ثانوياً كما ينظرون للبرابرة واد كان المكدونيون يدعون انهم من نسل هيراكليس سمح لهم اليونان بان يركضوا خيولهم في سباق الالعاب الاولمبية وبذلك اعترف بهم صمناً بانهم من ابناء يونان .

فيليب — قلما كان هؤلاء الملوك النازلون في بلاد الداحلية بعيدين عن البحر يتتركون في حروب اليونان . وفي سنة ٣٦٠ تسنم اريكة العرش المكدوني شاب نشيط تجماع طموح ومعني به الملك فيليب فطمحت به نفسه الى القيام بثلاثة امور .

(١) ان يشيء جيشاً قوياً

(٢) ان يستيء جميع المواشي على شاطيء مكدونية

(٣) ان يكره سائر اليونان على الانضواء تحت لوائه لقتال الفرس

فصرف في هذا الشأن اربعا وعشرين سنة ونجح فيما قصد له . واستسلم اليونان اليه بل واعانه كثير منهم واتخذ له انصاراً يبذل المال في جميع المدن يحسنون الظن فيه ويمتدحونه قال : « ما من قلعة يتعذر الاستيلاء عليها اذا استطاع المرء ان يدخل اليها بعلاً مثقلاً بالذهب » وهكذا استولى على جميع مدن شمالي اليونانية واحدة بعد اخرى .

واقدر كان الحضم اللدود لفيليب الخطيب ديموستين وهو ابن صانع السلحة تيم في الساعة من عمره واختلس اوصياؤه جزءاً من ماله ولما بلغ اشداه اقام عليهم قضية واكرههم على ان يعيدوا اليه ما اختلسوه منه وكان درس خطب ايزيه واستطهر تاريخ توسيديد يد انه عند ما حطب على المنبر العام قوبل كلامه بالقهقهة اذ كان صوته ضعيفاً جداً ونفسه قصيرا فتوفر عدة سنين على ترويض صوته . ويروى انه كان ينقطع شهوراً طويلاً ويغفر رأسه مخلوق لثلا يحاول الخروج ويلقي خطباً وفي فمه حصا وهو على شاطيء البحر ليمرن نفسه على التعلب بصوته على جلبه الناس ولما رجع الى المنبر كان قد اخضع صوته لارادته واذكار يحافظ كل المحافظة على اعداد جميع خطبه قبل القاها عدا ارقى خطيب واعظم مفوّد في بلاد اليونان . وكان الحزب الذي يرجع اليه امر آثينة على ذلك العهد بزعامه فوسيون بطمح في السلم اذ لم

يكن لا آئينة جند كاف ولا مال وافر لا يقاف ملك مكدونية عند حده فكان فوسيون يقول سأتسير عليكم بالحرب متى صرتم بحيث تستطيعون القيام باعبائها . وكان ديموستين على العكس يخنقر فيليب ويراه كأنه من المتوحشين فنطوَّع في خدمة الحزب الذي يطلب محاربتَه واستخدم ما فيه من فصاحة لاخراج الآتينيين من سياسة المسالمة ولم يدخر وسعاً مدة خمس عشرة سنة في تحريضهم على ذلك .

وانك لتجد موضوع كثير من حطب ديموستين الحملة على الملك فيليب وكان يسميها الفليبية . قال في خطابه الاول سنة ٣٥٢ : متى تقومون ايها الآتييون بواجباتكم ؟ اتريدون ان تسرحوا وتمرحوا في الساحات وبعضكم يأل بعضاً بقوله : ما وراءك من الاخبار ؟ اما انا فاقول لكم ليس من حديد الا اننا نشاهد مكدونياً يتغلب على آئينة ويستولي على ارض يونان ؟ اقول لكم انه من الواجب تسليح خمسين سفينة وان تعقدوا العزم ان تركبوها بالدرات عند سيس الحاحة . جنبوا مسمعي حديث حيش مؤلف من عشرة او عشرين الفا من الاجانب ولا حقيقة له الا على الورق فاني لا اريد الا اخنوداً من الوطن متطوِّعين في خدمته .

وقال ديموستين في الفيليبيات الثالثة سنة ٣٤١ يذكر الآتينيين بما حازه فيليب من الظفر عليهم لغفلتهم وقلة حركتهم : « كان اليونان قديماً عند ما يسيئون استعمال سلطنتهم ابظلموا غيرهم تقوم بالادهم كلها على ساق وقدم لمنع هذا الظلم ونحن اليوم نقاسي ما نقاسي من مكدونى حقير متوحش من اصل ملعون فيخرب المدن اليونانية ويخنفل بالالاعاب البيتية (١) او يأمر خدمه بالاحتفال بها وهذا ما ينظر اليه اليوناني بدون ان يأني امراً كما ينظر الى الرد يتساقط وهو يضرع بان لا يصيبه . والسلطة تعظم بدون ان يخطوا احد خطوة لا يقافها . وكل ينظر من عهد اليه في تمريق تيمل غيره كما لو كان يعد ذلك رجحاً في وقت بدلاً من ان يفكر ويعمل لسلامة اليونان عمد ما يعرف الناس ان المصيبة ستمال البعدين » . ولما استولى فيليب على الاتيه في مدخل بيوسبا (٣٣٩) ازمع الآتييون بما نصح لهم به ديموستين ان يتهروا الحرب وبيعوا نفود الى تيبة وذهب ديموستين زعيماً للوفد ولقي في تيبة وفداً جاءه من قبل فيليب فتردد التيديون وارادهم ديموستين على ان يتماسوا جميع احقادهم القديمة وان لا يفكروا في غير سلامة الوطن اليوناني وفي الدفاع عن الشرف والحرية فعرموا بمساعيهم ان يعقدوا مخالفة مع آئينة وان يظلوا على المقاومة والحرب .

وبعد سنة (٣٣٨) انتهت الحرب في تيررونيه من اعمال بيوسيا وكان عمر ديموستين اذ ذاك ثمانياً واربعين سنة فقدم في الجيش جندياً بسيطاً واذ كان جيش الآتينيين (١) هذه الالاعاب كانت تقام كل اربع سنين كالالاعاب الاولمبية في مدينة دلفيس اكراماً لابلون البيتي

والتيبين قد دعي الى حمل السلاح بسرعة لم يعادل جند فيليب المدرين ولذلك كانت الهزيمة من حظ الجيش الاول .

الاستيلاء المكدوني — واذ ظفر فيليب اقام حامية في تيبة وصالح آبنة تم دخل الى ارض المورة فاستقبله اهلها كأنه المحسن الى التعوب التي طالما اضطهدتها اسبارطة ومن ذاك العهد لم يصادف اقل مقاومة فجاء الى كورنت (٣٣٧) وجمع فيها مندوبي جميع المدن اليونانية (ما خلا الاسبارطيين فاهم لم يبعثوا مندوبين قط) وعرض عليهم مشروعه وهو ان يتولى زعامة جيش يوناني لعرو فارس فاستحسن المندوبون رأيه وعقدت تحالفه عامة بين المدن اليونانية كافة وذلك على ان تحكم كل مدينة نفسها بنفسها وتعيش سلام مع غيرها وأنتهي مجلس لتلك الوحدة لمنع الحروب والفتن الاهلية والقتل والمصادرة وهذه الوحدة كان من شأنها الاتحاد مع ملك مكدونيا والاقرار له بالرعامه على جميع الخنود والسفن اليونانية وحظر على كل يوناني ان يحارب فيليب واذا فعل تصرب عنقه بدون محاكمة .

الاسكندر -- 'حق فيليب ملك مكدونيه سنة ٣٣٤ وكان اسمه الاسكندر اد داك ابن عشرين سنة وكان مثل جميع اليونان من اساء البيوت الشريفة ماهرًا في الالعاب الرياضية شديد القوى في الكفاح يحسن ركوب الصافنات الحيات (وهو الذي استطاع وحده ان يكبح حماح حصانه بوسيفال في الحرب) وكانت زيادة على ذلك عارفا بالسياسة حسن البيان يعلم التاريخ الطبيعي وكان استاده من سن المائنة عشرة الى السابعة عشرة العباسوف ارسطو اعظم عالم في اليونان فكان يتلو الاليادة شوق ويدعوها داييل من الحرب ويريد ان يتشبه بالابطال الذين ورد ذكرهم فيها . فكانه حلق ليكون دائحًا لانه معرم بالقمال مولع بحب الشهرة وكان ابوه يقول له « ان مكدونية صيته المطاق ولا تسعك »

الجحافل المكدونية — ترك فيليب لانه الاسكندر اداة من ادوات الفتح وبعي بها الجيش المكدوني وهو احسن جيش عهد في بلاد اليونان يؤلف جيش المائة وجيش الفرسان فكان الجحافل المكدوني مؤلفاً من ١٦ الفا من الرجال مصفوفين ألوفاً ألوفاً ستة عشر صفًا ويحمل كل واحد منهم رمحاً طوله ستة امتار وكان المكدونيون في ساحه الوعى بدلا من ان يسيروا الى العدو كهم من جهة واحدة يقفون لا حراك لهم ويصرون برماهم العدو من كل صوب وكان جنود المؤخرة يرفعون رماهم من فوق رؤوس الصفوف الاولى بحيث كان داك الجيش يتشبه حيواناً عظيماً وقد انتصب وعليه الحديد والعدو يداهم فيتحطم . وكنت ترى الاسكندر يينا كان الجيش في ساحه الحرب يوقع بالعدو وهو في مقدمة فرسانه وكانت هذه الكتيبة من الفرسان مؤلفة من خيار الفتيان الاشراف .

فتح آسيا — سافر الاسكندر في ربيع سنة ٣٣٤ في ثلاثين الف راجل (معظمهم من المكدونيين) وفي ٤٥٠٠ فارس لا يحمل معه غير ٧٠ تالوناً من المال (اقل من ابعائة الف فرنك) وذخيرة تكفي هذا الجيش الضخم اربعين يوماً . ولم يكن عليه ان يقاتل ذاك الغوغاء من الشعوب التي لا سلاح لها وقد سخرها كينسرو الفارسي لامره فقط بل كان امامه خمسون الفا من اليونان المجندين في خدمة الخاقان الاعظم تحت قيادة قائد حاذق يدعى ممنون الرودسي فقد كان في مكنة هؤلاء اليونان ان يصدوا المكدونيين عن العبور ولكن صادف ان مات ممنون ونشبت جيته تذر مذر فتخلص الاسكندر من خصمه الوحيد العنيد وفتح المملكة الفارسية في سنتين . وذلك بعد ان ظفر في ثلاث مواقع فبدد في آسيا الصغرى الجيوش الفارسية الرابطة وراء نهر غرانيك (في مايو ٣٣٣) وهزم الاسكندر داريوس ملك فارس وجيسته الذي يقال انه كان مؤلفاً من ستين الفا في مضائق سيليسيا في ايسوس (نوفمبر ٣٣٢) وتشتت في اربل بالقرب من دجلة جيشاً اكتر عدداً (٣٣١) .

فكانت هذه الغلبات مثالا من الحروب المادية فالجيش الفارسي لا سلاح له ولا يحسن الرماية وهو متوس بنفسه في اخلاط من الجند والاجراء والاتقال وكانت الجنود المختارة وحدها هي التي تقاتل والباقي يستمت ويقتل ولم يكن الفتح في غضون الحرب الا نزهة يكتب فيها الظفر وهذا الفاتح لا يجد امامه مقاوماً (١) وماذا بهم شعوب المملكة ان يحضروا لداريوس او للاسكندر ؟ وكل غلبة يحرزها الاسكندر كان يفتح بها مملكة برأسها فوقعة الفرانك استولى فيها على آسيا الصغرى ومعركة ايسوس افتتح فيها سورية ومصر ومعركة اربل بقية البلاد .

ولما صار الاسكندر الحاكم المتحكم في المملكة الفارسية اعتذر نفسه وارتأى ان فان الاعظم صاحب فارس فلبس اللباس الفارسي واستعمل عادات البلاط الفارسي في الاحتفالات الرسمية واكره قواده ان يركعوا امامه على السنة الفارسية وتزوج بامرأة من بنات الفرس وزوج ثمانين من ضباطه من ثمانين فتاة من بنات اشرافهم واراد ان يوسع مملكته الى اقصى الحدود كما فعل الملوك القدماء وتقدم فاتحاً نحو الهند وهو يقاتل القبائل المحاربة ولما عاد في جيته الى بابل (٣٢٤) هلك بالحى في بضعة أيام في الثالثة والثلاثين من عمره (٣٢١) مقصد الاسكندر — من المتعذر جداً ان نعرف ما كان يقصد الاسكندر . هل كان يفتح حباً بالفتح ؟ او انه كان له مقصد آخر ؟ وهل كان يريد ان يجعل جميع تلك الشعوب شعباً واحداً ومملكة واحدة ؟ هل اتخذ المناسي الفارسية ليكون مثلاً لغيره ؟ او انه قد

(١) ما عدا مدينة صور الفينيقية حصية اليونان لاسباب تجارية

الخاقان الاعظم صلفاً واعجاباً ؟ اننا لم نقف على نياته الا ان اعماله كانت لها نتائج عظيمة
ولقد أسس سبعين مدينة وعدة مدائن في مصر كالاسكندرية وفي بلاد التتر حتى
بلاد الهند ووزع على رعاياه الكنوز التي وجدها في خزائن الخاقان الاعظم وكانت مطروحة
فيها لا ينتفع بها واخذ معه علماء يونانيين لدرس نباتات آسيا وحيواناتها وجغرافيتها وهياً
الملكات في الشعوب الآسيوية الى تعلم لغة اليونان والتخلق باخلاقهم ولذلك اطلق على
الاسكندر لقب الكبير

تأسيس الممالك اليونانية

الاسكندرية — المتحف — ممالك آسيا — التمدن اليوناني في الشرق
خرب مملكة الاسكندرية — جمع الاسكندر تحت علم واحد جميع بلاد العالم القديم
من بحر الادرياتيك الى نهر الاندوس ومن مصر الى القافقاس . ولم يدم هذا الملك العظيم
الا بدوامه فلما هلك اختلف قواده فبين يولي الملك بعده وحارب بعضهم بعضاً مدة عشرين
سنة واتخذوا باديء بدء حجة لحرورهم بانهم يتقاتلون لمعاوضة احد أسرة الاسكندر كالخيه
وابنه وامه واحوته او احدي زوجاته ثم ثقاتلوا علناً باسمهم وتوطيداً لدعائم الملك لسلطانهم
فكان لكل واحد منهم جزء من الجيش المكدر في او جنود يونان مأجورون فكان اليونانيون
يتقاتلون فبين يستأثر بآسيا ويحكم عليها والناس ينظرون اليهم غير محتفلين بما يأتون كما لو كان
اليونان يقاتلون الفرس اعداءهم

ولما وضعت الحرب اوزارها لم يبق الا ثلاثة قواد وقد هياً له كل منهم مملكة واسعة
مما خلفه الاسكندر فحكم بطليموس مصر وسلوقس سورية وليزيماك مكدونية وكانت انفصلت
بعض الممالك الصغرى او احدثت بالانفصال عنها مثل ابيرو في اوروبا ومثل بون وبيتي
وعالاسيا وكابادوس وبرغام في آسيا ومثل مقاطعتي باكتريان وبارسيا من بلاد الفرس
وبذلك تم تقسيم مملكة الاسكندر

التمدن اليوناني في الشرق — كان الملك من اناء اليونان في هذه الممالك الجديدة وقد
اعتاد ان يتكلم باليونانية ويتعبد بالارباب اليونان ويعيش عيش اليونان ويحافظ على لغته
ودينه وعاداته . رعاياه من الآسيويين أي من البرابرة وهو يحاول ان يجعل له حاشية من
جنسه ويجند جنوده من أبناء يونان بالاجرة ويتخذ موظفين يونان لادارة البلاد ويجلب
الى عاصمته شعراء وعلماء وارباب فنون من اليونانيين

وكان في البلاد علي عهد ملوك الفرس كثير من اليونان والطواريء والتجار ولا سيما
من الاجناد فاكثر ملوك اليونان من جلبهم وانتشروا في جميع اطراف آسيا وكثر سوادهم

حتى انتهت الحال بالوطنيين ان يلبسوا اللباس اليوناني وينتخلوا الديانة اليونانية والاخلاق اليونانية بل واللغة اليونانية ولم يعد الشرق آسيا ويا بل اصبح يونانيا حتى ان الرومانيين لم يحدوا في آسيا في القرن الاول الا شعوباً يشبهون اليونان ويتكلمون باللغة اليونانية باسمرهم (١) الاسكندرية — لقب ملوك اليونان في مصر وهم خلفاء بطليموس بلقب الفراعنة على نحو ما كان بلقب ملوكها الاقدمون ولبسوا التاج ودعوا الناس الى عبادتهم باسم ابناء الشمس ولكنهم كانوا محاطين باليونانيين واقاموا عاصمتهم على شاطئ البحر في مدينة يونانية وهي الاسكندرية . تلك المدينة الجديدة التي اُسِّت بأمر الاسكندر

نيت الاسكندرية على سطح مستوف كانت ذات نظام أكثر من غيرها من المدن اليونانية وكانت الشوارع تنقسم الى زاوية قائمة ويتقها من وسطها الشارع الاعظم وعرضه ثلاثون متراً وطوله ستة كيلومترات وعلى جانبيها ابنية عظيمة مثل بناء استاد حيث كانت تقام الالعاب العامة والجنائز والمتحف والارسيوم

وكان المرفأ مؤلفاً من سد طوله الف وتلثمائة متر يصل بين اليابسة وجزيرة فاروس وفي طرف هذه الجزيرة أُقيم برج من الرحام جعل في قننه مكان يبعث منه ضوء على الدوام لتسير به السفن التي تريد دخول المرفأ ومن هناك جاء اسم المنارة . فقامت الاسكندرية مقام المدن الفينيقية وغدت المينا العظمى لتجارة في العالم اسره .

المتحف — كان المتحف بناء عظيم من الرحام متصلاً بقصر الملك وقد اراد ملوك مصر ان يجعلوه معبداً عالياً عظيماً . وفيه مكتبة عظيمة (٢) وكان لرئيس القوام عليها ان يبتاع جميع ما يتسنى له الظفر به من الكتب فكل كتاب يدخل مصر يحمل الى المكتبة والنساح ينقلون المخطوطات ويرجعون نسخة لصاحبها مع التعويض عليه واتصلت الحال بان جمع على هذا النحو عدد من المجلدات لم يسمع بسله (وهو اربعمائة الف مجلد كما قيل) وكانت الكتب المخطوطة لكبار المؤلفين الى ذلك العهد مبعثرة مستتنة وعرضة لخطر الضياع فاصبحت يعرف لها مقر يرجع اليه .

وكان في المتحف ايضاً حديقة للنبات والحيوان ومرصد فلكي وقاعة للتشريح اقيمت على الرعم من اوهام المصريين كما أُقيم معمل كيمياوي (كان الملك بطليموس فيلادلف يخشى كثيراً

(١) كتبت الاناجيل واعمال الرسل في آسيا الصغرى باللغة اليونانية

(٢) حرق مكتبة المتحف في حلال حصار قيصر لمدينة الاسكندرية ولكن كان لها

فرع جعل في السرايوم وفيه على ما يقال ثلثمائة الف مجلد . وقيل ان هذه المكتبة الثانية حرقها المسلمون في القرن السابع ولكن الظاهر انها فقدت من قبل (قاله المؤلف)

من الموت فقصى بضع سنين في البحث عن اكسير لاطالة الحياة (وكان في المتحف العسكري مساكن للعلماء والرياضيين والفلكيين والاطباء والنحويين ويقدم لهم عداؤهم على نفقة الحكومة وكنيراً ما كان الملك يتناول الطعام معهم دليلاً على احترامه لهم وكانوا يقضون اوقاتهم في المحاورة والمطالعة ويحيي الناس من جميع بلاد يونان ليستمعوا لما يلقون وكان التسبات يبعث بهم آباؤهم الى الاسكندرية لينعلموا . ويقال انه كان فيها نحو ١٢ ألفاً من الطلاب .

ومن ثم كان المتحف مكتبة ومجمعاً علمياً ومدرسة في آن واحد فهو اشبه بمدرسة جامعة وهذا الوضع الذي هو عام بيننا مألوف كان على ذلك العهد من الاوضاع الحديدية التي لم يسبق لها نظير . ولقد اصححت الاسكندرية بفضل متحفها مقصد جميع المتسارعة من يونان ومصريين واسرائيليين وسوريين يحمل اليها كل منهم دينه وفلسفته وعلمه ويحتنط بعضهم بعض فعادت الاسكندرية ادراك وحلت قروناً كثيرة عاصمة العلم والفلسفة في العالم رعامه . كانت رعامه في آسيا الوسطى من انماث الصعري ولم تعد لها سطوة بيدان عاصمتها رعامه كانت كلاسكندريه مدينه ارباب الصانع والادب واساً نفاسو رعامه في القرن الثالث قبل الميلاد مدرسة مشهورة (١)

وقد ملكت برعامه كما ملكت الاسكندرية مكتبة كبرى جمع اليها الملك اتال انكسب المخطوطة لقدماء المؤلفين وفي برعامه احرعت اكشانة على الجود للاستعاضة عن ورق البردي وكان هذا الورق الحديد ورق رعامه هو الورق الذي حفظت به المخطوطات القديمة

الحروب الاخيرة في يونان

العصانات المتتالية

الحروب الاهلية - كانت بأيدي بضع أسرات غنية من اليونانيين في جميع المدن اليونانية على التقريب جميع الاعمال والمعامل الصاعية والسفن التجارية وعامه مصادر الرخ وموارد العيش اما سائر الاسرت اي السواد الاعظم (٢) فلم يكن لهم ارض ولا مال (١) اتصل بنا بعض التماثيل التي استصعبها الملك اتال ذكرى لانتصاره على العالبيين في آسيا المعروفين بالعلاسيين

(٢) لم يكن في جميع المدن اليونانية تقريباً طبقة وسطى تشبه الطبقة الوسطى في اورونا وبذلك كانت تعد آثينة بما فيها من ١٣ ألفاً من ارباب الاملاك من الشواذ النادرة وكانت من المدن التي قلت فيها الثورات

وماذا كان الوطني الفقير يعمل ليكسب رزقه ؟ لم يكن له الا ان يؤجر نفسه زراعاً او عاملاً او ملاحاً . بيد ان عبيد ارباب الثروة في مصانعهم ومعاملهم وسفنهم كانوا يقومون بهذه الاعمال ولا يكلفون للاتفاق عليهم غير شيء زهيد بالنسبة للتنفقات التي كان على السادة ان ينفقوها اذا استخدموا الاحرار في اعمالهم لانهم كانوا يطعمون عبيدهم طعاماً عليظاً ولا يؤثرون اليهم اجوراً . ثم انه من الصعب على الفقير ان يعمل لحسابه لندرة الدراهم ولم تكن الفائدة اقل من عشرة في المئة وهيئات ان يقرضه انسان مايعوزه

على ان العادة لم تكن تسمح للوطني ان يتعاطى الصنائع لان الفلاسفة كانوا يقولون بانها تفسد الجسم وتضعف النفس ولا تترك في وقت صاحبها متسعاً للنظر في الشؤون العامة ولذلك قال ارسطو ان المدينة الحسنة المطام لا يجب عليها ان تعد الصانع فيها وطنياً . فكانت بن الوطنيين في يونان طبقة ترفية ترى كما كان يرى الاشراف في فرنسا قديماً ان لها الحق ان تحكم وتحارب وفي ذلك ترفها اما تعاطيها الاعمال بايديها فيعد ثنازلاً واتضاعاً ومن اجل هذا حالف البؤس معظم الوطنيين كما كانوا عرصة له من منافسة العبيد في اعمال الحياة وما وقر في نفوسهم من شروط الترف والنهاة فحكم الفقراء المدن ولم تكن اسباب عيشتهم متوفرة وخطر لهم ان يسلبوا الاغنياء فألف هؤلاء شركات منهم لمقاومة اولئك وعند ذلك انقسمت كل مملكة يونانية الى قسمين الاعمياء ويدعون « الاقلية » والفقراء ويدعون « الاكثرية » او الشعب . وبدأ الاغنياء والفقراء يتباعضون ويتقاتلون فاذا صار الحكم للاغنياء يطردون الاغنياء ويصادرون اموالهم وربما اتخذوا واسطتين بالفتين في التطرف وهما العاة الديون ونقسم الاراضي من جديد . فادا عادت السلطة للاغنياء يطردون الفقراء وكانوا يتعاهدون بينهم في كثير من المدن قائلين : « اقسم نافي اخلل ابداً معاديا للشعب واؤذيه ما استطعت » ولم يكن تمت من سبيل الى التوفيق بين الفريقين فلا الاغنياء يستطيعون ان يستسلموا للتخلي عن ثروتهم ولا الفقراء يرضون بان يموتوا جوعاً . قال ارسطو « ان الثورات تنشأ من سبب تقسيم الثروات » . ويقول بوليب « ان كل حرب اهلية تنشأ من سبب تقسيم الثروات من يد الى اخرى » .

ومن ثم كان الفريقان يقتتلان اسد قتال على محوما يحدث ابداً بين الجيران فنقلب الفقراء باديء بدء في ميلت واكرهوا الاغنياء على الحرب من المدينة ثم اسفوا لانهم لم يذبحوهم فاحذوا اولادهم وجمعوهم في الانابير تحت ارجل البقر ودخل الاغنياء المدينة فاصبحوا اصحابها الحاكين فيها واخذوا هم ايضاً ابناء الفقراء وزفتوهم (دهنوهم بالزفت) واحرقوهم احياء .

الحكم الجمهوري والحكم الافرادي — كان لكل من الاغنياء والفقراء شكل خاص في الاحكام يجرونها في المدينة عند ما يقوى احد الفريقين . فكانت حكومة الاغنياء من نوع الحكم الافرادي (اوليكارشي) تعهد بالاحكام الى بعض افرادها اما حكم الفقراء فكان حكمهم ديمقراطياً يكون حكمهم الى مجلس الامة وكل واحد من الفريقين يتفق مع الفريق المائل له في المدن الاخرى وبذلك تألفت عصابتان تقاسمتا بينهما جميع المدن اليونانية : عصاة الاغنياء او الحكم الافرادي وعصاة الفقراء او الحكم الجمهوري . وبدأت هذه الطريقة في الحكم خلال حرب المورة فكانت آئنة تعصد الحزب الديمقراطي واسبارطة تمالي الحكم الافرادي فاتحدت المدن التي كان فيها سلطة للفقراء مع آئنة كما اتحدت المدن التي تسلط عليها الاغنياء مع اسبارطة .

ولقد دامت الحروب الاهلية بين الاغنياء والفقراء نحو ثلاثة قرون (من ٤٣٠ الى ١٥٠) ذبح في حلالها كثير من ابناء البلاد وطرد منهم عدد اكتر من ذلك فاحذوا يهيمنون في اطراف الارض على وجوههم لا مورد لهم يعيشون منه ولا يعرفون الا صناعة واحدة وهي الجندية فيسخرطون متطوعين في الجيش الاسبارطي والاتيبي وفي جيش الحاقان الاعظم والجيش الفارسي بل وفي كل جيش يدفع اليهم اجورهم فكان من ابناء يونان حمسون الفاً في خدمة دارا عند ما قاتل الاسكندر وهم لا يكادون يعردون الى بلادهم متى خرجوا منها .

العصابات — ضعفت الشعوب التي حكمت على بلاد اليونان واسبارطة وآئية ونيبة ولم يبق في القرن الثالث من اهل الشدة والبأس غير سكان عربي البلاد فالايونولون يسكنون الجبال في تمالي كورنت والاتييون النازلون في شاطئ المورة في جنوبي هذا الخليج . وقد نظموا احوالهم عصابات لا مدناً واحتفظت كل مدينة بحكومتها وكانت لها كلها مجلس للعصاة يقرر فيه الحرب واليهود ويفرض الحند الذي تقدمه وينتخب القائد الذي يقصى عليه ان يقود جيش العصاة .

فاقسمت المدن اليونانية بين هاتين العصابتين المتعادتين . ومن العادة ان تعصد العصاة الايتولية الحرب الديمقراطي والعصاة الآشيه الحرب الاوليكرتي . وقد رأس العصاة الآشيه صابطان شهيران احدهما ارتوس في القرن الثالث وهو الذي طاف بلاد اليونان سبعاً وعشرين سنة (٢٥١ — ٢٢٤) ملارداً الظالمين من جميع المدن آخذاً بيد الاغنياء معيداً اليهم اموالهم ومقلدهم حكم البلاد والقائد الثاني فيلو يارن قائم في القرن الثاني وقاتل الظالمين في اسبارطة فقتله المسيينيون .

احلاف الرومانيين — لم يكن احد من تينك العصابتين من القوة بحيث يجمع جميع المدن اليونانية وعندئذ ظهر الرومان لخارجهم من ملوك اليونان فيليب ملك مكدونية (١٩٧) تم ملك سورية الطيوخس (١٩٣ — ١٦٩) فنكست اعلامها كليهما ودمرت رومية جيوشها واستولت على اساطيلها وقاتلت « برسي » ملك مكدونية الجديد وأسرتة وحربت مملكته (١٦٧) .

ولم يحاول اليونان قط ان يجمعوا للدفاع عن انفسهم وظل فقراؤهم واعنيائهم يقتتلون وكل حرب يفتت الحرب المعادي له اكر من بعضه الغريب وتحالف الحزب الديمقراطي مع ملك مكدونية ودعا الحرب الاولي كارتشي للرومانيين . وبينما البيبيون من الديمقراطيين يقتاتلون في جيش فيليب كان مواطنتهم من الاولي كارتشين يفتحون ابواب المدينة للفائد الروماني وقد حكم بالاعدام في رودس على كل من قاموا او تكلموا بما يخالف رضى رومية كتب كاليكرات احد اشراف الرومانيين من الآسيين قائمة بال وطني اتهمهم انهم كانوا يغيثون لبرسي فارسلوا الى رومية وأمسكوا فيها عشرين سنة بدون ان يحاكموا .

الفتح - لم يظهر الرومانيون اولا في مظهر الاعداء وقد ذهب القمص فلامانيوس سنة ١٩٧ بعد ان غلب ملك مكدونية الى ررح كورنت واسلم امام اليونانيين المختبئين للالعاب البرزخية بان جميع الشعوب اليونانية حرة وعارب الحرب ر لقوله وافقدوا معه ليشكروه يريدون ان يسلموا عليه وهو محررهم وان يروا صورته ولبسوا يده ويلقوا عليه اكليل النصر واقات الزهور فازدحم الناس عليه حتى كاد يخنق .

ولم يلبث الرومانيون ان اصبحوا سادة محددتهم انفسهم بان يقودوا البلاد فاضاعهم الانبياء عن رضى لان رومية كانت لهم واسطة لخلاص من حرب الفقراء ودامت هذه الحال اربعين سنة . وما شعلت رومية بقرضه سنة ١٢٧ اعادت للحرب الديمقراطية حياته في بلاد اليونان فاعان الحرب على الرومانيين فذعر لذلك فريق من اليونانيين وقدم كسيرون الى الحمد الروماني ووشوا اليهم براطنتهم ان ووشوا بانفسهم وبعضهم فرما الى انقاضي المدن وآخرون القوا بانفسهم في النار او الهوات وصادر رعياء المتأولين اموال الاعنياء والغوا الديون واعطوا سلاحا للعيد وكان الجهاد شديدا واداب الآسيون للمرة الاولى عادوا لحشدوا جيشا وساروا الى القتال مستصحبين نساءهم واولادهم وحبس القائد ديوس نفسه وجميع عياله في بيته والتي فيه النار .

وكانت كورنت مركز المقاومة فدخلها الرومانيون وذبحوا الرجال وباعوا النساء والاولاد

(١٤٦) ونهبت المدينة وحرقت وكانت مملوءة بالنفائس وكنت ترى صور كبار المصورين مطروحة في الغبار والجند الروماني مستلقياً فوقها يلعب بالنرد اه .

الرومان

وصف ايطاليا

شعوبها القديمة — سكنت ايطاليا عدة اجناس من الامم لم يتحدوا في عاداتهم ولغاتهم فكان يعتبر السهل العظيم الشمالي بين جبال الالب والابنين جزءاً من ايطاليا وهناك نزل شعوب من الغاليين اتوها من الشمال . فكان الاتروسكيون ينزلون في البلاد الواقعة بين جبال الابنين والبحر (هو اقليم توسكانيا) الى نهر التيبر وفي جنوبه ينزل اللاتين . ولقد سكنت قبائل كثيرة في جبال الابنين الوعرة وراى السهل الرومانية في الشرق والجنوب ولم تدع كل هذه الشعوب اسم واحد ولم تؤلف امة واحدة بل كانت تنقسم الى اومبريين وصابنيين ومولسكيين وايبكيين وهيريكين ومارسيين وسامنيين واكنتم يكادون كلهم يتكلمون بلغة واحدة ويعبدون ارباباً واحدة ولهم عادات واحدة . يتكلمون كالفرس واليهود واليونان بلغة آريه وابعادهم وراء جبالهم عن الاحتلاط بغيرهم احفظوا عاداتهم القديمة وعاشوا عصابات مع قطعانهم مشتتين في الخلاء ولم يكن لهم مدن ولا حواضر بل كانوا يلجئون زمان الحرب الى حصون اقيمت في الجبال وقد عرفوا بالتجاعة والقتال وبسلامة الاخلاق ومتانتها وكان منهم بعد حين اعظم قوة للحجيش الروماني وفي امثالهم " من يستطيع ان يغلب على المارسيين او ان يغلب ندوم " .

حاء في احدى اساطيرهم ان الصابنيين رل بهم حطب فادح فاعنقدوا ان الارباب ساحطون عليهم فعقدوا العزم على ان يسكنوا عضيها وان يقدموا ضحية الى رب الحرب والموت كل من يولدون من الاولاد في احدى فصول الربيع . ودعيت الضحية " الربيع المنذور " فاصبح جميع الاطفال الذين وضعهم امهاتهم تلك السنة ملكاً للرب حتى اذا بلغوا سن الرحال عادروا البلاد وبعدوا عنها الى القاصيه وتألفوا عصابات فاحترت كل عصاة احد حيوانات ايطاليا المقدسة دليلاً من مثل الصرد والدئب والتور وهي تتبعه كأنها تتبع مرسلاً من الرب وحيثما وقف الحيوان نزل العصاة وتتخذ موطناً لها . وقيل ان عدة شعوب من ايطاليا كان اصلها من تلك الأسرات من النازحين وما زالت محافظة على اسم الحيوان الذي كان اجدادها اتبعوا آثاره في القدم وذلك مثل المارينيين (شعب الدئب) والبيسانثيينيين (شعب الصرد) والسامنيين وكانت عاصمتهم تسمى بوفيانوم اي مدينة البقرة .

السامنتيون — كان السامنتيون من اقدر تلك الشعوب وقد سكنوا في اقليم الابرور وهو معصى حقيقي فينزلون الى السهول المخصصة في نابلي وبويل وينهبون المدن الاتروسكية والمدن اليونانية . جاهدوا قرنين في الرومانيين فكانوا كل مرة يردون على اعقابهم خاسرين اذ لم يكن لهم موطن ولا نظام تم يعاودون القتال . وكان جهادهم الاخير شديداً . ولقد اتى شيخ الى زعماء الجيش بكتاب مقدس كتب على نسج من الكتان فاقاموا داخل المعسكر سوراً من نسج الكتان وجعلوا في وسطه مذبحاً والحند واقفين من حوله شاهرين سيوفهم ويدخل اشجع انصار بين الى السور وتؤخذ عليهم العهود ان لا يهربوا من الرحف امام العدو وان يقتلوا المنهزمين واحذ من اقساموا الايمانات المغلظة وكانوا ستة عشر الفاً البسة من الكتان فنألفت منهم (كتيبة الكتان) وترعت في القتال فقتلت عن آخرها .

يونان ايطاليا — سكن ايطاليا الجنوبية طواري من اليونانيين كما سكن بعضهم مدينة سيبارس وكرتون وتارانت وقوي فيها امرهم وكثر سوادهم . بيد ان اليونانيين لم يلقوا بانفسهم قط الى الوقوع في التهلكة اذ لم يقصدوا رومية خوفاً من الاتروسكيين وما عدا مدينة كومس فان المستعمرين من اناء يونان كانت لهم الى القرن الثالث صلات قليلة مع الرومانيين . الاتروسكيون — أطلق اسم الاتروسكيين على اقليم توسكانيا فسمي تروسكي وهو اقليم حار رطب مخضب للغاية . وظلت حال الاتروسكيين الى الآن طليماً من الطلاس لم نمكهم فهم لم يكونوا يشبهون جيرانهم ولا يعلم اين اتوا بل اننا لا نعرف اللغة التي يتكلمون بها الا ان ابجديتهم شبه ابجدية اليونان ونرى الآثار التي عرفت عن هذا الشعب قصيرة لا نتمكن معها من استنباط لغتهم .

كان الاتروسكيون يحسنون استخدام ارضهم في الزراعة على انهم عرفوا الحارة والتجارة ايضاً وكانوا يذهبون كالفينيقيين الى البلاد اقصية للبحث عن عاج الهند وسبر البلطيق وعن القصدير والارجوان الفينيقي والحلي المذرية المكتوب عليها حروف هيروغليفية وعن بيض النعام . واثاث النجد من جميع هذه الاشياء في قبورهم . وكانت سفنهم تنقدم نحو الجنوب حتى جزيرة صقلية . وقد كان اليونان يكرهونهم ويدعونهم (البريين المتوحشين) او القرصان الاتروسكيين . وكل بحار في تلك العصور ساعدته الاحوال يأتي منه قرصان بحر فكار من مصلحة الاتروسكيين حاصه ان يردوا التجارة اليونان ويصدوهم ليخلوا لهم الجو في الساطي الغربي من ايطاليا ويستأنثروا بتجارته . ولم يبقوا من آثارهم الا حوائط حصينة وقبوراً . وعند ما يفتح قبر احد الاتروسكيين تشاهد وراء باب ذي عمد غرقاً فاباساً . وقد امتدت عليها جنت وحواليها حلي من الذهب والعاج والعنبر واقشة الارجوان وفرش واوان كبيرة

منقوشة اما الجدران فيرسمون عليها صور حروب والعابا وولاتم ومشاهد غريبة .
وان ما استخرج من القبور بالالوف من الاواني الاتروسكية اازدانت به متاحفنا
وصنع على مثال الاواني اليونانية هو من صنع الاتروسكيين انفسهم وفيها متاهد ميتولوجية
يونانية ولا سيما صور الحروب التي جرت حول طروادة والاتحاص نائشة حمراء على صفيح اسود
وقد أسس الاتروسكيون في طوسكانيا اثني عشرة مدينة ولكل منها ملكها وحكومتها وكان
لهم من الجانبين مستعمرات فلم اثنا عشرة مستعمرة في اقليم كامبانيا في جوار نابولي واتنا
عشرة في سهل بو .

ديانسهم — اعتقد الاتروسكيون بارباب جبارين وربما كانوا اشرارا وارقي اولئك
الارباب الارباب المستورون المجهول امرهم ثم يحيى بعدهم الارباب الدين يرسلون
الصاعقة وعددهم اثنا عشر رنا يؤلفون مجلساً لهم ويعتقدون انه يقيم تحت الارض في
مدافن الاموات ارباب متائبين وكثيراً ما كانوا يملون صورهم على اوان من صنع ايديهم
فيملون ملك الجحيم المدعو ماتوس في صورة حبار مخنخ جالس وتاج على رأسه ومتعل بيده
كما يملون شياطين آخرين مسلحين سيف او مطرقة والحيات يقبضون عليها بايديهم وهم
يتلقون ارواح الموتى واهمهم الشيطان شارون المعروف عند اليونان بهذا الاسم ايضاً وقد
تحويله على صورة شيخ ذي هيئة قبيحة يحمل مطرقة ثقيلة ليضرب بها صحاباه . ويعتقدون
ان ارواح الموتى وتسمى « المان » تخرج ثلاثة ايام في السنة من مقرها في عالم الظلمات
وتطوف الارض تروّع الاحياء وتؤذيهم فيقدم لهم الاتروسكيون ضحايا بثرية تسكيناً
لغصبتهم لانهم يحبون الدم . وكانت معارك المصارعين المشهورة التي اصطلح عليها الرومان ضحايا
دموية اكراماً للميت في اصل نسأتها وكان للعرافين الاتروسكيين الدين دعوا بالهاروسيسيدين
او اهل القال قواعد يجرون عليها للتنبوء عن المستقبل فيرصدون احتساء الصحايا كما يرصدون
الصاعقة وطيران الطير فيقف العراف ويدير وجهه نحو الشمال ماسكاً بيده عصا معقوفة
ويخط خطا يقطع به السماء شطرين فسطر الشرق وهو على اليمين يكون فال خير وسطر الشمال
يكون فال شر (١) ثم يقطع السطر الاول على قطع الصليب ويؤلف خطوطاً متوازية يكون
منها في السماء شكل مربع يدعونه المعبد فيرمي العراف ببصره الى الطيور التي تمر في ذاك المربع
فبعضها كالنسر علامة خير واخرى كالبلومة طالع شؤم .

واقدر ثبناً الاتروسكيون عن مستقبلهم انفسهم فهم الشعب الوحيد من بين الشعوب

(١) هذا اشبه بالسائح والبارح عند العرب ولعلها اخذته عن الرومان نقول العرب :
من لي بالسائح بعد البارح اي بالمبارك بعد الشؤم قال ابو عبيدة سأل يونس رؤبة وانا شاهد

القديمة الذي لم يعتقد بانه خالد وكانوا يقولون ان بلادهم يدوم امرها عشرة قرون . وهذه القرون لم يكن كل واحد منها مؤثفاً من مئة سنة ولا تعين مدة القرن الا بعد ان يجري له فآل . ففي سنة ٤٤ وهي سنة وفاة قيصر ظهر في السماء نجم مذنب فقال احد العرافين من الاتروسكيين في رومية في جمع من الامة ان هذا النجم يشير الى نهاية القرن التاسع وابتداء القرن العاشر وهو آخر قرن يستقيم فيه امر الاتروسكيين .

نفوذ الاتروسكيين — كان الرومان امة نصف متوحشة فاقتدوا كثيراً بالاتروسكيين وهم اكثر منهم تمدناً واخذوا عنهم بعض المصطلحات الدينية خاصة مثل البسة الكهنة والحكام والشعائر الدينية وعلم معرفة الغيب وزجر الطيور وعند ما كان الرومانيون يؤسسون مدينة يجرون على شعائر الاتروسكيين فيحيط المؤسس لها بالمحراث سوراً مربعاً وللمحراث سكة من النحاس يجرها نور ابيض وبقرة بيضاء فيتبع الداس المؤسس ويلقون بزبد العناية جميع مدر الارض من ناحية السور وتصبح كل الهوة التي يشقها المحراث مقدسة لا يستطيع احد ان يتعداها للدخول في السور ولذلك اقتضى ان يقطع المؤسس تلك الانلام او الهوى المقدسة من عدة مواقع فكل مكان بخطاه المحراث يفتح فيه باب وكل فرحة لم يمسها السكة تبقى غير مقدسة وتكون باناً يسوع منه الدحول . ولقد أسست رومية بحسب هذه المراسيم الدينية وكانت تسمى رومية المربعة ويقولون ان مؤسسها قبل احاء عقابا له عن تجاوزها السور المقدس الذي حطه تم جرى الاصطلاح ان تخطط اسوار المستعمرات والمعسكرات الرومانية بل وحدود المساكن بحسب هذه القواعد الدينية ونخطوط اصص عندسيه . وكان دين الرومانيين من اصل اتروسكي فقلوه الى ارجاء العالم القديم بأسره ولذلك حق لآباء الكنيسة ان تسمي بلاد الاتروسكيين « ام الحرافات »

اللاتينيون — رل اللاتينيون في بلاد الآكام والسحاب الواقعة جنوبي نهر النيبير وهي يطلق عليها اليوم اسم برية رومية وكانوا قليلاً عددهم ولم تكن مساحة البقعة التي يسكنونها اكثر من ٢٧٠ كيلومتراً مربعاً وكانوا من عنصر واحد كسائر الطليان يشبهوهم باللغة والدين والاحلاق ولكنهم يفوقونهم في التمدن بعض الشيء يررعون الارض وينوبون عن السامح والبارح فقال السامح ما ولاك ميامه والبارح ما ولاك مياسره وقال ابو عمرو الشيباني : ما جاء عن يمينك الى يسارك وهو اذا ولاك جانبه الايسر وهو انيسه فهو سامح وما جاء عن يسارك الى يمينك ولاك جانبه الايمن وهو وحشيه فهو بارح قال ابن بري العرب تختلف في العيافة يعني في التيمن بالسامح والتساؤم بالبارح فاهل نجد يتيمنون بالسامح (المترجم)

المدن الحصينة وينقسمون الى شعوب صغيرة مستقلة ولكل شعب ارضه الخاصة به ومدينته وحكومته وتدعى تلك المملكة الصغيرة مدينة .

واقدمت ثلاثون مدينة لاتينية فالقت منها مجتمعاً دينياً يتبعه مجتمع الاممكتيون اليوناني واخذوا كل عام يحتفلون احتفالاً عاماً بعيد لهم ولندب كل مدينة عنها من يمتلئها في مدينة الب فيذبحون نورا صحية للرب المشترك بينهم وهو كوكب المشتري الرتيبي .

رومية الاصلية

رومية - على تحوم قطر الماسيوم من ناحية بلاد الايتروسكيين يمتد سهل ذو بطائح تحلله أكمات وتلعات هناك على صفة نهر التير أنشئت مدينة رومية مقر الشعب الروماني المنفرد في الحلاء . ولقد كانت الحميات لثبات تلك البلاد وحالتها من الكآبة والبؤس على جانب ولكن كان موقعها حميلاً ونهر التير بمثابة هوة قائمة في وجه الايتروسكيين كما كانت تلك الآكام كالحصون وبين تلك المدينة والبحر سنة اميال وهو بعد لا يكاد يحياها من سطوة قرصار البحر وبقربها قليلاً من ناول البصائع الواردة عليها . وكان مرماً اوسني عند مصب نهر التير حياً من احياء رومية كبير مثل نيرة مرماً آتية . فهو رومية كان والحالة هذه مناسباً لحال امة حريجة تجارية .

تأسيس رومية - لا نعرف من حال القرون الاولى لرومية غير اساطير . والرومانيون انفسهم لم يعرفوا عنها شيئاً مثلنا . وقد ادعوا ان رومية كانت لاول امرها مدينة صغيرة مربعة المساحة قائمة كلها على رابية « بالاتين » ويدعى مؤسسها رومولوس وهو الذي اختط سورها محرات مراعيها في تخطيطها التعائر الايتروسكية . وكان الرومانيون يحتفلون كل سنة يوم ٢١ اربل (نيسان) بعيد هذه المدينة فيطوفون حول سورها الاصلي فيدق احد الكمة مسماراً في بعض المعابد تذكراً للحفلة . وكان يُقدّر ان الاحتفال بتأسيس تلك المدينة قد وقع في سنة ٧٥٤ قبل المسيح .

أُنشئت على الروابي الاخرى قبالة جبل بالاتين عدة مدن صفرى ورلت عصابة من سكان الجبال من السابنيين في معبد الكايتول كما حلت عصابة اخرى من متشردى الايتروسكيين في جبل «ليبوس» وربما كان تمت ايضاً شعوب اخرى . وانتهت الحال بجميع اولئك الجماعات الصغيرة ان يجتمعوا في مدينة رومية الواقعة على رابية بالاتين ثم انتهي سور حديد احاط بالسبع اكمات . اما ساحة المربح حيث يقف الجيتس فكانت ممتدة الى نهر التير من الساطي والاخر من النهر خارج السور فكان الكاتول في رومية مثل الاكروبول في آثينة . ولقد قامت على هذا الصخر معابد الارباب الثلاثة حامية المدينة وهي المشتري

وجوبون ومبيرما وهنالك التلعة التي حوت حزانة الحكومة وسجلات الامة . وفي اساطيرهم انهم عثروا عند ما حفروا أسس المدينة على رأس رجل قطع حديثاً فكان هذا الرأس فألاً حسناً اولوه بان رومية سنغدو رأس العالم .

ثقلايد - بأن الملوك وانتاء الجمهورية - جاء في هذه الثقلايد انه حكم رومية ملوك مدة قرنين ونصف ولم تذكر فيها اسماؤهم وتاريخ وفياتهم بل ذكرت تراجمهم وقيل اسمهم كانوا سبعة ملوك خرج الال وهو رومولوس من مدينة آلب اللاتينية فاسأ مدينة اللاتين وقتل احاه الذي ارتكب محرماً بان قفر من فوق حديق سور المدينة ثم حالف احد ملوك السابينيين المدعو تاتيوس . وفي ثقلايد آحراه انتأ في سفح المدينة حياً محاطاً بسياج حتر اليه جميع المتشردين الذين احبوا الانضمام اليه .

اما الملك الثاني وهو نوما نومبيليوس فقد كان سامياً وهو الذي رتب الديانة الرومانية آخذاً برأي احدى الربات « ايجري » التي كانت تسكن في عانة . وكان الملك الثالث المدعو نولوس مارتوس حفيد نوما الموما اليه بنى حسراً من حشب على نهر التيبر وانتأ جسر اوستي وعليهما كانت تمر تجارة رومية منذ ذلك الحين . وكان الملوك الثلاثة الآخرون من الايتروسكيين وحدث من امر تاركين النديم ان وسع انملكة الرومانية وادخل الاحنطالات الدينية السائعة في بلاد ايتروريا والايتروسكيين . ونظم سرفيوس تويوس الميثر الروماني بان ادخل فيه جميع اهل البلاد بدون تمييز في موالدهم واعمارهم ووزعهم مئات مئات بحسب تروتهم . اما الملك الاحير المدعو تاركين الباهر فقد ظلم الاسرات الكدرى في رومية فذمر عليه بعض الاعتراف ووقفوا الى طرده .

ومذ ذاك العهد (٥١٠) لم يملك على الرومانيين ملك فكانت البلاد الرومانية او كما يقال الملك العام يحكم عليها كما كان يختاران كل سنة ويسميان « القناصل » . وليس من الممكن ان نعلم ما في هذا التقليد من الحقيقة لانه انتأ قبل ان يبدأ الرومان في وصف تاريخهم برمن طويل وفي هذا التقليد من الاساطير ما لا يسعنا قبوله برمته . وقد حاول بعضهم ان يفسر اسماؤ هؤلاء الملوك ويستدل منها بانها رمز الى جنس او الى طبقة خاصة كما حاول بعضهم ان يستي تاريخ رومية في عهده الاول على ضروب من الصور ولكن كما بذلت العناية للنظر فيه صعب الاتفاق بين المشتغلين في ذلك على تقرير امر وكثر الخلاف بينهم .

وصف ترتيبات الرومانيين على سبيل الايجاز - كان في رومية نحو القرن الخامس قبل المسيح طبقتان من الناس وهما الباترسين والبلبين (اي الاشراف والعامه) فكان

الباترسيون من اسل قدماء الأسرات المقيمة منذ القدم في البقعة الصيقة في ظاهر مدينة رومية وكان لهم وحدهم الحق ان يطهروا في مجمع الامة وان يحضروا الحفلات الدينية وان توسد اليهم الوظائف . ويعتقدون ان احداهم اسسوا المملكة الرومانية او كما كان يقال المدينة الرومانية واوصوا بها لهم فكانوا هم من تم التعب الاولي في رومية اما البلبين فهم من اسل العرباء النازلين في المدينة ولا سيما من العلوين من سكان المدن المجاورة اذ ان رومية اخضعت بالندريج جميع المدن اللاتينية وصمت سكانها اليها بالقوة فاصبحوا رعايا لرومية لكنهم ظلوا عرباء عنها يخضعون لحكومة رومية دون ان يشركوها في شيء من الامر فلا يدينون بالدين الروماني ولا يسوع لهم ان يحضروا الحفلات الدينية ولا ان يتزوجوا من الاسرات الشريفه وكانوا يدعون باللب اي الجمهور ولا ينظر اليهم بانهم حره من الشعب الروماني . وقد وُجدت في الصلوات القديمة هذه العبارة « لخير الشعب وخبير البلبين في رومية » .

وكان يجتمع اناء البلاد وعليهم اسلحتهم كل سنة خارج المدينة في ساحه المماورات (ساحة المريج) يتخبون زعيمين يطلقون عليهما لقب القضاة او القناصل . وكان هؤلاء القناصل في حلال السنة التي يتوظفون فيها يحكمون رومية ويقودون جيشها ويدهم حياة جميع افراد الامة وموتها . يرافقهم اثنا عشر رجلاً من حملة العووس اسارة لما لم من السلطة فيحمل كل منهم فأساً وحرمة قضبان لخلد المجرمين او ضرب رقابهم . فيجلس القناصل على عادة قدماء الملوك على دكة تشبه العرش وهو كرسي عال من العاج . ويستعاض في اوقات الحروب الخطرة عن القنصلين بحاكم واحد يلقون اليه رمام السلطة فيصبح الحاكم المتحكم والامر الناهي وحده ويكون في قبضته الاربعة والعشرون حلالاً ولكن سلطته لا تدوم الا ستة اشهر .

فيجمع القناصل مجلس الشيوخ وهو مؤلف من رؤساء الأسرات وكبار ارباب الاملاك للمفاوضة في المسائل المهمة ويدعى هؤلاء بالآدك ويدعى اسلمهم بالاشراف فكان مجلس الشيوخ يصدر رأيه ويطلقون عليه « رأي الشيوخ » ومن العادة ان يلتزم القناصل امتتاله فكانت من تم رومية محكوماً عليها من القناصل ومجلس الشيوخ في آن واحد .

انواع بين طبقات الشعب — كان العامة واهل الطبقة الوسطى عبارة عن شعبين متباينين سادة ورعية . ومع هذا كان حال اهل الطبقة الوسطى يشبه كثيراً حال الاشراف فهم يخدمون في الجندية مثلهم ويخدمون في الجيش على نفقتهم ويفادون بارواحهم في خدمة الشعب الروماني وهم مناهم من اهل الفلح والكرت يعيشون في قراهم واما كههم وكان كثير

من اهل هذه الطبقة المتوسطة اغنيا، ومن أسرة قديمة والفرق بين الطبقة المتوسطة وبين الاشراف ان الاول كانوا من نسل أسرة عظيمة من بعض المدن اللاتينية المعلونة على حين كان الاشراف من نسل أسرة قديمة من سكان المدينة الغالبة . ولم ترض نفوس اهل الطبقة الوسطى ان تظل ساكنة على ما قضى به عليها من المهانة بل تاريتهم وبين الاشراف نزاع دام قرنين (من نحو ٢٩٣ الى نحو سنة ٥٠٠) واليك كيف بدأ ذلك على نحو ما ورد في اساطيرهم .

رأى اهل الطبقة المتوسطة ذات يوم انفسهم مهانة فانتصموا في جبل هناك وعليهم اسلحتهم وعزموا ان يناوئوا الشعب الروماني فمال عزمهم جماعة الاشراف فبعثوا اليهم بالقائد مينيوس اعربيا ليقص عليهم قصة الاعضاء والمعدة فرضيت الطبقة الوسطى بالدخول في الطاعة وعقدت محادثة مع الشعب فمنح رؤساء هذه الطبقة الحق في ان يمدوا يد المساعدة لاهل الطبقة الوسطى للاخذ بايديهم من حيث يحكم الامة ولأجل ان يحولوا دون قيام امر يحالف رعائهم . وقد كان يكفي ان يلمظ احدهم قوله « فتو » اي اني اعارض فيتوقف البت في الامر . وقد كان الدين يحظر الانتقاص على المدافع عن حقوق الشعب ومن فعل ذلك استحق العقاب من ارباب الجحيم .

فظل ارباب الطبقة الوسطى آخذين انفسهم بجاهدة حصومهم من اهل الطبقة العالية واد كانوا اعز منهم نفراً واكثر عني وأيداً انتهت بهم الحال ان ظفروا بهم فتوصلوا اولاً الى وضع قوانين عامة للجميع وان يسمح بالرواح بين اهل الطبقة العالية والطبقة الوسطى وكان اصعب ما في هذا التعبير روع الاستئثار بسلطة الحكم او الذهاب بفضل الشرف وقد كان الدين يأمره يجب قبل ان يعين رجل حاكماً ان يطلب من الارباب فيما اذا كانت توافق على انتخابه ام لا . فيسألون الارباب عن رأيها في ذلك بزجر الطيور ويسمونه احذ الفأل . يد ان الديانة الرومانية القديمة لم تكن تسمح باخذ الفأل الا على اسم رجل من اهل الطبقة العليا وما كان يحظر في نال القوم بان الارباب يقبلون بحاكم من اهل الطبقة الوسطى . وكان ثمة اسر كبرى من الطبقة الوسطى تحرص على ان تصبح مساوية لاسر الاشراف في تولي المناصب كما كانت تساويها في العنى والمكانة فاضطرا اهل الطبقة الاولى الى ان تتخ لها جميع المناصب شيئاً فشيئاً وبدؤا يدخلون في مجلس القناصل سنة ٣٦٦ وفي مجلس الحكم ٣٥٥ والقضاة سنة ٣٣٧ والمراقبة سنة ٣٣١ وزعامة الدين الكبرى سنة ٣٢٢ ومن داك العهد امتزج الاشراف اهل الطبقة العليا باهل الطبقة الوسطى واصبحوا شعباً واحداً .

الديانة

ارباب الرومان — اعتنق الرومان كاعتقاد اليونان بان كل ما يحدث في هذا العالم

هو مما قضت به ارادة خالق ولكنهم لم يعتقدوا بالله واحديدر العالم بل قالوا بتمدد الارباب
تعدد المطادر المختلفة التي تثجلى فيها اوامرهم ونواهيهم . فهناك رب ينبت البذر وآخر يحمي
حدود الحقول وتالت يحرس التمار . ولكل رب اسمه وجنسه وعمله . واهم الارباب «المتتري»
رب السماء و «جانوس» ذو الرأسين و «المريخ» رب الحرب و «عطارد» رب التجارة
و «فولكان» رب النار و «نبتون» رب البحر و «سريس» ربة الحصاد والارض والقمر
و «جونون» و «منيرفا» .

تم يحمي الارباب من الدرجة الثانية فكانت تثجسد في بعض تلك الارباب صفة من
الصفات كالمناء والاتحاد والراحة والسلام ويشرف بمصها على عمل من اعمال الحياة فعند
ما يولد المولود يأتيه رب يعلمه الذئق و ربة تعلمه الشرب و اخرى تقوى عظامه ورباب
يرافقانه الى المدرسة و آخران يرجعان به وبالجملة فانهم كانوا يعتقدون بوجود جيش من
الارباب من الدرجة الثانية . ويعتقدون بان هناك ارباباً تحمي مدينة وحارة وجبالاً
وعانة . ولكل نهر ولكل نبع ولكل شجرة رب خاص بها حتى لقد قالت امرأة صالحة في
احدى القصص من تأليف ترون الكاتب اللاتيني « ان بلادنا عاصة بالارباب بحيث
يسهل عليك ان تلقى فيها رباً من ان تصادف رحلاً » .

ولم يمثل الرومانيون كليونان اربابهم على صورة مخصوصة فقد مضى زمن طويل ولم
يكن في رومية صنم فكانوا يعبدون «المتتري» في صورة حجر و «مارس» على صورة سيف .
ولم يعتقدوا الا مؤخرًا باتحاد الاصنام من الخشب على مثال اصنام الايتروسكيين واصنام
الرحام على مثال اصنام اليونان ولم يتصوروا على العكس في اليونان ان بين الارباب صهراً
واسباً ولا عروا اليهم قصصاً كما يفعل اليونان مع اربابهم ولا يعرفون لهم جنة يعقدون فيها
مجالسهم . وكان في اللغة اللاتينية لفظة مشهورة للتعبير عن الارباب وهي «التجليات»
فكانوا يعتقدون انها تجليات قوة الالهية مجبولة . ولذلك لم يصورهم الرومان في صورة من
الصور ولا نسبوا اليهم رحماً ولا صهراً ولا تاريخاً وكل ما كانت تعرف عن الارباب
الرومانيين هو ان كل واحد منها يسيطر على قوة من قوى الطبيعة ويستطيع ان يعمل للناس
الخير والشر على ما يحب ويهوى .

العبادة — قلما يحب الروماني اولئك الارباب المجهولين الصغر الباردين . والظاهر
انه كان يخاف منهم فيخباً وحيه عند ما يتوسل اليهم وربما اتى ذلك لثلا يقع بصره عليهم
ولكنه يذهب الى ان الارباب قادرون وان من يرخصهم يخدمونه . قال بلوت (الساعر
المزلي اللاتيني) ان الرجل الذي يرضي عنه الارباب يكسبونه مالاً . ويعتقد الروماني

بان الدين عبارة عن مقايضة المنافع فيقدم المرء للرب نذوره وقرايينه ويمنحه هذا بعض المنافع فاذا قدم المرء ما يجب تقديمه للرب ولم يظفر بمتمناه يعتبر نفسه قانطاً مخدوعاً . واقد قدم الشعب للارباب في خلال مرض القائد جرمانيكوس نذوراً لثمن عليه بالشفاء ولما ذاع خبر موته سخط العامة وقلت المذابح والقت في التوارع تماثيل الارباب لان هذه لم تعمل ما كان يرجى منها ان تعمل وهكذا فانا رى الفلاح الايطالي لهدنا هذا يشتم القديس الذي لم يعطه ما طلبه منه .

فالعبادة اذا عبارة عن القيام بما يرضى عنه الارباب من الاعمال والتعب بأنهم بالتار واللبن والحمر ويصحي لهم الحيوانات . وفي بعض الاوقات يخرجون تماثيل الارباب من معابدهم ويجعلونها على سرر ويولون لها وليمة ويقومون بما يقوم به الشعب في بلاد اليونان فيبنون لهم دوراً جميلة وهي المعابد ويحفظون بارانهم .

ولم يكن يكفي في تعظيم ارباب الرومانيين ان ينفق الناس مالا في سبيل اكرامهم بل كانت تنظر الى الصور التي يقوم بها ذلك الاكرام فتقضي ارادتها ان تجري جميع اعمال التعبد والمذور والالعب بما رسمته القواعد القديمة (الطقوس) فتمنى أريد تقديم صحبة لا تتري كان عليهم ان يخناروا حيواناً ايض وان يذروا على رأسه دقيقتاً ملحاً وان يصرب نفأس وان يقف المقدم لهذه الصحبة على قدميه ويده مرفوعتان الى السماء حيث يقف المشتري وان يلفظوا بحملة نقديساً لاسمه . فاذا علط المقدم بما يقول فمعنى ذلك ان الصحبة لا تساوي شيئاً ويذهب القوم الى ان الرب لا يرضى عما قدم له . ولقد قام احد الحكماء بالاعاب اكراماً للارباب الحامية لرومية فقال شيتسرون « اذا عبرت عبارة واذا وقف اللاعب بالتباب او انقطع الممثل فتكون الالعب غير موافقة للشعائر الدينية فيجب اذ ذاك اعادتها » ولذلك كان اهل الرأي من الناس يحضرون كاهنين احدهما يتلو الصلاة والاخر يناديه فيما يقول يجتمع الكهنة وهم يدعون « احوه ارفال » كل سنة في معبد بجوار رومية فبرقصون رقصاً مقدساً ويتلون الصلوات وهي مكتوبة بلغة قديمة لا يفهم منها احد شيئاً ويقضي في اوائل الصلاة ان يدفع الى كل كاهن مجموع قوانين مكتوبة في اول الجلسة . وظل الرومانيون بعد ان نسبت هذه اللغة نقرون يتلونها كل سنة دون ان يعيروا منها حرفاً . ومما يدل على ان الرومانيين كانوا يرمون الى الوقوف عند حد ما رسمه اربابهم هو انهم كانوا يقومون احسن قيام بقواعد الدين . ولذلك يرى الرومانيون انفسهم من اكثر البشر تديناً . قال شيتسرون « اننا احط من جميع الامم او مساوون لهم من كل وجه ولكننا نفوقهم من كل وجه في امور الدين اي بعبادة الارباب » .

الصلاة — اذا صلى الروماني فليست صلاته لتزكية نفسه ومناجاة ربه بل ليطلب منه معونة ويسأله حاجة له . فمن ثم تراه يبحث قبل كل شيء عن الرب الذي يستطيع ان ينيله رغبته . قال فارون (الشاعر اللاتيني) : « يلزمنا ان نعرف اي الارباب يتيسر له ان يعيننا في احوال مختلفة كما نعرف اين يقوم النجار والحزاز » وهكذا نصت الحال بان يعمد الى سيريس للحصول على زروع حيدة والى عطارد لاكتساب المال والى نبتون للمعونة على ركوب البحار . فيلبس المسنعت البسة نظيفة لما وقر في الادهان من ان الارباب يرغبون في النظافة . ويقدم بين يدي نجواه صحية لان الارباب لا يحبون من يحيي وايديه فارعة ويقف المسنعت وقد كشف رأسه فينادي الرب الا انه لا يعرف اسم الرب الذي يناديه ويقول الرومانيون انه ما من احد يعرف اسماء الارباب الحقيقية . بل يكتبي بار يقول له متلاً : « ايها المشتري الاعظم الرحيم او ناي الاسماء تحب ان تدعى بها » تم يعرض عليه ما يريد عرضه متوقفاً استعمال حمل صريحة كل الصراحة حتى لا يحدع الرب فاداً قدم له حمر يقال له : « تقبل طاعة هذا الجمر الذي أهرقه » لانه يسهل على الرب الاعتقاد بانه يقدم له حمر آخر غير الذي قدم له وان يعاقب به . ولذلك كانت صلواتهم مطولة كثيرة الحشو مملوءة بالترادفات .

الفأل — يعتقد الرومان كاليونان بالفأل فيذهبون الى ان الارباب يعرفون المستقبل ويرسلون للناس آيات يدركونها فيستنصيح الروماني الارباب قبل ان يتسرع في عمل فاداً ما ازمع القائد فيهم ان يهجم على عدوه يبحث في احتشاء الموتى والحال كما قبل ان يجمع لديه مجلساً ينظر الى الطيور السائرة (وهذا ما يدعونه اخذ الطالع والفأل) فاداً كان فيها اشارة موافقة يدركون بان الارباب استجبت . استروع والاشعناهم اهم غير راصين عنه . وكثيراً ما يرسل الارباب الآيات من قبله ومن دون ان يسئلوا ارسالها . وكل ظاهرة لم تكن متوقعة تُعدُّ فالاً على حادثة غير منظر . فقد ظهرت نعمة مذبذبة قبل موت قيصر فذهب القوم الى انها اشارة الى نعيه واذا ارعدت السماء عند ما كانت الامة تجتمع للمفاوضة في امر فمعنى ذلك ان كوكب المشتري لا يجب ان يبتوا امراً ذلك اليوم ولذلك يفضون كل حادثة طفيف ويؤلولونه بانه رمز الى امر يقع . فاذا ابرق الدرق او سمعت كلمة من متكلم او وقف جرد في الطريق او شوهده عراف فكل ذلك يأخذون منه العبر حتى ان مارسوس كان اذا عزم على البداءة بعمل امر بان يحمل في محفة مغلقة ليكون على ثقة من انه لا يرى شيئاً بنفاهل به .

وما كان ذلك مجرد خرافات للعامة بل كان للجمهورية الرومانية ستة طوابع لتنبأها

بالمستقبل فكان لها كتاب للنبوءات تبالغ في العناية به دعته كتاب « سيبيلين » وكان لها فراخ مقدسة يقوم على تربيتها الكهنة وما كان يجري عمل عام ولا تلتئم جمعية ولا يشرع بانتخاب ومفاوضة بدون ان يعتمدوا الى اخذ الطالع اي انهم يظنون الى السارح والبارح . وقد شاع سنة ١٩٥ ان الصاعقة انقضت على معبد للتشيري وانه نبتت شجرة على رأس تمثال هر كول فكتب احد الولاة بانه ولدت فرحة ذات ثلاث ارجل فاجتمع مجلس الامة للمفاوضة في هذه الفؤل .

الكهنة — لا يقوم الكاهن في رومية بما يقوم به في بلاد اليونان من الاعمال الروحية بل كان ينقطع فقط لخدمة الرب فيلاحظ معبده ويدير شؤون املاكه ويقوم بالاحتفالات لاكرامه وهكذا كانت جمعية السالين (الرقاصين) تحفظ تترس سقط عليها من السماء كما زعموا وكان يعبد كما يعبد الصم وكانت نقيم تلك الجمعية كل سنة حفلة رقص بالسيوف وهذا ما كان يتوفر عليه اعضاء تلك الجمعية . والاحبار يراقبون الحفلات الدينية فيصمون نقوياً للسنين ويحددون اوقات الاعياد التي يجب الاحتفال بها في ايام مخصوصة من السنة ورئيسهم هو الخبر الاعظم .

وما كان الكهنة ولا العرافون ولا الاحبار يؤلفون طبقة خاصة بهم بل يجري اختيارهم من كبار الرجال ويبقون على القيام بجميع وظائف الحكومة فمنهم من يتولى القضاء ومنهم رئاسة الجمعيات ومنهم قيادة الجيوش . ولذلك لم يتألف من الكهنة الرومانيين على قوتهم كما تألف من الكهنة المصريين طبقة كهنوتية فقد كان لحكومة رومية دين خاص بها ولم يكن للكهنة حق الحكم فيها .

عبادة الموتى — اعتقد الرومانيون كما اعتقد الهنود واليونان بان الروح تبقى بعد موت الجسد فان عنوا بدفن الجثة بحسب العادات فقد اعتقدوا بان الروح تذهب لتحيات تحت الارض وتصبح ربة والا فالروح ليس في استطاعتها الدحول الى عالم الاموات بل كانت تعود الى الارض تدخل الرعب على قلوب الاحياء وتعذبهم ليدفنوها . حكى بلين لجون قصة شيخ كان يختلف الى احد البيوت ويهلك سكانه هلعاً فاكتشف احد الفلاسفة ممن كان له قوة قلب تمكنه من اقتفاء اثره الى المكان الذي وقف فيه ذاك الطيف — عظاماً لم تدفن بحسب العادات المتبعة . وهكذا كانت روح الامبراطور كاليجولا تطوف في حدائق القصر فاقتضى اخراج جثته ودفنه ثانية على ما رسمته الشعائر الدينية .

فمن ثم كان مما بهم الاحياء والاموات على السواء المحافظة على العادات الدينية فكانت أسرة الميت تنصب كومة حطب يحرقون فيها الحسد ويحملون الرماد في صندوق يضعونه

في القبر . وكان لهم معبد صغير خاص بدفن ارواح الارباب اي الارواح التي اصبحت ارباباً فيأقي اهل الميت في اوقات معينة الى زيارة القبر حاملين طعاماً . لا جرم اهم اعتقدوا قديماً ان الروح محتاجة الى الغذاء لان القوم كانوا يهرقون الحجر والابن على الارض ويحرقون لحم المنكوبين ويتركون في الاواني لبناً وحلاوى . وكانت هذه الاحتفالات بالموتى تدوم ما شاء الله ان تدوم وما كان لاهل بيت ان يتخلوا عن ارواح اجدادهم بل يطلعون على العناية بقبورهم ويأتونهم بالغذاء لاطعامهم . ثم ان تلك الارواح التي نتأله او تصيح في عداد الارباب تحب ذريتها وتحمي احفادها من البوائق وهكذا كان لكل أسرة ارباب يحمونها يدعونها آلهة البيت .

عبادة البيت - اعتقد الرومان كاعتقاد اليهود بان الالهيب رب كما ان البيت مذبح فكان لكل أسرة بيت تعبدونه وتقوم على العناية به ليل نهار تحمل اليه الريت والتحم والحمر والخمر ويتصاعد اللهب ويستطعم كأنه منبئت من العنحية . فكان الروماني قبل ان يبدأ بتقديم الطعام للميت يشكر لرب البيت ويدفع اليه جزءاً من الاطعمة ويصب له قليلاً من الحمر وهذا ما يدعونه بالصب والاهراق حتى ان هوراس نفسه على قلة اعتقاده كان يتعشى امام بيته مع خدمته ويصب الطعام ويصلي الصلاة المعتادة

وكان لكل أسرة رومانية في بيتها قبر جعل فيه ارباب البيت وارواح الاجداد ومذبح البيت . وكان لمدينة رومية نفسها بيت مقدس في قبر الالهة فستا وهي عبارة عن اربع عذارى من اعظم الاسرات الرومانية عهد اليهن حراسته وذلك لانهم يرون ان لا ينطوي الالهيب المقدس مطلقاً ولا يعهد بالقيام عليه الا لآناس من الاطهار فاذا ابت احدى تلك العذارى ان تقوم بما فرض عليها التور عليه من هذه الخدمة يدفنونها حية في قبور لاهلها ارتكبت عملاً طالحاً واوقعت الشعب الروماني في خطر .

الجيش الروماني

الخدمة العسكرية - لم يكن يكفي لقبول الرجل في خدمة الجيش الروماني ان يكون وطنياً رومانياً بل يجب ان يكون له بعض الموارد ليجهز نفسه بالسلاح على نفقته لان الحكومة لم تكن تعطي الجندي سلاحاً حتى اسها لم تكن تعطيه جرامة بأكلها الى سنة ٤٠٢ وعلى هذا لم يكن يجند من الوطنيين الا من كانوا يملكون بعض ثروة اما الفقراء فكانوا يعفون من الخدمة العسكرية وبعبارة ثانية ليس لهم الحق في خدمتها ويحق كل وطني له بعض الغنى ان يقبل في الجيش بعد ان يكون الى بلاء حسناً في عشرين حملة واذا لم يقم بذلك فهو تبع للقائد اي منذ سن السابعة عشرة الى السادسة والاربعين فكل فرد في

رومية كما في المدن اليونانية وطي وحندي في آن واحد والرومان امة مؤلفة من صغار ارباب الاملاك المدربين على القتال .

التجنيد — متى احتاحت الحكومة الى جند يصدر القنصل امره الى جميع الوطنيين اللائقين للخدمة بان يحتمعوا في معبد الكابتول وهناك يلتئم ضباط تحتارهم الامة وهم يختارون من ينمي لهم من الجند لتأليف جيش وهذا هو التجنيد عند الرومانيين ويسمونه الاختيار . تم يجري التحنيف العسكري فيبدأ الضباط اولاً يقسمون اليمن المألوفة تم الحد وكلهم يقسمون على الطاعة للقائد وان يقاتلوا دون اعلامهم حتى يكوئوا في حل من ايمانهم في نظره . فينلورحل عبارة وينقدم كل فرد في نوبته فيقول « وانا ايضاً » فيرتبط الجيش ادراك بالقائد ارتباطاً دينياً .

دُعي الجيش الروماني اولاً الفرقة او التجنيدة ولما نما الشعب اصبح يؤلف بدل الفرقة فرقاً والفرقة الرومانية عبارة عن ٢٠٠ او ٥٠٠ رجل كلهم من ابناء البلاد . وكان اصغر جيش على الاقل عبارة عن فرقة وكان كل جيش بقيادة قنصل عبارة عن فرقتين على الاقل . ويتألف نحو نصف الجيش من هذه الفرق وكانت على جميع شعوب ايطاليا الخاضعة لرومية ان تبعث اليها ببعوتها وبدعي هؤلاء الجمود « المحالفون » وهم تحت قيادة الضباط الرومانيين . وكست ترى المحالفين في الجيش الروماني اكثر عدداً من كتائب الوطنيين . وجرت العادة ان يبعثوا مع كل اربع فرق (١٦٨٠٠ حندي) عشرين الف راجل من المحالفين وهكذا كان الشعب الروماني في حروبه يستخدم رعاياه اكثر من مواطنيه .

التسلح — اعتاد الرومان كاليونان ان يحاربوا مترجلين متدرعين بالدروع والحوذ والمسامي (الطماقات) قابضين بايديهم اليسرى على ترسة ليدفعوا بها الصربات . مضي عليهم زمن وهم يقاتلون ، لرمح والسيف فكانوا اذا تلاقوا بالعدو يجتمعون ككتيبة واحدة على نحو ما كانت تجتمع الكتائب الرومية تم عمدوا الى استعمال ضرب آخر من ضروب الكر والفر . ونقسم الفرقة الى سرايا صغيرة كل سرية مؤلفة من ١٢٠ جندياً « مانيبول » اي الفرقة لان علمهم عبارة عن حزمة من الحشيش فنصطف كل فرقة على شكل رقعة التطرنج على ثلاث خطوط وكل فرقة منفصلة عن جارتها بحيث يكون المجال امامها متسعاً للعمل على حداثها فيضرب جنود فرق الصفوف الاولى بحراهم ويضعون سيوفهم في ايديهم ويبدؤون بالقتال . فاذا اندحروا يتراجعون الى الفضاء الذي وراءهم فيزحف الصف الثاني من الفرق في نوبته الى القتال فاذا ما دُحر ينكفي راجعاً نحو الخط الثالث . وهذه الفرق

هي حيرة رجال الجيش يحملون الرماح وهم واسطة لقيادة احوالهم الآخرين لقتال الاعداء بهم .

وبعد فان الجيش الروماني لا يتألف جملة واحدة للقتال في آن واحد بل ان القائد يعي حنده مراعيًا حالة الارض التي يتخذها ساحة لقراع الاعداء . ولما التقى كتائب جنود الرومانيين وفرق المكذونيين في جبال سينوسيفال في تساليا للمرة الاولى وهما اشهر ما عهد من الحيوش في العهد القديم كان ميدان القتال عبارة عن أكتات وتلعات فلم يكن في امكان الستة عشر الف محارب من المكذونيين ان يطلوا متماسكين متجمعين بل كانت صفوفهم ذات فروج فرحت الفرق الرومانية ودخلت الفضاء الذي كان يتخلل صفوفهم ومزقت شملهم كل عرق .

التمرينات -- لم يكن لرومية محال للالعاب الرياضية فكان الجنود يقرنون في ساحة المناورات اي في ساحة المربخ من الضفة الثانية من نهر التير وهناك كانت الشاب يسير ويعدو ويقفز وعليه العدة الكاملة من السلاح يلعب بسيفه ويصرب بحرته ويستعمل معوله فاذا ما علاه الغبار والعرق يجتاز نهر التير عائماً . وكثيراً ما كان الرجال المدربون بل والقواد يشاركون الجنود في تمريناتهم اذ كان من دأب الروماني ان لا ينقطع عن التمرين حتى كانت القاعدة المتبعة اذ كان ان لا يترك الجنود حتى في الحرب بلا عمل فيمرنون مرة في اليوم على الاقل ويستغلونهم باشاء الطرق والحسور والمجاري ادا لم يكن امامهم عدو يقاتلونه ولا متاريس يقيمونها .

المعسكر - يحمل الجندي الروماني حملاً ثقيلاً مؤلفاً من سلاح واوان واظمة تكفيه اياماً وتند ويبلغ وزن مجموعها ستين رطلاً رومانياً واذا تلاقى الجيش بجيش العدو سهل عليه الحرب بسرعة اذ لا يكون له من الاثقال ما يشغله .

وكل مرة كان يرصد الجيش الروماني الوقوف لمعسكر يحيط المساح انطاقاً مربعاً ويحفر الخندق في محيط ذلك النطاق هوة عميقة ويقون التراب من ناحيتهم في الداخل يكون مخدراً يضررون فيه اوتاداً وهكذا يكون المعسكر محمياً بنطاق من اوتاد وارض ذات وهاد وفي داخل هذه القلعة الموقنة يصرب الجنود حياتهم ويجعلون مرادق القائد في الوسط ويبقى العميون والحراس طول الليل يحرسون المعسكر وهكذا يكون الجيش في مأمن من كل عدو مفاجيء .

تعليم الجنود -- يعلم الجيش الروماني تعليماً قاسياً فيحق للقائد ان يبيت حنده او يبق عليهم والجندي الذي يترك محله او يركن الى الفرار في الزحف يحكم عليه بالموت

فربطه حملة القوس بعمود ويضربونه بالعصي ويقطعون رأسه او يقع عليه الجند فيضربونه بالعصي .

واذا تمردت كتيبة من الجيش يقسم القائد المجرمين الى عصابات كل عصابة مؤلفة من عشرة اشخاص يقتلعون في كل عصابة على واحد يكون نصيبه الاعداء ويسمون هذا التعشير اي احد واحد من عشرة اما الباقيون فيقتضون عليهم ان يعطوا حيز شعير ويتركونهم يعسكرون خارج المعسكر ليكونوا اعداء على حذر من مفاجأة العدو لهم .

لا يقبل الرومانيون ان يغلب جندهم ولا ان يؤسروا فقد سلم من القتل ثلاثة آلاف جندي بعد وقعة « كان » وراحوا يهيمون على وجوههم الا ان مجلس الشيوخ ارسلهم يخدمون في صقلية بدون جرات ولا القاب شرف ربما يخرج العدو من ايطاليا وبقي ثمانية آلاف جندي في المعسكر فقبض عليهم وقد عرض هانيبال ان يعيدهم الى الحكومة لقاء فدية طفيمة تدفعها عنهم فابى مجلس الشيوخ ان يفتديهم .

الغلبة — متى كتب الظفر لاحد القواد يصدر مجلس الشيوخ امره اليه بان يحتفل بما تم له من الغلبة دليلاً على تشريفه فيحتفل بذلك احتفالاً دينياً في معبد المشتري فيسير في المقدمة الحكام والشيوخ ثم تأتي العجلات مملوءة بالعنائم والاسرى مقيدين من ارجلهم وفي المؤخرة عجلة مذهبة تجرها اربعة حياد يأتي القائد الغازي متوجاً بالعار وجنده يتبعونه مترنمين بادوار دينية يرددون فيها اسم الظفر فيجتاز هذا الموكب المدينة بهذا الاحتفال ويطلع الى معبد الكابتول وهناك يضع الغازي اغصان اعار على ارجل المشتري ويحمده على انه كان سبباً في نصرته وعند انتهاء الحفلة تضرب اعناق الاسرى كما فعلوا مع الزعيم الغالي فرسنتور كس او ان يلقوا الاسير في مطبق (حبس مظلم) يموت جوعاً كما فعلوا مع جو كورتا ملك فوميديا او انهم يكتفون بان يسجنوا الاسير . وقد دام ظفر بولس اميل الذي تغلب على ملك مكدونية (١٦٧) ثلاثة ايام مرت في اليوم الاول ٢٥٠ مركبة تحمل لوحات وشمائل وفي الثاني ما عظمه من الاسلحة و٧٥ برميلاً من المال وفي اليوم الثالث ١٢٠ تورا من تيران الضحايا والملك يرسي في المؤخرة لابساً السواد يحف به حاصته مقيدين وثلاثة اولاد له مدوا ايديهم للامة يضرعون اليها واخذوا يحركون شفقتها .

فتح ايطاليا — كان في رومية معبد خاص بالرب جانوس تبقى ابوابه مفتحة مادام الشعب الروماني في الحرب . ولم يغلق هذا المعبد الا مرة واحدة دامت بضع سنين في خلال خمسمائة سنة التي طال فيها عمر الجمهورية الرومانية وعليه فان رومية عاشت في حرب دائمة

واذ كان جيشها اقوى جيش في عصره انتهت بها الحال ان تغلب على جميع الشعوب الاخرى وان تفتح العالم القديم .

فبدأت باخضاع جيرانها أولاً فاخضعت اللاتينيين أولاً ثم الشعوب الاخرى النازلة في الجنوب مثل الفولسكيين والايكيين والمريكيين ثم الالبتروسكيين والسامنتيين ثم المدن اليونانية . وكان هذا الفتح من اشق الفتوح وابطئه : بدأ على عهد الملوك ولم ينته الا في سنة ٢٦٦ اي بعد اربعة قرون (١) وذلك لانه كان على الرومانيين ان يقاتلوا شعوباً هم واياهم من عنصر واحد وهم على شاكلتهم في القوة والمجدة والشجاعة . ومن هذه الشعوب من ابى ابائهم ان تخضع للرومان فما كان من رومية الا ان ابادتهم فاصبحت سهول فولسكا الغنية فقراً اذا بطائح ومستنقعات ولم تعد بطائح بونتين صالحة للسكنى حتى يوم الناس هذا وقد كانت بلاد السامنتيين تعرف بعد ثلثائة سنة من الحرب التي وقعت فيها بما بقي فيها من بقايا المتاريس اكثر مما تعرف بحلوجوارها من السكان وكان فيها ٤٥ معسكراً الامبراطور دسيوس و٨٦ للقائد فايوس .

الطرق العسكرية — اقام الرومانيون في جميع ايطاليا طرقاً عسكرية لينتسنى لهم ان يبعثوا بالبعوت الى القاصية وكانت هذه الطرق عبارة عن طرق مستقيمة مرصوفة بالحجر والحجر والرمل وبلغ من متانتها انها صبرت على الايام خلال ذاك العهد برمته . وقد اكثر الرومان منها في عامة بلاد ايطاليا فليس فيها بقعة لا ترى فيها الى اليوم اثرًا من آثار تلك الطرق الحربية وكانوا يسمونها باسم الوالي الذي امر ببنائها واهم هذه الطرق طريق ابن الممتد الى الجنوب الى بطائح بونتين حتى ترانتا وبرندس ثم طريق فلانين الذي يحتار طريق انين ويصل الى بحر الادرياتيک وطريق اورلين الذي يقطع اقليم طوسكانيا آخذاً الى الشمال على طول الشاطئ حتى بلاد الغال ثم طريق الملين الممتد من بحر الادرياتيک محتازاً جميع سهل « يو »

فتح حوض البحر المتوسط

صبغة الدياسة الرومانية — لم يحظر للرومان ان يفتحوا العالم أولاً حتى انهم تمهلوا بعد ان بسطوا حكمهم على ايطاليا وقرطاجنة مدة مئة سنة قبل ان يخضعوا الشرق الى سلطانهم (١) لم يكن للرومانيين من احبار جميع هذه الحروب في ايطاليا سوى اساطير لفق اكثرها ليكون منها دليل على رجولية بعض اجداد احدى الاسر الشريفة

والظاهر انهم فتحوا فتوحاتهم دون ان يحتطوا لها حطة من قبل لان . مصلحتهم كلهم كانت بان يفتحوا الفتوح ويدوحوا الممالك .

فكان يرى الحكام وهم قواد الحيوتس من الفتوحات فرصة لنيل علائم التشريف بالظفر الذي يكتب لهم ويكونون على ثقة من الاستتار بين أمتهم والتأثير فيها . وكان أعظم رجال الحكومة في رومية مثل بابيريوس وفابيوس وسيبيون الاول والثاني وكانوا من القواد الذين فتحوا الفتوح وكتب الظفر لاعلامهم . ويرجع الاشراف الذين يتألف منهم مجلس الشيوخ ادا كثر سواد رعايا رومية فيذهبون كما يذهب الحكام لقبول احتراماتهم وهداياهم . اما الفرسان أي الصيارف والتجار ، ارباب المتاريع فان كل فتح حديث كان لهم بمثابة مشروع حديد يستثمرونه

والامة نفسها تستفيع من الغنائم التي تؤخذ من العدو . وقد رفعت الصرائف بصورة دائمية بعد ان دخلت حرانة الدولة الرومانية كنوز ملك مكدونية . اما الجنود فكانوا يقبضون رواتب عالية من قوادهم وقد أخذوا يحاربون البلاد الغنية دع عنك ما كانوا يمدون اليه ايديهم من مال المملوكين . وعلى هذا فقد فتح الرومان العالم للفوائد المادية اكثر من المجد

قرطاجنة — لما امتد سلطان رومية الى جزيرة صقلية حملت علي قرطاجنة وعندئذ بدأت الحروب الفينيقية فحدثت ثلاث حروب فكانت الحرب الاولى من سنة ٢٦٤ — ٢٤١ حرباً بحرية ولا يعرف عنها شيئاً الا ما روته الاساطير بعد زمن من حدوثها . فذكروا ان الرومانيين لم يملكوا سفناً بحرية قط واهم جعلوا سفنهم على مثال سفينة قرطاجنة وقامت بالعرض في الساطي فأخذوا يبرنون بمجذفيهم على استعمال المجاذيف على اليابسة . وهذه القصة لا اساس لها لان بحرية رومية قديمة اما الرومان فقد نقلوا احبار هذه الحرب كما يلي . غلب القنصل دويليوس الاسطول القرطاجي في ميلي (٢٦٠) وكان رل الى افريقية من البحر جيش روماني على عهد الحاكم رجولوس فعلم وتمزق شذر مذر (٢٥٥) واسر رجولوس وأرسل الى رومية ليعقد الصلح وقرر مجلس الشيوخ ابقاء الصلح فرجع هذا الى قرطاجنة حيث قصى نجه في العذاب . تم حي وطيئ الحرب في صقلية فكتبت العلبة للاسطول القرطاجي اولاً (٢٤٩) تم دمر بالقرب من جزائر ايعات (٢٤١) وبعد ذلك حوصرها مليكار في جبل اركيس فوقع على الصلح ودخلت صقلية في حوزة رومية

ونتبت الحرب الثانية (من سنة ٢١٨ الى ٢٠١) وكان قائدها هانيبال من نسل الاسرة القرطاجنية صاحبة الحول والسطوة في بادكاس وكان قاداؤه هامليكار الى صقلية جيشاً قرطاجنياً في الحرب الفينيقية الاولى تم عهد اليه ان يفتح اسبانيا وكان هانيبال اذ ذاك طفلاً

فصحبه ابوه . وكانت العادة ان تقدم الضحايا للارباب عند ما يعادر الجيش البلاد ويقال ان هامليكارد بعد تقديم الضحايا حلف ابنه ان يكون ابداً عدواً ازرق للرومان ربي هانيبال وسط الجند فأصبح احسن قائد وامهر راجل في حرب . ولم يكن يعرف من الحياة الا انه محارب وكانت عنايته منصرفة الى تعهد حصانه وأسلحته واشتهر أمره كثيراً حتى اذا هلك القائد اسدرو بال الذي كان يقود الجيش الاسباني اتجبهوه قائداً عليهم دون ان ينظروا أوامر مجلس الاعيان القرطاجي في ذلك . وهكذا أصبح هانيبال سيئ الحادية والعشرين من عمره قائد جيش لا يطاع أحد سواه فدخل عمار الحرب على الرعم من مجلس التسيوخ في قرطاجنة وراح يحاصر ساعونت حلينة رومية فاستولى عليها وحررها وما كتب به المجد لهانيبال انه عوضاً عن ان ينظر الرومانيون جرأ على ان يقتحمهم في عقور دارهم من بلاد ايطاليا ولم يكن له اسطول يحمله وحيشه اليهم فعزم على اجتيار البلاد اليهم برأ فقطع جبال البيرنيه ونهر الرون وجبال الالب ومن لنفسه مخالفة الشعب العالية وقطع جبال البيرنيه دون أن يلقى فيها مقاومة في حيشه مؤلف من ستين ألف مقاتل من الخنود المستأجرة من الافريقيين والاسبانيين ومعه سبعة ولاتون فيلاً مدربة على الحرب وقد طمع بعض الشعب العالي ان يحولوا بينه وبين المسير في نهر الرون فأرسل هو فرقة من جيشه تقطع النهر على مسافة بضعة أميال من اعلاه وتهاجم العاليين من ورائهم على حين يجتاز معظم جيشه النهر على زوارق وتجرف الفيلة على ارمات كبيرة . ثم صعد وادي ايزر وانتهى الى جبال الالب في أواخر شهر تشرين الاول (اكتوبر) فقطعها على ما كانت معتادة به من التلوج وعلى الرغم من غارة السكان الجبلين عايه فوقع كثير من الرجال والحيول في الهاويات . وقضى تسعة أيام لبلوغ قمة جبل الالب وصعب عليه الدورول لان المضيق الذي كان يجب عليهم السير فيه عطته التلوج والصقيع فاقتضى لجيشه ان يتخذ له طريقاً يحمره في الصخر ولم يصل الى السهل الا وقد أصبح جيشه نصف ما كان . ثم لقي هانيبال ثلاثة حيوش رومانية في مسافة متدانية على شاطئ نهر تيسين وصفة نهر تريبيا وبالقرب من بحيرة ترازيمين في انوريبا فهزمها كلها وكان كلما تقدم الى الامام يرداد جيشه وينضم المخارنون من العاليين « ايطاليا الشمالية » تحت لوائه ليخدموه وينصروه على الرومانيين

فاجتاز هانيبال ايطاليا واتخذ لزوله اقليم اوليا في الجهة الثانية لرومية فهاجمه فيها الجيش الروماني . وكان جيشه نصف جيش ولكن كان معه فرسانه الافريقيون يركبون خيولاً سريعة وقد رابط في سهل « كان » بحيث جعل الرومانيين يقابلون وجوههم الشمس والتراب الذي نيره الريح فاحاط الفرسان بالجيش الروماني احاطة الدوار بالمعصم وذبحوه

عن آخره (٢١٦) وكان يظن ان هانيبال سيزحف على رومية الا انه لم يكن على تعبئة تامة . وهكذا ظل هانيبال في ايطاليا الجنوبية تسع سنين يحاول ان يفصل عن رومية الشعوب المخالفة لها ولم ينجح الا بالاستيلاء على بضع مدن حاصرها الرومان وخربوها وبعد ذلك سافر اخوه اسدروبال في جيش اسبانيا للالتحاق به فوصل الى اوساط بلاد ايطاليا فسار الجيشان القرطاجنيان احدهما على الآخر يقابل كلاً منهما جيش روماني بقيادة احد حكام الرومان . وكان يديرون محادياً لهانيبال جحراً على قطع ايطاليا الوسطى لينضم الى رصيفه مقابل اسدروبال . ولقد سمع اسدروبال في صبيحة ذات برم الابواق تبوق مرتين في المعسكر الروماني وكان في ذلك اشارة الى انه كان في المعسكر قنصلان او حاكمان فوقع في نفسه ان احاه علب وانهرم وان الرومان يطاردونه وانه قتل وذبح جيشه عن بكرة ابيه ثم رجع يديرون الى الجيش الذي غادره امام هانيبال والتي في معسكر قرطاجنة رأس اسدروبال (٢٠٧)

فلم يبق لهانيبال غير قوته يعتصم بها واقام خمس سنين في اقليم كالابراوما كره على الخروج من ايطاليا الا لما علم بان جيشاً رومانياً كان نزل الى افريقية واحذيهدهد قرطاجنة فدبح هانيبال الجند الايطالي الذي ابي الالتحاق به وركب البحر الى افريقية (٢٠٣) وانتهت الحرب بوقعة زاما (٢٠٢) وكان هانيبال اعتمد بحسب عادته ان يسوق الجيش الروماني الى الدخول في صفوفه ولكن القائد الروماني سيبون تبت مع جيشه وما كانت الا هزيمة واحتها حتى ركب هذا اكتاف عدوه وهرم جيشه شر هزيمة .

فاضطرت قرطاجنة الى عقد الصلح ولنازات عن كل ما تملكه خارج افريقية وتركزت اسبانيا للرومانيين . واضطرت زبادة على ذلك الى تسليم سفنها وفيلتها وان تدفع مبلداً من المال يربو على خمسين مليوناً من الفرنكات وتعهدت بان لا تعان حرباً قبل الاستئذان من رومية . وكانت عاقبة الحرب الثالثة (من سنة ١٤٩ الى ١٤٦) القضاء على قرطاجنة فطال حصار الرومان كتبراً لها حتى اخذوها عنوة وجعلوا عاليها سافلها وفتحوا اقليمها واعمالها وجعلوها ولاية افريقية خاضعة للمطانهم .

مكدونية والشرق - كانت ملوك اليونان احواف قواد الاسكندر انقسموا الشرق وحارب اعظمهم سطوة مملكة رومية وغلبوا مثل ملك مكدونية فيليب سنة ١٩٧ وابنه برسي سنة ١٦٨ وملك سورية انطيوخوس سنة ١٩٠ وهكذا حلا الجو للرومانيين فاخذوا يفتحون البلاد التي يرونها ثماستهم واحدة بعد اخرى فافتحوا مكدونية سنة ١٤٨ ومملكة فرغانة (١٢٩) وبقية آسيا (من سنة ٧٤ الى ٦٤) بعد هزيمة ميتريداتس ومصر (٣٠)

وما عدا مكدونية لم يندب السرق لقنالم غير جنود مستأجرة او برابرة غير منظمين ينفرون ايدي سبا لاول صدمة يلقونها . ولم يقتل في الغلبة العظمى على انطيوخوس في مانيزيا سوى ٣٥٠ جندياً رومانياً وافتخر سيللا بانه لم يفقد من جيشه في شيروبيا سوى انبي عتس جندياً .

ودخل الرعب قلوب سائر الملوك فحضعوا لسلطان مجلس الشيوخ من دون مقاومة فان انطيوخوس العظيم ملك سورية بعد ان فتح جزءاً من ديار مصر جاءه بوبليوس مندوباً من قبل مجلس الشيوخ بأمره بالخلاء عما بسط يده عليه من البلاد فتردد انطيوخوس وكان بيد بوبليوس محزنة فاحتط بها في الارض خطوطاً حول ملك سورية وقال له : أجب مجلس الشيوخ قبل ان تخرج من هذه الدائرة التي رسمها لك . فلم يسمع انطيوخوس الا الحصوع والتي حبل مصر على عاربها . وجاءه روزباس ملك بيتينيا وقد حلق رأسه ولبس ثياب العبد المعق وركع امام مجلس الشيوخ الروماني . وحاول ميتريداتس ملك بون ان يقاوم وحده فطرد من بلاده بعد حرب خمس وعشرين سنة (٦٣ - ٨٩) واضطر الى ان يتناول السم ويقول بيدي لا بيد عمرو .

اسبانيا وغاليا الحموية - لم يستطع الرومان ان يغلبوا على الشعوب البربرية والمخار بين في الغرب بادنى سبب كما تغلبوا على غيرهم وقضوا قرناً لاحضاع اسبانيا لسلطانهم . وقد ناولتهم الحرب في جبال الريفال رحل من الرعاة اسمه فيريات (١٤٩ - ١٣٩) وهرم خمسة جيوش واكره احد قناصل الرومان على عقد الصلح معه ولم يتخلص مجلس الشيوخ من شره الا بقتله . واهلك الاريفاكيون وهم شعب صغير في الشمال الشرقي عدة جيوش رومانية واقتضى لرومية ان ترسل احد قوادها سديون للاستيلاء على عاصمة تلك البلاد وهي المدينة الصغرى المسماة نوماس . وكانت الشعوب الصغيرة الحاملة في صيتها المعصمة في جبال جين كثيراً ما ناولت الرومانيين القتال . وكان الغاليون اشد الاعداء على رومية وهم منتشرون في جميع سهل بوزيحفون على ايطاليا الجنوبية وقد استولت احدى عصاباتهم على رومية سنة ٣٩٠ فكان جندهم يدخل الذعر على قلوب الحند الروماني باح امهم الضخمة البيضاء وسبلاتهم الطويلة الشقراء وعيونهم الزرقاء واصواتهم التي تعج فيبلغ صداها عن السماء . والحواف يستولي على رومية عند ما يبلغها مجيء العسكر الغالي فيصدر مجلس الشيوخ امره بجمع عامة الجند .

وكانت هذه الحروب شديدة جداً ولكنها تضع اوزارها في الحال ففي الحرب الاولى استولى الرومان على اقليم غاليا المعروف بسيرالين اي ايطاليا الشمالية وتسببت الحرب الثانية

(١٢٠) للدفاع عن مارسيليا حليفة رومية فدمر الجيش الغالي واحضعت رومية بلاد الرون وشاطيء البحر الرومي (اقليم لانكدوك وبروفانس ودوفينه)

عواقب الفتوح

سريان الاصطلاحات اليونانية — ان الفتوح هي التي دعت الرومان الى رؤية الروم والمشاركة عن أمم فاستوطن رومية الوف من اليونان جاؤوها اسرى او للاتجار وتعاطى بعضهم الطب وآخرون التعليم وغيرهم العرافة وغيرهم التمثيل . وكان القواد والضباط والحنود الرومانيون يعيشون في آسيا وسط الشعوب التي تتكلم اليونانية فتخلقوا باحلاق باليونان وهكذا عرف الرومان عادات حديثة ومعقدات جديدة لم يكن لهم بها عهد واخذوا يعملون بها على التدرج وقد بدأ هذا التبدل بعد الحرب المكثونية الاولى (٢٠٠) ودام الى اواخر المملكة الرومانية القائدان كاتون وسبيون — بينما كانت الاحلاق تتغير استتبر احد رجالهم كاتون باحتفاظه بعادات اسلافه . ولد هذا الرجل سنة ٢٥٢ في بلدة توسكولوم وقضى شببته في الحرت والكرت وفي السابعة عشرة من سنه دخل في الجيش بحسب العادة المتبعة واشترك في عامة الحملات على هانيبال . ولم يكن من الاشراف ولكنه استتبر بقوة واستقامته وزهده وقد انتخب مرات وزيراً للمالية وناظراً للابنية والملاعب وقاضياً وقنصلاً ووكيلاً للاحصاء وتسلم مناصب الشرف عامة وكان في جميع حالاته على قدم قدماء الرومان فاسياً حاقاً بمحتسماً وقد ونج قصله عند ما كان وزيراً للمالية وكان القنصل سبيون غالب هانيبال فاجابه لست في حاجة الى ناظر مدقق مثلك الى هذا الحد . ولما عين ناظراً للابنية والملاعب في ساردينيا ابى ان يمس المال الذي دفعته اليه تلك الولاية للنفقة . ولما صار قنصلاً تكلم بشدة عن قانون اوبيا القاصي بالخطر على النساء الرومانيات بان لا يتزين بالحلي الثمينة فظفر النساء بمظلمهن وألعي ذاك القانون . ولما ذهب لقيادة الجيش الروماني في اسبانيا اتى باموال طائلة دفعها الى حراة الامبراطورية وناع حصانه عند ما ركب البحر ليقتصد من نفقات نقله ولما عين وكيلاً للاحصاء اسقط من قائمة مجلس الشيوخ عدة من الاعاظم لما عرفوا به من الترف والبذخ واحال جباية الاموال الاميرية بثمن عال وقدر حلي النساء وزينتهم وعرباتهن بعشرة اضعاف ما تساوي وبعد ان حفت له اعلام النصر لم يستنكف من الخدمة في الجيش الروماني ضابطاً بسيطاً .

صرف كاتون حياته في مناهضة الاشراف والعض من بذخهم وترفهم وتجملهم وحمل خاصة على امثال القائدين سبيون متهماً اباهم بالاختلاس الا انه لم ينج هو ايضاً من الصاق التهم به فاتهم اربعاً واربعين مرة ولكنه كان يبرأ كلما اتهم . وكان يحرق ارضه مع عبده

ويواكلهم ويضربهم بالعصي متى رآهم يجيدون عن جادة الصواب وقد ذكر في رسالته في الزراعة التي كتبها الى ابنه جميع ما كان يأتي الفلاحين الرومانيين من الايرادات ويرى ان من الواجب على المرء ان يغتنى وكان يقول : « للارملة ان تصرف من مالها وعلى الرجل ان يريد وكل من شهدت دفاتر حساباته بعد موته بأنه ربح أكثر مما ورت جدير بالتهرة وملهم من الارباب » ولما رأى ان الزراعة لا تأتيه بارباح طائلة اخذ يقرض ماله ليحضر به سفناً تجارية واتخذ له خمسين شريكاً جهروا كلهم معاً خمسين سفينة ليتقاسموا بينهم الاخطار التي تنال سفنهم والارباح التي تأتيهم بها . وعلى هذا كان كاتون زارعاً ماهراً وجندياً عظيماً عدواً للبذخ حريصاً على الكسب فهو مثال الروماني الاصيل وانموذج الفضيلة والتبات وعلى العكس منه كان القائد سبيون مثلاً للاهتمام بالفنون والافكار الفلسفية اليونانية فكان سبيون الذي استولى على قرطاجنة وبوماس يتكلم باليونانية وهو صديق المؤرخ اليوناني بوليبي الذي أمسك في رومية رهينة . ولم يكن يهتم بجمع المال وقد دفع الى شقيقاته دفعة واحدة مبلغاً من المال كان عليه ان لا يدفعه اليهن الا في اوقاف محتلمة ونازل لاختيه وكان اقل منه مالاً عن حصته في ارث ابيه ولم يخلف بعده سوى كمية قليلة جداً من الاواني الذهبية والفضية .

الاحلاق القديمة — مضى زمن طويل على قدماء الرومانيين وهم يتوفرون على زرع حقولهم وقتال عدوهم والقيام بفرائض دينهم حتى كانوا حقاً الريفيين العاملين الجفاة . فكانوا يررعون جانباً صغيراً من اقليم لاتيوم اولاسابين وهم من نسل اللاتين والايطاليين الذين تغلبت عليهم رومية . وقد صور لنا السيج كاتون في كتاب له في الزراعة شيئاً من اخلاقهم بقوله : كان اجدادنا اذا أرادوا الثناء على رجل يصفونه بأنه زارع ماهر وحرث مجيد وهذا عابة ما يمدح به انسان (١)

مكان هؤلاء الزراع أشدء في اعمالهم واهل طمع في مكاسبهم ونظم في شؤونهم واقتصاد في نفقاتهم وبذلك كانوا قوة الجيوش الرومانية . ولطالما تألف منهم مجلس الامة ايضاً وكانت لهم القوة العظمى في الانتخابات . فيجيء الاشراف الذين يطعمون في ان ينتخبوا حكماً الى ساحة السوق ليهزوا أيدي هؤلاء الفلاحين . رأى أحد المرشحين انفسهم للانتخابات يد احد الحراثين وهي شتنة عليظة فأله : هل تمشي على يدك ؟ وكان السائل من الاشراف ينتسب الى أسرة كبيرة ولكنه لم ينتخب

(١) وقد اورد ايضاً شيئاً من امثالهم القديمة منها : « ادنى الزراع من يتناع شيئاً مما تغله له ارضه » « واحط المقتصدين من يعمل في النهار ما يتأتى له ان يعمل في الليل »

سكن الرومان بيوتاً ضيقة ذات طبقة واحدة لا نظام في نائها وكان الاثر يوم أهم ناحية من الدار وفيه المكان المقدس وهو مكتوف من أعلاه يرل منه ماء المطر . والانات عبارة عن بضعة صناديق ومقاعد من الخشب . وطعامه بسيط مؤلف خاصة من حساء معمول بالبر ومن حذر وعض بقول وما كانوا يتناولون الخوم الا في الاعياد وما تترب النساء الحرقط والرجال يتناولون منه على المدره . واباسهم عبارة عن قميص يلبسون فوقه رداء من صوف زمن البرد . ويلبس الوطنيون في أيام الاعياد حلة من الصوف مريضة من جهة العنق ويلبسون في ارجلهم نعالاً مطاطة سيور . ويقصون حياتهم في الوفير على اعمالهم فالرجال يصطادون دون ان يحترتوا والنساء يغزلن الصوف وتنسجن الاقمشة ويطعن الحبوب ليحعلنها راء . ولم يكن للرومانيين من ضروب التسلية الا ان يذهبوا كل تسعة أيام الى السوق أو يحصروا الاعياد التي اقام اكراماً للارباب

كان يرى قدماء الرومان ان الرجل التسديد هو غاية ما تطمح اليه الآمال ويقال ان سيد سياتوس كان يسوق محتراته نفسه عند ما اتاه نواب الامة من قبل مجلس الشيوخ يدفعون اليه الامر بتنصيبه . ولم يكن عند فاريسيوس من الاواني غير كأس ومعلقة من فضة . وكان كور يوس واتاتوس وهو غالب السامنتيين حالساً على مقعد يأكل نقولا في قصعة من خشب عند ما اتاه منده نو السامنتيين ليقدموا اليه المال فقال لهم : اذهبوا وقلوا للسامنتيين ان كور يوس يؤثر ان يقود من عندهم ذهب أكثر مما يؤثر ان يكون هو مالكا له . هذه هي بعض الاقاصيص التي يروونها عن قواد الازمة القديمة وسواء كانت حقيقية او ملفقة فانها تدل على ما كان الرومانيون بعد يذهبون اليه بشأن قدماء احداهم

الاحلاق الجديدة - احذ كثير من الرومانيين بعد القرن الثاني ولا سيما طبقة الاشراف يقلدون الاجاب . وكان زعمائهم قواداً رأوا بلاد اليونان والشرق عن أمم فكتبت الغلبة لسبيون على ملك سورية ولفلامنيوس ونولس اميل على ملوك مكدونية ثم لوكلوس على ملك ارمينية . فعزت نفوسهم عن الحياة القاسية الصعبة التي كان عليها اجدادهم وأحدوا يسبرون في حياتهم على البذخ والرفاهية وما زال الحال كذلك حتى نسيج على منوالهم عامة النبلاء والاعنياء بحيث لم يطلع فجر القرن الاول حتى لم يعد في ايطاليا الاسادة عظام يعيشون المعيشة الشرقية او اليونانية

يرى الشرقيون من دواعي العجب ان يعرضوا للانظار الاقمشة البديعة والاحجار الكريمة واثاث الفضة وأواني الذهب وان يستكثروا في بيوتهم من الخدم على غير طائل

وان ينشروا على الشعب المجتمع دراهم ليدهشوم (١) فكانوا يرغبون في الاعلاق النفيسة النادرة أكثر من رغبتهم في النفائس الحميلة المناسبة

واصبح للرومان على شدة عجبهم وضعف استعدادهم في الصناعات ذوق في هذا الضرب من البذخ فكانوا قلما يحفلون بالجمال أو بالموافق ولم يعرفوا قط الا الأبهة والفخفة فاشتوا لهم بيوتاً ذات حدائق متسعة وحشروا اليها التماثيل واقاموا فيها المصاييف الراهية التي تمتد الى البحر وسط الحدائق المتسعة واستكثروا من الخدم والحشم وأخذوا هم ونساءهم يعتاضون عن ألبستهم المعموله من الصوف بالشفوف (رنجك - كريسة) واكسية الحرير والقصب ويفرشون في ولائهم بسطاً مطررة وأذرة من الأرجوان وأواني من ذهب وفضة (وكان عند الحاكم سيللا مئة وخمسون صحفة من الفضة وورن ما عند ماركوس وروزوس من الاواني الفضية عشرة آلاف ليرة) واد ظل العامة يأكلون قعوداً بحسب عادة الشعوب الايطالية القديمة والخاصة من الاغنياء اتبعوا العادة الشرقية في الاكل مصطحبين على سرهم ثم سرت عادة التأنق في المآكل على الاسلوب الشرقي والاستكتار في المطاعم من الابازير والصباغ (سلسا) والصيد واسمك الغريب وتناخ الطواويس والسنة الطيور واستحكم بهم السرف حتى تقدمت أحد الحكام سنة ١٥٢ وقد ذكر في وصيته قوله «للم يكن الاكرام الحقيقي عبارة عن أبهة باطلة بل هو لتذكر اقدار المتوفى وأجداده فانا أمر أولادي ان لا ينفقوا على جنازتي أكثر من مليون آس (مئة الف فرنك)»

العلوم الادبية اليونانية -- رأى الرومانيون في بلاد اليونان المصانع والتماثيل والالواح التي كانت منذ قرون تغص بها المدن وعرفوا الادباء والفلاسفة فصار لبعضهم ذوق في الصنائع النفيسة واولع آخرون بالحياة العقلية فجعل امتثال القائد سبيون حولهم اناساً من اليونان المنورين ولم تطمح نفس بولس اميل من جميع الغنائم التي عمها جيشه من مكدونية الا الى الاستيلاء على مملكة الملك رسمي وعهد بتربية اولاده الى اساتذة يونان وبذلك صارت الكتابة والتكلم باللغة اليونانية من الامور المستحسنة في رومية (٢) واراد الاشراف ان يظهروا في مظهر العارفين بالتصوير والنقش فجلبوا بالالوف التماثيل وقلد كورنت المشهور (١) تجدد مثالا من هذا الذوق الشرقي في الابهة الباطلة التي تثقل لك في حكايات الف ليلة وليلة

(٢) ولذلك كان يخاف الشيخ كاتون عادية اليونان وقد كتب لابنه ما يأتي : اقول ان ملاحظته في آثينة ان هذا الجنس من اخبت الاجناس واصعبها مراساً الا فاستمع لما اقول كما تسمع لهاتف رباني الا ان هذه الامة اليونانية كلما انتنا بصناعاتها افسدنا كلنا

وملأها بيوتهم . ودخل في ملك الحاكم فريس شيء كثير من النفائس والاعلاق جعلها في رواق وكانت مما نهبه من صقلية .

وهكذا أخذ الرومان على التدرج من الفنون ظواهرها ومن الآداب اليونانية قسورها . وسمي هذا التهذيب الجديد فن الادب معارضة للختونة التي كان عليها اهل الريف من الرومان ومع هذا لم تكن الا قسوراً فقط فلم يعرف الرومان ان الجمال والحقيقة يرغب فيهما لذاتهما بل كانت السماعات والعلوم عندهم اموراً يقصد بها الرينة والبذخ ليس الا . ولم يكن الرومان على عهد سيشرون يعتبرون من اهل الاعمال غير الجندي والحرات والسياسي والتاجر او المحامي اما الكتابة والتأليف والاشتغال بالعلم والفلسفة والنقد فكل ذلك كان يسمي عندهم بطالة . وما قط اصاب ارباب الفنون والعلماء من الاعتبار في رومية ما يساويهم بتاجر غني . قال لوسين احد كتاب اليونان : « متى صرت مثل فيدياس النقاش اليوناني تصنع الف قطعة بدیعة من النقوش لا يرغب احد ان يثقل مثالك لانك مها بلغت من الخدمة لا يطلق عليك الا لقب صانع ولست اذ ذاك غير رجل يعيش بكد يمينه »

لوكلوس — ولد لوكلوس وهو مثال الروماني الحديث سنة ١٤٥ من أسرة شريفة وعنية جداً ولدا سهل دخوله في سلك ارباب المناصب والتشرف واشتهر في عزوانه الاولى بانه يعطف على المغلوبين ويعاملهم باللطف ثم عین قنصلاً وقاد الجيش الذي انتدب لقتال ميتريدانس . وقد رأى سكان آسيا ساخطين من كثرة السرقة وفظاعة العتارين فعي بعمل حد لتلك الاعمال وحظر على حنده ان ينهبوا المدن المغلوبة وبذلك جلب لنفسه حب الآسيويين الباطل وبغض العتارين والجنود الخطر . فدست الدسائس لتستدعيه حكومته وكان قد هزم ميتريدانس واحذ يطارده وهو سائر الى حليفه ملك ارمينية وقد هزم جيشاً من البرابرة بجيشه الصغير المؤلف من عشرين الف مقاتل فسلمت منه القيادة وسلمت الى بومبي نديم العتارين وحببيهم

واذ ذاك اعتزل لوكلوس الاعمال للاستمتاع بما جمعه في آسيا من الثروة واصبح يملك في احياء رومية حدائق غلبا وله في نابولي مصيف قام في البحر مبنياً بالحجر الصلد . وفي توسكولوم قصر صيفي وفيه متحف للاعلاق والنفائس فكان يقضي الصيف في توسكولوم بين اصحابه وجماعة العلماء واهل الادب يطالع مصنفات اليونان ويبحث في الادب والفلسفة . وتروى عن بذخه حكايات كثيرة . منها انه كان ذات يوم يتغدى وحده فرأى مائدته اكثر بساطة من العادة فونج الطامي فاعتذر بقوله ان عدم وجود الضيوف هو الذي دعاه الى تقليل المآكل فاجابه لوكلوس : « اما علمت ان لوكلوس يتغدى اليوم عند لوكلوس ؟ »

ودعا يوماً قيصرو وشيشرون فقبلا دعوته على شرط ان لا يغير شيئاً من عاداته فاكتفى لوكلوس بان قال لاحد الخدمة فقط اجعل الطعام في قاعة ابولون وكانت المأدبة على غاية من التأنق بحيث عجب منها المدعوان . ولما سئل عن اخلاله بشرط الضيافة قال انه لم يأمر بشيء وان نفقات طعامه محددة بحسب القاعة التي تجعل فيها وان بسط الموائد في قاعة ابولون لا يمكن ان يكلف اقل من خمسين الف فريك

وظلّ لوكلوس في رومية ممثل الاخلاق الجديدة كما كان كاتون يمثل الاخلاق القديمة ويرى قدماء الرومان ان كاتون هو الروماني الصالح وان لوكلوس هو الروماني الفاسد ومع هذا فقد كان لوكلوس يتعد عن عادة الاجداد ولذلك كان واسع المدارك حسن التربية لطيف المأثى مفطوراً على العطف على الخدم والراعايا .

الاتقلاب الديني والعقلي

العبادات الجديدة — لم يكن بين ارباب الرومان وارباب اليونان من شبه حتى في الاسماء ومع هذا اعتقد اليونان بان معظم الارباب المعبودة في رومية كانت اربابهم احبوا ان يعترفوا بانها كذلك . والى ذلك العهد لم يكن للارباب الرومانية شكل خاص ولا تاريخ معين وهذا مادعا الى الارتباك في حالتها فجرى تمثيل كل رب روماني على صورة رب يوناني واخترعوا له تاريخاً وحكايات .

تخلطوا بين المستري اللاتيني وزيوس اليوناني وجنودون مع هيرا ومنبر فارنة الداكرة مع بالاس ربة الحكمة وديان زوجة جانوس مع ارتيمس الصيادة البديعة ومزجوا هر كول رب السواد بهيرا كليس العالب على الغيلان . وهكذا دخلت الميثولوجيا اليونانية تحت اسماء لاتينية واستحال ارباب رومية الى ارباب يونان . امتزجت الارباب بعضها ببعض حتى اعتدنا ان نطلق على الارباب اليونانية اسماء لاتينية فلا نزال نقول ارتيمس ديان وبالاس منبرفا . وبالميثولوجيا اليونانية اعتاد الرومان ان يصوروا اربابهم في تماثيل كما اقتبسوا ايضاً بعض الاحتفالات اليونانية وكانت الحكومة الرومانية ادخلت الى بلادها عبادة ابولون وبدأ بعض الافراد يعبدون باحوس رب الكرم . ويحذف من يعبدون باخوس لعبادته من الليل سرّاً ولا يطلعون احداً على حفايا العبادة الباخوسية واحذ المجلس يحقق فرأى المتعبدين بهذه العبادة سبعمائة شخص بين رجال ونساء اشتركوا معاً في هذه الاسرار فقصى عليهم بالموت .

ثم ان الرومان اخذوا ايضاً يعبدون ما يعبد شعوب الشرق فقد كان سنة ٢٢٠ سيف

رومية معبد للرب سيرايس المصري فامر مجلس الشيوخ بهدمه فلم يجسر احد الفعلة على ذلك وبقي المعبد لا يمس بسوء حتى جاء القنصل بنفسه فضرب ابوابه بالفأس وبعد سنين اي في سنة ٣٠٤ خلال حرب هانيبال بعث مجلس الشيوخ الى آسيا الصغرى بوفد للبحث عن المعبودة سيبييل وكانت هذه الام الكبرى كما كانوا يدعونها مصورة على حجر اسود فاتى بها مندوبو مجلس الشيوخ باحتمال حافل وجعلوها في رومية وقد لحق بها كهنتها واحذوا يطوفون التوارع على اصوات المزامير والصنوج لابسين البسة شرقية وهم يتوكفون الا كفف على الابواب

تم غصت بلاد ايطاليا بالسحرة من الكلدان ولم يكن العامة يعتقدون وحدثهم بهؤلاء العرافين . ولما هدد رابرة السمر مدينة رومية سنة ١٠٤ تقدمت عرافة من سورية اسمها مارتا فعرضت على مجلس الشيوخ الروماني بانها لتوسط في غلبة رومية على عدوتها فطردها مجلس الشيوخ ولكن النساء الرومانيات بعنن بها الى المعسكر فاقاها مازيوس القائد العام لديه وما فتئ يأخذ رأياها الى ان وصعت الحرب اوزارها . ورأى سيللا في نومهرنة كابودسيا فعمل بنصيحتها وسار الى ايطاليا .

السفسطائيون — لم يكن يأتي الى رومية كهنة وعرافون فقط بل كان يدخل فيها فلاسفة يحنقون الدين القديم . ومن اشهرهم كارنياد سفير الآتينيين فانه كان يصرح بافكاره في رومية امام الجمهور فيخف شبان الرومان الى سماع اقواله حتى اراد مجلس الشيوخ على الخروج من المدينة الا ان الفلاسفة ظلوا على بت مبادئهم في رودس وآتينة حتى اصبح من السنن المألوفة ان يبعث الرومان بفتياتهم الى تينك المدينتين يتعلمون فيها الفلسفة

وفي القرن الثالث قبل المسيح ألف ايفهمير اليوناني كتابا نبني فيه وجود الارباب وامها ليست الا رجالا ألهمهم الناس حتى ان المثيري نفسه كان ملكا على كريت . فانتشر كتابه اي انتشار ونقله الشاعر انيوس باللاتينية . وعلى هذا النحو اخذ اشراف رومية يستخرون من اربابهم ولم يقوا من الدين القديم الا على مراسيمه وظواهره (١) وكان اهل الطبقة العالية في المجتمع الروماني مدة زهاء قرن يعتقدون بالخرافات اعتقاد سفسطائيين لا يؤمنون بشيء الحياة العقلية — كان غاية ما يعلم اليونان الاقدمون اولادهم القراءة فقط في الزمن الذي كان فيه بوليب في رومية (قبل سنة ١٥٠) ويعهد المحدثون من الرومان بتعليم ابنائهم الى مربين من اليونان ولذلك افتتح اناس من اليونان في رومية مدارس لتعليم الشعر والبلاغة والموسيقى . وكانت الاسرات الكدرى تنقسم الى اناس يتعلمون على الطريقة القديمة وآخرين (١) قال شيشرون : يجب ان نبقى على عادة اخذ الطالع لثلاث نساء العامة في معتقداتهم

على الحديثة . ولكن بقي في الازهان شيء من الموسيقى والرقص فكانوا ينظرون اليهما بانهما من الصناعات المهينة بمن يتعاطاها اذا كان كريم المحتد . قال سبيون املين حامي اليونان في كلامه على مدرسة رقص كان يختلف اليها بنون وبنات من الخاصة : ما كنت اتوهم عند ما ذكر لي ذلك ان اناساً من الاشراف يعلمون مثل هذه الامور لاولادهم ولما اخذوا يدي الى مدرسة الرقص رأيت فيها زهاء خمسمائة صبي وست وفي جملتهم ولدًا شريفًا في الثانية عشرة من عمره وهو احد المرشحين للانتخابات يرقص على اغتات البوق « كروتال » وقال سالوست في كلامه على عقيلة رومانية قليلة الاعتبار انها كانت تصرب على الطنبور وترقص احسن مما يليق « امرأة محتشمة » .

التربية — استهوى ساء الرومان حب الادبان الشرقية والبذخ الشرقي في اسرع ما يكون فكان يذهبن زرافات ررافات الى معابد باحوس ومساجد ايزيس . وقد سنت لهن قوانين لينمن بها من لبس الالبسة التميّنة وركوب العجلات واتخاذ الحلي والجواهر ولم تلبت ان اُغتيت فصار النساء في حل من ان يلبسن كالرجال ما يتشأن . وانقطع النساء النبيلات عن العمل والجلوس في بيوتهن وانشأن يخرجن في أبهة ويختلفن الى دور التمثيل والملاعب والحمامات والمجتمعات . واذ كنّ بلا عمل ومن الجهل على جانب سرى الفساد اليهن في الحال حتى اصبح النساء الطاهرات في طبقة الاشراف من النوادر

سقط النظام القديم في تربية الاسرات وجعل القانون الروماني الزوج سيد زوجته واشدعوا صربا جديداً من الزواج يجعل المرأة تحت تصرف ايها ولا يكون للزوج ادى سلطة عليها وكان الآباء يجيرون بناتهم بجهاز وصادق ليجعلوهن اكثر استقلالاً .

وكان من حق الزوج وحده ان يطلق امرأته ومن العادة ان لا يحاد عن هذا الحق الا في احوال استثنائية شديدة فصار للمرأة الحق ان تترك زوجها واصبح منذ ذلك العهد من اهلن اللين ان يفصم الزوجان عرى ارتباطهما ولم يعودا يحتاجان الى حكم حاكم ولا الى سبب مشروع ويكفي احد الزوجين متى استاء من زوجه ان يقول له : « احمل ما يحصك واعد لي ما املكه » وبعد الطلاق يتيسر لكل منهما بل للمرأة ايضاً ان يتزوجا في الحال .

وبلغت الحال في الطبقة الرومانية العالية ان تعتبر الزواج عقداً مؤقتاً فقد تروّج سيللا بنخمس نساء وقيصر باربع وبومبي بنخمس وانطونيوس باربع . وتزوجت ابنة شيترون من ثلاثة رجال وطلق هورتانسيون زوجته ليزوجها من احد اصدقائه

يبد ان هذا الفساد لم يصب غير اشراف رومية ومن هذا حذوهم من اهل العممة الحديثة

اما في أسرار رومية والولايات فقد حفظت قروبا آداب الدور القديم القاسية الشديدة واخذت تربية الاسرة ترق شيئاً فشيئاً والمرأة تحرر من استبداد الرجل سطة

التبدل الاجتماعي

زوال الطبقة الوسطى -- كان الشعب الروماني القديم مؤلفاً من صغار ارباب الاملاك وهم يتعاطون زراعة حقولهم بأنفسهم ومن هؤلاء الفلاحين الصالحين الاقوياء يتألف الجيش والمجلس . وكان عددهم كثيراً سنة ٢٢١ خلال الحرب الفينيقية الثانية . وفي سنة ١٣٣ لم يبق منهم احد . لا حرم انه هلك منهم كثيرون في الحرب التي اعلنتها رومية على البلاد القاصية ولكن هلاكهم يحمل في الاكثر على انه كان من المتعذر عليهم البقاء . فقد كانوا يعيشون من زراعة القمح عند ما احدثت ترد على رومية حبوب صقلية وافريقية فسقطت اسعار الحنطة بحيث لم يتيسر للحرثين الايطاليين ان يستخرجوا من علاتهم ما يعدون به اسراتهم ويحملوا اعباء الخدمة العسكرية فقضي عليهم من ثم ان يبيعوا حقولهم فيبتاع كل غني من جاره الفقير ارضه فعدت الحقول الصغيرة ملكاً عظيماً لواحد وصير ارباب الاملاك من تلك الاراضي مروجاً يقيمون فيها ماشيتهم واذا عن لهم ان يررعوها يبعثون اليها برعاة وحرثين من العبيد بحيث لم يمض قليل حتى لم يبق على ارض ايطاليا الا بعض كبار ارباب الاملاك وجماعات من العبيد . وكان بلدين القديم يقول ان الاملاك العظيمة قد اخطأت ايطاليا ومع هذا فالدوائر العظمى هي التي قضت في الارياض على احرار الفلاحين . فصاحب الارض القديم الذي اباع حقله لم يستطع ان يبقى اجيراً بل قضي عليه ان يتخلى عن مكانه ليحل محله العبيد وبذا اصبح هائماً على وحيه لا عمل له ولا شغل قال فارون في رسالته في الرراية ان معظم زعماء الاسرات دخلوا بيوننا تاركين المنجل والمحراث وآبوا يؤثرون التصفيق بأيديهم في الملاعب على العمل في حقولهم وكرومهم .

الطبقات الاجتماعية -- ليس الشعب في رومية كما هو في يونان عبارة عن مجموع السكان بل هو مجموع الوطنيين وكل رجل ينزل ارض البلاد لا يعد وطنياً بل الوطني هو الذي له حق التمتع بحقوق الوطنية . وللوطني عدة امتيازات فله الحق وحده ان يكون عضواً في الهيئة السياسية وله الحق وحده ان يقترح في مجالس الشعب الروماني وان يخدم في الجيوش الرومانية ويحضر احتفالات رومية المقدسة وينتخب حاكماً رومانياً وهذا ما يسمونه بالحقوق العامة . وللوطني الحق وحده ان يحميه القانون الروماني ويحق له فقط ان يتزوج على طريقة مشروعة ويكون رب أسرة أي حاكماً مطلقاً على زوجته وأولاده وان يوصي بما يشاء ويبيع ويبتاع ممن يشاء وهذا ما يسمونه بالحقوق الخاصة

ولا يحرم من لم ينالوا حق الوطنية الرومانية من الخدمة في الجيش والمجلس فقط بل لا يسوغ لهم ان يكونوا ازواجاً ولا آباء ولا أصحاب أملاك مستروعة ولا ان يتقاضوا الى القانون الروماني ويحاكموا في المحاكم الرومانية ولذا تألفت من الوطنيين طبقة من الاشراف بين سواد الامة من غير طبقتهم الا لا يتساوون بينهم أيضاً . فبينهم فرق في الطبقات أو كما يقول الرومان في الصفوف .

النبلاء - النبلاء هم في الصف الأول من الامة فكل وطني يعد في النبلاء اداسبق لاحد أجداده ان تولى شيئاً من امر الامة لان الحكم في رومية من علائق الشرف يبيل به من تولاه كما يكون بضعة شرف لا خلافة من بعده . اذا نصب احد من الوطنيين ناظر المملع والانية أو قاضياً أو قنصلاً تحلج عليه حلعة مطررة بالارحوان ويمنح كرسيّاً كالعرس ويحق له ان يرسم ويصور . وهذه الصور عبارة عن تماثيل صغيرة تعمل من الشمع اولا ثم تطلّى بالفضة وتجعل في مرار الدار (انريوم) بالقرب من الكاون وارباب البيت وتجعل في محادح خاصة بها كما تجعل الاصنام ويعبدها الدرية من اهل البيت . ومتى مات احد في الاسرة يخرجون الصور ويحرقونها على مركبة في موكب و يأخذ احد اسباء المتوفى بعد دصماته ويرثيه . وهذه الصور هي التي تشرف الاسرة كلما احتفظت بها وكما كثرت الصور في أسرة تزداد شرفاً فيقولون فلان شريف بصورة او شريف بعدة صور . والاسر الشريفة في رومية قليلة جداً (ولم يكن فيها اكثر من ثلثائة امرة) لان المناصب التي تولى صاحبها ترفاً توسد في العال الى اناس حازوا الشرف من قبل

الفرسان - تجيء طبقة الفرسان بعد طبقة النبلاء . وهم أعنياء الوطنيين الذين لم يعبد لهم حدود من الحكم فتقيد ترواتهم في سجلات الاحصاء ويبيعي ان لا يقل ما يملكه احد من عن اربعمائة الف سسترس (او مئة الف درك) منهم التجار والصيارف والملازمون وهم لا يحكمون بل يغتنون . ولهم في دور التمثيل اما كن خاصة بهم تقع الى ما وراء مقاعد طبقة الاشراف . وربما ساع للعارس منهم ان ينتخب حاكماً وعندها يدعوه الرجل الحديث النعمة ويصبح ابنه شريفاً

العامة - العامة هم غير طبقة الاشراف والفرسان فهم جمهور الامة ويكونون من سل اناء البلاد في ايطاليا وينقلون من فلاحين اصحاب املاك الى وطنيين رومانيين . و يعد في طبقتهم العبيد المعتوقون او قدماء العبيد واناثهم . ويحافظون على ممبرات اصولهم ولا يقبلون في خدمة الجيش الروماني ولا ينتخبون الا بعد غيرهم . ولقد مصت ازمان وصغار ارباب الاملاك يؤلفون السواد الاعظم من الامة ويناكات الارباب تصغر من قلة

الناس عصت رومية بالواردين عليها فانها لعلها اليونان والسوريون والمصريون والآسيويون والافريقيون والاسبانيون والغاليون ممن أخذوا من بلادهم وبيعوا ببيع العبيد تم اعتقالهم مواليهم فاصبحوا وطنيين ضافت بهم المدينة فهم كانوا شعباً حديداً ليس له من الرومانية غير اسمها

حطب سيون غازي قرطاجنة ونوماس جمهوراً من الناس في احدى الساحات فقاطعه العامة باصواتهم فقال لهم: « صد ايها الابناء الادعياء المتسبون لا يطاليا زوراً فمن العبت ما نفعلون لان من جلبتهم الى رومية مقيدين لاهابهم ولو حلت قيودهم » وهذه الطبقة الجديدة من السوق تعيش بكدها او يقضى على الحكومة ان تطعمها وقد احدثت الحكومة سنة ١٢٥ تقدم لعامة الوطنيين حنطة نصف ثمنها المعتاد تأتيها من صقلية وافر بقية . ومنذ سنة ٦٣ احدث توزع الحنطة مجاناً وتشفعها بريت . ورأى قيصر سنة ٤٦ ان من كانوا يناولون هذه الحراية بلغوا ٣٢٠ ألفاً

العبيد - جميع الاسرى وسكان البلد المفتوح ملك للفتح يتصرف فيهم فاذا نبي عليهم ولم يقتلهم يستعبدهم له . وهكذا كان الحق القديم . وقد ظل الرومان يعملون به بالحرف يعاملون الاسرى كأنهم بعض العنينة يبيعونهم من الخاسين الذين يتبعون الجيش واذا حملهم الى رومية فانما يحملونهم لبيعهم في المزاد (١) وهكذا كانوا يبيعون عقيب كل حرب الوقا من الاسرى رجالاً ونساءً والاولاد الذين يولدون من اسيرات يكونون اسرى كامهاتهم فالام المعلولة للرومانيين هي مادة الرقيق الروماني

العبد ملك صاحبه فهو لا يعتبر اعتبار شخص بل اعتبار متاع فمن تم ليس له حق من الحقوق فلا يكون وطنياً ولا مالكاً ولا زوجاً ولا ابناً . قال احد الابطال في رواية هرلية رومانية . « اي شيء هذا عرس عبيد ! ما اعجب عبداً يتزوج ! ان هذا مخالف لعادة جماع الام » .

وللولى جميع الحقوق على عبده يرسله حيث يريد ويشعله على ما يرى بل يشغله اكثر من طاقته ويطعمه احسن طعام ويصره ويعذبه ويقتله دون ان يسأله احد عما جنى . وعلى العبد ان يخضع لرغائب سيده كلها . ويقول الرومان ان العبد لا وحدان له وان الواجب عليه ان يطيع مولاه طاعة عمياء فاذا قاوم او ابق من بيته فالحكومة تعاون سيده على قمع (١) نقام سوق الرقيق في كل مدينة ذات شأن كما نقام سوق للبقر والخيول فيعرض العبد الذي يراد بيعه على دكة وقد نبطت في عنقه بطاقة كتبت فيها سنه وصفاته وعبوبه

جماحه او القبض عليه وكل من يؤوي عبداً آبقاً تجري عليه احكام اللصوص كأنه سرق بقرة او حصاناً لغيره .

والعبيد في المملكة الرومانية اكثر من الاحرار ويملك اغنياء الوطنيين من عشرة الى عشرين الف عبد وعند بعضهم منهم من يكفون اتجنيد جيش كامل . وكان لسيليوس ايزدوروس احد قدماء العبيد زهاء اربعة آلاف عبد وكان عند هوراس سبعة ابيد فكان يشكو من فقره . ومن علائم الفقر في رومية ان لا يملك المرء سوى ثلاثة ابيد . واذ كان العبيد يعملون اشق الاعمال او يسترسلون في البطالة مكرهين وهم ابداء عرضة للضرب والسياط والتعذيب اصبحوا بحسب وطهرهم اما متوحشين اغبياء او اندالاً مستعبدين ومن كان منهم على تبيء من التهامه ينثرون وغيرهم يميئون كالآلة السماء . وكان السبيح كاتون كثيراً ما يقول : على العبد دائماً ان يعمل او ينام . ومعظم العبيد يفقدون الاحساس والشرف ولذلك كانوا يقولون هذا عمل عبيد يريدون به انه دنيء رذل

الحياة السياسية

الحكام — ينتخب الشعب كل سنة رجالاً يتولون امره ويفوض اليهم السلطة المطلقة و يطلق عليهم اسم الحكام « اي ولاية الامر » فيسير امامهم حملة القوؤوس يحملون حزمة من القضبان وفأساً . ومعنى هذا الرمر ان للحاكم ان يضرب ويقتل على ما يراه مناسباً ومن حق الحاكم ايضاً ان يرأس مجلسي الامة والتيوخ وان يكون له محل في المحكمة ويقود الجيوش وهو السيد المسود في كل مكان فيجمع المجلس ويفضه بحسب ما يرى ويصدر الاحكام برأيه وحده .

وفي زمن الحرب يفعل ما يشاء بالجند ويقنلهم دون الرجوع الى رأي ضباطهم . وقد كان مافليوس القائد الروماني في احدى الحروب التي أعلنت على اللاتين حظر على الجنود الخروج من المعسكر فدعا احد المقاتلين من جيش العدو انه الى الميازرة يخرج لبرازه وقله فلم يعتم مافليوس ان قبض على ابنه واعدمه في الحال .

وللحاكم بحسب التعبير الروماني سلطة ملك ولكن هذه السلطة قصيرة موزعة وذلك لانه لا ينتخب الا لسنة واحدة وله رصفاء لم مثل سلطته في رومية قنصلان او حاكمان يتوليان امر الامة وقيادة الجيش وفيها عدة قضاة يتولون الحكم او القيادة بالنيابة ويصدرون الاحكام وهناك كثير من الحكام ومراقبان واربعة نظار للابنية والملاعب للنظر في الطرق العامة والاسواق وعشرة محامين عن حقوق السوق وصيارفة يتولون النظر في خزائن المملكة الاحصاء — ارقى الحكام هما الوكيلان المسيطران وهما مكلفان كل خمس سنين

بنظيم احصاء للشعب الروماني فيتمثل امام المكافين باحصاء جميع ابناء البلاد ليذكرها ولها وهم يقسمون الايمانات — اسماءهم و عدد اولادهم وعبيدهم ومقدار ثروتهم يقيد كل ذلك في سجلات خاصة . والقائمون باحصاء الامة هما اللذان يكتبان قائمة باسماء اعضاء مجلس الشيوخ والفرسان والوطنيين ويحددان لكل واحد مقامه في المدينة ثم هما مكلفان ايضاً بان يحضرا احتفال الثريا وهي حفلة عظيمة تقام للتزكية كل خمس سنين فيجتمع ذاك اليوم عامة الوطنيين في ساحة المريح اجتماعهم في حرب ويطوفون ثلاث مرات حول المجلس يحملون ثلاث صحايا لتكبر عن السيئات وهي عبارة عن تور وهجة وخبرير يحرقونها ويرشون المجلس بدمها وبذلك تصبح المدينة مزكاة مطهرة وسلاماً مع الارباب .

وللقائمين بالاحصاء الحق ان يقيدا وان يجعلوا كل انسان في المنزلة التي يريانها ولها ان يجردا احد الشيوخ باسقاطه من قائمة مجلس الشيوخ وان لا يحسبوا احد الفرسان في جملة اهل طبقته او يجرمان احد الوطنيين بان يحذفوا اسمه من سجلات القبائل . ويسهل عليهما عقاب من يرغمهم مجرمين ويتجاوزان عن السيئات التي لا تقدر بمنطوق القانون . ولطالما رأوها يجردان والوطنيين لانهم لم يحسنوا التوفير على حقوقهم ولصرفهم كثيراً على خدمتهم وتجنوا احد الشيوخ لانه كان يملك عشرين ليبرات من الاواني الفضية واحر لانه اهمل تعهد قبور اجداده . وغيره لانه طلق زوجته . هذه السلطة المفرطة هي ما يطلق الرومان عليه « حكومة الاخلاق » فوكيلا الاحصاء هما سيدا المدينة على الجملة .

حاسة مجلس الشيوخ — يتألف مجلس الشيوخ من نحو ثلثمائة رجل يعينهم وكيل الاحصاء الا ان هذا لا ينصبهم كيفما انفق فلا ينتخب من ابناء البلاد الا الاعنياء اصحاب المكنة وسلالة الاسرات الكبرى ومعظمهم من قدماء الحكام ويختار على الاعلى دائماً اناساً كانوا في المجلس من قبل بحيث ان عضو مجلس الشيوخ يبق في هذا المنصب طول حياته . مجلس الشيوخ هو محل اجتماع اهم رجال رومية ولذلك كانت لهم سلطة وسطوة

فاذا حدث امر يجمع احد الحكام اعضاء الشيوخ في احد المعابد ويعرض عليهم المسألة ثم يسألهم رأيهم فيها فيجيبه كل واحد بمفرده مراعين في ذلك مراتبهم في الشرف وهذا ما يدعى اخذ رأي مجلس الشيوخ ويسطر الحاكم بعد ذلك رأي الاكثرية وهذا ما يسمونه مرسوم ديوان الاعيان او الشيوخ ويكون قرارهم عبارة عن رأي لان ليس من حق مجلس الشيوخ ان يقن القوانين . بيد ان رومية تعمل بهذا الرأي عملها بأمر مفروض . وللشعب ثقة بشيوخه لعله بانهم اكثر خبرة منه ولا يجزأ الحكم على مقاومة مجلس مؤلف من اكفاء يساوونهم في الشرف . ولذلك كان المجلس يفض جميع المسائل فيقرر الحرب ويعين

عدد الحيوتس ويقبل السفراء ويعقد السلم ويفرض الدخل والخرج فيصدق الشعب على قراراتهم والحكام ينفذونها . وفي سنة ٢٠٠ قرر مجلس الشيوخ اعلان الحرب على ملك مكيدونية فاجس الشعب خيفة ولم يوافق على ذلك فصدر امر مجلس الشيوخ بجمع المجامع من جديد وان يلقي عليهم خطاب يكون ابلغ في اقناعهم من الخطاب الاول وعندها لم يسمع الشعب الا الموافقة . وبذلك رأيت ان الشعب في رومية كان يحكم كما يحكم الملك في انكلترا ولكن كان الحكم لمجلس الشيوخ

المجالس والانتخابات — تسمى حكومة رومية « الجمهورية » اي متاع الشعب وجماعة الوطنيين المدعوين شعباً كأنهم سادة مسنقلون في المملكة فمنهم الذين ينتخبون الحكام ويوافقون على الحرب والسلام ويسنون الترائع ويقول الفقهاء ان القانون هو ما امر به الشعب والشعب في رومية كما في آتينة لا يعين نوابا وعليه ان يوافق على كل شيء نفسه حتى ان حكومة رومية بعد ان قبلت في المدينة زماء خمسمائة الف رجل كانوا مشنتين في اطراف ايطاليا كلها اضطر الوطنيون للحصول على حقوقهم ان يحضروا بالدات الى رومية .

ويجتمع الشعب في الساحة ويسمى المجلس « المجتمعات » يدعو الحاكم الى الالتئام برباسته وكثيراً ما يدعى الوطنيون الى الاحتجاج بصوت البوق فيذهبون الى ميدان العمل (ساحة المريخ) يصطفون فرقاً تظلمهم اعلامهم وعندها يتألف منهم مجتمعات ذات فرق وكثيراً ما يجتمعون في ساحة السوق « الفوروم » منقسمين الى ٣٥ جماعة يسمونها القبائل فتدخل كل قبيلة في نوبتها الى مكان مسور بسدود لتوافق على ما تقرره وتسمى المجتمعات بحسب القبائل . والحاكم الذي جمع المجلس يبين له المسألة التي يجب عليه الموافقة عليها ومتى فعل ينفذ . فمن تم كان الشعب حاكماً ولكنه اعتاد الخضوع لرعائه .

والمجلس ايضاً هو الذي يختار كل سنة الحكام فينتخب بحسب الفرق جميع الحكام الذين كان انتخابهم الشعب قديماً مثل القضاة وكلاء الاحصاء ونظار الابنية والملاعب . ومجلس القبائل ينتخب حكام اهل الطبقة المتوسطة ومحامي الشعب ونظار ابنية الشعب . وقد ضاقت ساحة الفوروم منذ القرن الثاني فاخذت تجتمع جميع مجالس الانتخابات في ساحة المريخ لتقسم الرحبة بحواجز ذات مرايض صغيرة تلقب بحدائق الغنم فنقطع كل قبيلة الى احدى تلك الرحاب وتلاحظ كل قبيلة اكثرية الوطنيين في التصويت اذ ليس لكل قبيلة غير صوت واحد .

سلك المناصب — ليس تولي الحكم او المشيخة عن الامة في رومية صناعة من الصناعات فان الحكام والشيوخ يصرفون وقتهم ومالهم دون ان ينالوا اجراً فمنصب الحكم في رومية

يعدّ من دواعي الشرف فلا يتطالّ اليه غير الاشراف او الفرسان على الاقل على شرط ان يكونوا اعياء ثم لا يطمع امرؤ ان يبلغ ارقى مناصب الحكم الا بعد ان ينقلب في المناصب الاخرى ومن اراد يوماً ان يحكم على رومية يجب عليه أولاً ان نكون له في الجيش عسّ وقاتع وحملات وبعدها يسوع له ان ينتخب صرافاً فيعهد اليه النظر في احدى خزائن المملكة . ثم يصير ناظرًا للابنية والملاعب فينظر في امور الشرطة والبياعات وبعد ذلك ينتخب قاضياً ليجري احكام العدل وعقيب ذلك يصحّ قنصلاً فيقود جيّساً ويرأس المجالس وعندئذ تحدّثه نفسه بان يكون وكيل احصاء وهذه هي الدرجة التي دونها في العلو كل درجة لا يبلغها المرء قبل ان يبلغ الحسين من العمر . فترى بهذا ان رجلاً واحداً يكون مالياً وادارياً وقاضياً وقائداً وحاكماً قبل ان يتولى وظيفة وكيل الاحصاء الغربية وهي عبارة عن تنظيم المجتمع وتسمى سلسلة هذه الوظائف سلك المناصب ولا تدوم كل وظيفة من هذه الوظائف الا سنة واحدة وللارتقاء للوظيفة التالية يقنص انتخب جديد . ويجب على الموظف في خلال السنة التي تتقدم انتخابه ان يظهر في الشوارع بلا انقطاع ويسير كما يقول الرومان او يطمع في امتياز المنصب وان يلتمس اصوات الشعب والعادة في خلال هذه المدة ان يلبس حلة بيضاء وهذا معنى مرتب باللغات الافرنجية اي المكتسي بالبياض .

ادارة الولايات

الشعوب الخاضعة — ما انقضى القرن الاول قبل المسيح الا وقد اخضعت رومية . عامة الافطار الواقعة حول البحر الرومي منذ اسبانيا الى آسيا الصغرى ولم تضاف هذه البلاد الى المملكة الرومانية ولم يصبح سكانها وطنيين رومانيين ولم تغد ارضهم ارضاً رومانية بل ظلوا غرباء وانصموا فقط الى هذه المملكة اي اهم اصبحوا تحت استيلاء الشعب الروماني كما ان الهنود اليوم ليسوا وطنيين انكليزاً بل هم رعايا انكلترا والهند جزء لا من انكلترا بل من المملكة الانكليزية فقط

فلا يصبح سكان البلاد المملوكة وطنيين في رومية بل يبقون غرباء اجانب ولكنهم رعايا الشعب الروماني يؤدّون اليهم الجزية وعشر غلاتهم واثابة من المال ورسمًا على كل رأس وعليهم ان يخضعوا لجماع ما يأمر ونهيه به واذ ليس في استطاعة الشعب ان يحكم بالذات ليعت محكام يبتدبهم لان يحكموا عنه وكل بلد خاضع لوال كان يسمى ولاية ومعناها «المهمة» كان في اواخر عهد الجمهورية (في سنة ٤٦) ١٧ ولاية منها عشر في اربابا وخمس في آسيا وتنتان في افريقية ومعظمها مننائية الاطراف جداً فلم تكن بلاد الغال كلها سوى اربع ولايات واسبانيا ولايتين . قال شيشرون ان الولايات املاك الشعب الروماني فاذا اخضع

هذه الشعوب بأسرها فذلك طمعاً في فائدها لا لاجل منفعتها ولذلك لا يتوحى ان يدير تلك الولايات بل يحرص على استئثارها .

الولاية — يتخذ الشعب حاكماً لإدارة كل ولاية وهو ما ان يكون قنصلاً او قاضياً حرج من الوظيفة فيطيل امد سلطته وائس هذا الموظف الكبير قنصلاً بل هو وال ينرب عن القنصل والوالي كما للقنصل سلطة مطلقة يسير فيها على هواه لانه وحيد في ولايته (١) وليس لديه حكام آخرون ينازعونه السلطة ولا محامون عن الطبقة الوسطى ليصدوه عما يريد ولا مجلس شيوخ يسيطر على اعماله وهو وحده يقود الحیوش ويحملهم على القتال ويرل بهم حيثما يشاء فيتخذ له مقاماً في محكمته حاكماً الغرامة والسجن والموت ويصدر اوامر تكون قانوناً متبعاً وله وحده السلطة المالية لان فيه يتجسد الشعب الروماني

وكان هذا الحاكم الذي لا يقاومه مقاوم مستنداً حقيقياً فيقبض على من يريد ويحبس و يضرب بالعصي و يعدم من لا يروقته حالتهم واليك مالا من ألوف الامتنة التي كان الحكام يجرون فيها مع الهوى كما رآه احد خطباء الرومان قال . « جاء القنصل مؤجراً الى تيانوم فخطر لامرأته ان تلد بالاستحمام في حمامات الرجال فاحرج من الحمام الرجال الذين كانوا يستحمون فيه فتكت المرأة من اطانتهم وقلة استعداد الحمام فنصب القنصل عموداً في الساحة العامة واحصر اشهر رجل في المدينة يجعله عليه فخر من يباهه وضرب بالعصي » والوالي يأخذ من ولايته ما يستطيع من المال وينظر اليها كائنها ملك له ولا تعوزه الوسائط لاستئثارها بل يد يديه الى حرائن المدن ويرع التاميل والحلي الموصوعة في المعابد ويحجي من السكان الاعماء اتاوات من المال او البر . واد كان له الحق ان يرل حدوده حيث اراد فالمدن تقدم له المال اتعنى من قبول حدوده واد كان في حل من ان يعدم كل من يتراءى له فالافراد يعطونه المال ليأمنوا عائلته . واد طلب شيئاً بعيداً او مبلغاً من المال يجاب في الحال الى ما طلب ولا يجراً امروء ان يابى عليه طلبه واتباعه يسرون على مثاله وينهبون باسمه بل بحمايته ويسرع الوالي في جمع المال اد الواجب عليه ان يعتني في سنة وبعدها يعود الى رومية ويحمله آخر يعود بتل ما بدأ فيه سلفه .

على ان هناك قانوناً يحظر على كل وال ان يقبل هدية ومحكمة مخصوصة (منذ سنة ١٦٩) نظري دعاوي الاحتلاس . بيد ان هذه المحكمة تؤلف من طبقة الاشراف والمرسان الرومانيين فلا يرون ان يحكموا على ابن بلدهم والعاقبة المهمة في هذه الطريقة كما قال شيترون

(١) كانت تبقي رومية في بلاد الشرق بعض اقبال اي ملوك صغار مثل الملك هيرود في بلاد اليهودية ولكنهم يؤدون الجربة ويخضعون للحاكم او الوالي الروماني .

ان يضطر الوالي الى ان يسطر يده في السلب من ولايته ليتسنى له ان يرشي الخلفين في المحكمة ولا ينبغي العجب اذا رأينا اسم الوالي مرادفاً لاسم مستبد ومن اشهر هؤلاء اللصوص فيريس والي صقلية وقاضيا وقد حطب في بيان اعماله الخطيب شيشرون لاسباب سياسية خطباً اشتهر بها ومن المحتمل ان كثيرين مثله قد اتوا ما اتاه .

العشارون — كان للشعب الروماني في كل ولاية مواد مهمة من الجمارك والمناجم والصرائب والحقول الحقة لزرع الحنطة والمراعي يؤجرونها من شركات متعددين يسمونهم العشارين فكان هؤلاء مثل المزارعين العموميين في فرنسا قديماً يبتاعون من الحكومة حق جباية الحراج ويجب على سكان الولايات أن يطيعوهم كأنهم وعود الشعب الروماني وكان في كل ولاية عدة شركات من العشارين ولكل شركة مستخدمون من الكتاب والحباة يظهرون في مطهر السادة ويثألون أكثر مما يجب لهم أخذه ويسلبون نعمة الاهلين وكثيراً ما يبيعونهم كما يباع الرقيق وكانوا بأحدون في آسيا حتى السكان بدون سبب ولما طلب ماربوس من ملك بينثيا ان يقدم له جنداً أجابه الملك ان العشارين لم يبقوا عنده من الرعايا عبر النساء والاطفال والشيخ وقد عرف الرومان هذه المظالم حق معرفتها وكتب الخطيب شيشرون الى ابيه وكان هذا حاكماً اذ ذاك . « ادا وفقت الى طريقة ترصي بها العشارين دون ان تهلك سكان الولايات فتكون قد رزقت مهارة رب » بيد ان العشارين كانوا قضاة في محاكمهم حتى ان الولاة انهم حاضعون لهم . وقد اراد سكاروس والي آسيا المشهور بالافراط في العفة ان يمنع العشارين من اطلال اليد الاذى في ولايته فلما عاد الى رومية رفعوا عليه شكوى وحكموا عليه

ولطالما اتار العشارون سخط سكان الشرق الخاضعين الساكنين فقد ذبحوا بامر ميتيريداس في ليلة واحدة مئة الف روماني وبعد ثرن اي على عهد المسيح كان اسم عشار مردافاً لاسم لص .

الصيارف — جمع الرومان في بلادهم تروة الامم المغلوبة ولذلك كانت الدراهم كثيرة جداً في رومية ونادرة جداً في الولايات فكان في رومية يمكن الاقتراض بفائدة اربعة او خمسة في المئة اما في الولايات فلا يجد المستدين مالاً يقرضه ناقل من انبي عشر في المئة . وكان الصيارفة الرومان يقرضون مالا من رومية ويقرضونه للولايات ولا سيما باسم الملوك او المدن

واذا لم يستطع المستدين ان يوفي رأس المال و رباها يعمد الصيارفة في نقاضي اموالهم الى الطرق التي يستعملها العشارون فقد اقترضت مدن آسيا سنة ٨٤ على نية ان تدفع مبالغاً

كبيراً لتستعين به على الحرب فبعد اربع عشرة سنة فقط اي في سنة ٧٠ صار المبلغ نفوائده ستة اضعاف ما كان فاضطر الصيارفة مدن آسيا ان تبيع حتى التحف والطرف وقد شوهد انون يبيعان اثناءها وبناتهما . وبعد بضع سنين اقترض برونوس من حكماء الرواقيين ومن اشهر رجال عصره من الرومان واعلاهم كعباً ومكانة لمدينة سلامينة في قبرص مبلغاً من المال نفائدة ٤٨ في المئة (اي ٤ في المئة كل شهر) فلما طالب وكيله سكاتيوس بالمال مع فائضه تعذر على المدينة ان تؤدى اليه مطلوبه فقصده سكاتيوس الوالي ايبوس فاصحبه هذا بفرقة من الفرسان فجاء الى سلامينة وحاصر مجلس شيوخها وكان اعضاؤه في قاعة الجلوس فمات خمسة منهم جوعاً

رعايا رومية — كان سكان الولايات لا حول لهم ولا طول مع هؤلاء الظالمين بأسرهم وذلك لان الولاة كانوا يماثلون العشارين والصيارفة على رغائبهم ويأخذون بأيديهم في كل ما يطلبونه ووراء الوالي الحيتس والشعب الروماني يعصده انه فكان يسمح للوطي الروماني ان يتسكى السلايين في الولايات ولكن لا يمس الوالي بأذى ولا تتأني شكايته الا مرة واحدة عند ما يخرج من الخدمة فيصدر عليه الرعايا يسلمهم ويعتدي كما يشاء ريتما ننقضي مدته واداءتهم عند عودته الى رومية فتكون محاکمته امام محكمة مؤلفة من الاشراف والعشارين ممن تكون مصالحتهم في معاضدته لافي احقاق الحق ورمع ظلامه اهل الولاية التي كان فيها واداء صادف ان حكمت عليه المحكمة يستعير عن الحكم بالنفي فيذهب الى احدى مدن ايطاليا يتمتع بما فيه ايام ولايته وهذا القصاص لا يوازي ما اتاه الله ولا يعد انتقاماً ولذلك كنت ترى سكان الولايات يؤثرون ان يقيموا ولاتهم بصوعهم لهم فيعاملوهم كما يعاملون الملوك وينافقوهم ويهادونهم ويقيمون لهم التماثيل وربما نصبوا للوالي في آسيا هياكل (١) وبنوا لهم المعابد وعبدوهم كما يعبد الرب

ولئن عامل الشعب الروماني رعاياه بقسوة فلم يكن بأذى عليهم الا انصمام اليه كما كان شأن المدن اليونانية بل ان الغرب يصبح وطنياً رومانياً ارادة الشعب الروماني والشعب يمنح هذه العاطفة احياناً وكثيراً ما يمنحها الى شعب برمته فمنح حق الوطنية الرومانية الى اللاتين اولاً في سنة ٨٩ ومنح هذا الحق للطلليان في سنة ٤٦ ومنحه لاهل االيا فاصبح سكان ايطاليا والرومانيين سواء حتى ان العبد الذي يعتقه سيده يسوع له ان يكون وطنياً في الحال . وكما عرضت للشعب الروماني عوارض الضعف ونقص في النفس يريد عدده

(١) ذكر شيشرون الخطيب الروماني المعابد التي اقامها له سكان سيبيليا التي كانت والياً عليها .

برعايا جدد وعبيد جدد فكان عدد الوطنيين يريد في كل احصاء ولا ينقص فبلغ عددهم في قرنين من ٢٥٠ ألفاً الى ٧٠٠ ألف . وهكذا ظلت رومية عاصمة بالسكان ولم تحل منهم كما حلت اسبارطة بل كانت تمتليء بالقادمين اليها من المملوكين على التدرج .

قانون الاراضي

الا املاك العامة — متى طلب شعب بلننه رومية على امره ان يعقد معها الصلح يجب على نوابه ان يلقطوا بالجملة الآتية « تغلى لكم عن الشعب والمدينة واخقول والمياه وثمانيل الارباب الحامية للحدود والالات وجميع ما يملكه الارباب والناس قد جعلناه بيد الشعب الروماني » وهذا التسجيل تصبح الامة الرومانية مالكة لما يملكه المملوكون لهم ناسره بل مالكة حتى لا يتخاصم . وكثيراً ما يبيعون السكان وقد اناح بولس اميل مئة وحمسين الفا من اهل اير على هذه الصورة كانوا استسلموا اليه . ومن العادة ان تمنح رومية لمن تغلب عليهم حريتهم وان تبقى املاكهم ملكاً للشعب الروماني يجعلونها ثلاث حصص متساوية . فيعطى للاهالي قسم من اراضيهم على ان يدفعوا شيئاً معلوماً من المال او الحبوب عنها وتحفظ رومية لنفسها الحق ان تأخذ منها كما تشاء . وتؤجر الحقول والمراعي الى اناس من الملتزمين وتترك الاراضي البائرة شاغرة بأخذها من يريد ويحق لكل وطني روماني ان يقيم فيها ويررعها .

قوانين العقارات — شملت قوانين الاراضي التي احتلها نظام رومية الاملاك العامة وما كان لاحد الرومان ان يحظر في ناله بيع الاملاك من اربابها لان حدود تلك الاملاك نفسها كانت ارباباً يدعوها آلهة التخوم والدين يمنع من نزعها . الا ان الشعب كان يستولي بموجب قانون الاراضي على اراض من الاملاك العامة فقط يوزعها بصفة ملك على مواطنيه وللشعب من حيث الشرع الحق في ذلك لان الاراضي كلها ملكة الا ان الرومانيين تسامحوا قروناً بان تركوا اناساً من رعاياهم او ابناء وطنهم يتمتعون بغلات تلك الاراضي وقد انتهت بهم الحال ان صاروا ينظرون الى تلك الاراضي كأنها ملكهم يحبسونها وبيعونها ويتاعونها ولو أحدث منهم اقضي على جمهور عظيم من الامة بالافلاس في الحال . وقد حدث في ايطاليا خاصة ان يبرع من اهل مدينة ناسرها جميع ما يملكون . هكذا برع اغسطس جميع اراضي مانتو من سكانها وكان الشاعر ورجيل في جملة المنكوبين فوصل بفضل شعره الى ان تعاد له املاكه ولكن سائر الشعب الذي لم يكن شاعراً كفرجيل بقي مسلوباً من املاكه . وتوزع هذه الاراضي المأخوذة على تلك الصفة احياناً على اناس من فقراء الوطنيين في رومية وفي الاعلب على جماعة من قدماء الجند وقد وزع سيملا اراضي اهل ايترو وريا على ٢٠ ألفاً من قدماء الاجناد .

الاخوان الاشتراكيان — كان التقيقان تيربوس وكايوس غراشوس من اشرف أسرات رومية ولكن حاول احدهما بعد الآخر وقد تولى زعامة السوق ان يدع الحكومة من يد الاشراف الذين يتألف منهم مجلس التيوخ .

وكان في ذاك العهد في رومية بل في ايطاليا جمهور كبير من الوطنيين لا سبد لهم ولا لبد يطمحون الى احداث ثورة ومنهم الاعنياء ومعظمهم من طبقة الفرسان الذين يتكبن من حرماهم من الحكومة . فعرض تيربوس غراشوس نفسه على ان يتولى الدفاع عن العامة وسعى الى توطيد سلطته هذه وكان في قلق مما يراه في بلاد الاريا في ايطاليا من اقامة الرعاة العبيد يحلفون قدماء اصحاب الاملاك الملاحين ومن رؤية رومية خاصة اناس من الوطنيين لا يملكون فتيلاً ولا تقيراً

قال مرة في خطاب له يحاطب به العامة : « للوحوش البرية في ايطاليا معاور تأوي اليها والرجال الذين يهريقون دماءهم في الدفاع عن بيضة ايطاليا ليس لهم الا النور والهواء الذي يستنشقهون يهيمون على وحوهم مع ارواجهم وانائهم لا بيوت تؤويهم ولا منازل يسكنونها . الا وان القواد الذين يحرضونهم على الدفاع عن مدافعهم ومعايدهم ليكذبون في اقوالهم . وليت شعري هل ملك واحد منهم حتى الآن مذبحاً مقدساً في بيته ومدفناً يضم رفات اجداده . يدعونهم سادة الارض وهم لا يملكون مدرة منها »

فاقترح على الشعب . ان قانون الاراضي وذلك بان تأخذ الحكومة من الافراد جميع الاراضي التي هي من المنافع العامة فتضع يديها عليها ويترك لكل فرد منهم حسمائة فدان . يوزع الباقي من الاراضي حصصاً صغيرة على فقراء الوطنيين فوافق المجلس على هذا القانون محدث بذلك اضطراب عام في نظام التروات لان معظم اراضي المملكة على التقريب كانت من الاملاك العامة ولكن وضع الواضعون ايديهم عليها واعتادوا ان يعتبروا انفسهم مالكيها . على انه كان كثيراً ما يصعب التمييز بين الملك الخاص والملك العام اد لم يكن للرومانيين سجلات للاراضي .

فاقام تيربوس ثلاثة مفوضين عهد اليهم قسمة الاراضي كما ان الشعب أعطاهم سلطة مطلقة . وكان هؤلاء المفوضون هم تيربوس نفسه وأخوه وعمه . فقام حصوم تيربوس يتهمونه بانه سن قانون الاراضي ليتخذ من ذلك حجة لتكوين له بها السلطة . ثمضت سنة . وهو الذي المتحكم في رومية ولكنه لما أراد ان ينتخب محامياً من العامة عن السنة التالية اقام أعداؤه الحجة (وهذا كان منافياً للعادات المتبعة) فمستأت من ذلك فتنة انتهت

باستيلاء تيبريوس وأصحابه على معبد الكابitol فنهض أنصار مجلس الشيوخ وعبيدهم مسلحين بالدبابيس وخشب المقاعد وطاروا تيبريوس واتباعه وضربوهم (١٣٣) و بعد عشر سنين انتخب كايوس أصغر الاخوين غراشوس محامياً عن الشعب (١٢٥) و جدد التصديق على قانون الاراضي وقرر توزيع حنطة على فقراء الوطنيين وقرر ان يجري انتخاب القضاة من طبقة الفرسان ليتوصل بذلك الى هدم سلطة الاشراف فكانت كلمته هي العليا مدة حولين كاملين ولكنه لما قصد قرطاجنة ليسكن فيها جماعة من الطواريء (المستعمرين) الوطنيين تخلى الشعب عنه مدة غيابه حتى اذا عاد لم يتيسر له ان يعاد انتخابه اذ كان اعداؤه اعتموا تلك الفرصة للتخلص منه وعندها أمر الحاكم بتسليم أشياع مجلس الشيوخ وزحف على كايوس وأحبابه وكانوا اعتمصوا في جبل افتتن فقتل كايوس بيد احد العبيد وذبح اشياعه أو اعدموه في السجون ونقضوا بيوتهم من أسسها وصادروا املاكهم (١٢١)

ماريوس وسيللا

لم يكن النزاع بين الشقيقين غراشوس ومجلس الشيوخ الا عبارة عن هرج في شوارع رومية ينهي بفتنة نشأ بين العصابات المسلحة على محل اما العتة التي حدثت بعد فكانت حروباً حقيقية بين جيوش منظمة وكان رؤساء الاحزاب من القواد الحروب المدنية - ليس الشعب الروماني سوى مجموع فقراء لا عمل لهم وما الجيش الا حفنة من المتشردين نزاع الآفاق فلا المجلس ولا الكتائب خاضعة لمجلس الشيوخ لان الاشراف الفاسدين فقدوا كل سلطة أديبة لم يبق ثمة سوى قوة حقيقية واحدة ونعني بها الجيش ولم يبق سطوة الا للقواد وقد أبى القواد ان يخضعوا فتعذر الحكم بواسطة مجلس الشيوخ حتى أصبح بيد القائد . وغدت الثورة لامناص منها ولكنها لم تنشأ دفعة واحدة بل تحمرت زهاء مئة سنة وكان مجلس الشيوخ يقاوم وقد امسى من الضعف بحيث لا يتيسر له ان يجري الاحكام بذاته على انه مازال على شيء من القوة تحول دون غيره من القبض على قياد الامة والقواد يتنازعون بينهم فيمن يكون السيد المتحكم وهكذا قضى الرومانيون قرناً يقبضون في الفتن والحروب المدنية

ماريوس - كان اصل ماريوس القائد الاول الذي جعل جيشه تحت أمره في رومية من اربنوم وهي مدينة جبلية صغيرة ولم يكن من سلالة شريفة واشتهر بانه ضابط وانتخب محامياً عن العامة ثم قاضياً بمساعدة الاشراف له . ثم انتخب عليهم وانتخب قنصلاً وعهدت اليه محاربة جو كورتا ملك النوميديين الذي بدد شمل عدة جيوش رومانية

وعندها جند ماريوس جماعة من فقراء الوطنيين ممن أصبحت الخدمة العسكرية صناعتهم فتغلب ماريوس بجيشه على جوكورتا واهلك الشعوب البربرية كالسماريين والتوتون ممن اغاروا على غاليا وايطاليا الشمالية . واذ لم يكن للشعب ثقة في غيره اقيادة الجيش انتخبه قنصلًا ست مرات متوالية خلافاً للقوانين المتبعة

عاد الى رومية بعد هذه الانتصارات فاصبح مطلق اليد في الحكومة وعندئذ تألف في تلك العاصمة حزبان دعيا انفسهما باسم حزب الشعب (وهو حزب ماريوس) وحزب الاشراف (وهو حزب مجلس الشيوخ)

الحرب الاجتماعية - ارتكب اشياح ماريوس من الفظائع ما انتهى بتلويث شهرته بين الناس فاغتنم أحد الاشراف من أسرة كورنيوليوس الكبيرة واسمه سيللا هذه الفرصة لينازعه السلطة وكان هو أيضاً من جملة القواد . وفي خلال ذلك استشاط الطليان غيظاً من قيامهم بثقل مايقوم به الرومانيون من التكاليف دون ان يكون لهم مثل امتيازاتهم فذرعوا الى مقاومته لينالوا حقوقهم المدنية وهذا مادعوه بالحرب الاجتماعية أي حرب مقاومة المتحالفين فجيتسواجيوتاً كبيرة تقدم احداها على مقررة من رومية وكان سيللا هو الذي انقذ رومية بقتاله الطليان أشد قتال . وبعد حرب دامت سنتين (٩١ - ٨٩) خضع الطليان بيد انهم نالوا ماطلبوه وعدوا وطنيين رومانيين

سيللا - طارت شهرة سيللا في هذه الحرب فنصب قنصلاً وعهد اليه ان يزحف على ملك بحر الحزرميتريداتس الذي اعار على آسيا الصغرى وذبح فيها الرومانيين عن بكرة ابهم (٨٨) فحمل الحسد ماريوس على ان يتيرفتة في رومية فخرج سيللا للالتحاق بجيشه الذي كان ينظره في ايطاليا الجنوبية وعاد معه وكان الدين الروماني يحظر على الجنود الدخول الى المدينة وعليهم السحتهم وعلى الحاكم نفسه قبل ان يحتاز الباب ان يخلع عنه رداء الحرب ويلبس الحلة الرومانية فكان سيللا القائد الاول الذي حسر على خرق سياج هذا المنع ودخل الى رومية فانهزم ماريوس امامه .

ولما وصل سيللا الى آسيا عاد ماريوس في جيش له من المتشردين ودخل رومية بالقوة (٨٧) وعندئذ بدى بقتل المعتدين قبل محاكمتهم وجعل خاصة اشياح سيللا تحت الاحكام العرفية بل صدرت اوامر الحكومة ان يقتلوا حيثما وجدوا وصودرت اموالهم ومات ماريوس بعد بضعة اشهر وظل سيناام انتصاره يجري احكامه في رومية ويقتل كل من لا تروقه حالته وكان سيللا في خلال هذه المدة قد تغلب على ميتريداتس وضمن اخلاص جنده له بان اباح لهم نهب آسيا على ما يشاءون . وقد عاد (٨٣) في جيشه الى ايطاليا

فبعث عليه خصومه بخمسة جيوش فاهزم بعضها وانحاز الآخر اليه ثم دخل سيللا الى رومية وذبح الاسرى وحنق انصار مار يوس .

الاحكام العرفية - بعد ان مضت بضعة ايام في المذابح شرع سيللا ينفذ الاحكام العسكرية على الاصول وعلق ثلاث قوائم باسماء من يريداهلا بهم قال : « اعلنت اسماء جميع من ذكرتهم وقد نسيت كثير امهم وسأعلن اسماءهم كلما حطروا في مالي » وكل من علق اسمه في قائمة المحكوم عليهم كان معداً للقتل ومن اتى برأسه ينال مكافأة وتصادر اموال القاتل وكان يقتل الواحد بدون محاكمة بل تخرد هوى القائد وبدون ان ينذر بالقتل . وعلى هذا الوجه لم يكتف سيللا بذبح اعدائه فقط بل قتل الاعنياء الذين كان يطمع في ثروتهم و يروى ان احد الوطنيين البعيدين عن السياسة بطر وهو مار الى قائمة المحكوم عليهم بالقتل فرأى اسمه مسطوراً في اول القائمة فهتف قائلاً : « ما اتعني فقد قتلني بقي في آلب » و يقال ان سيللا قتل القاء وتمائة الف فارس .

قوانين سيللا -- بعد ان تحلص سيللا من خصومه حاول ان ينظم حكومة تكون السكينة فيها لمجلس الشيوخ . فعيّنه حاكماً مطلقاً (ديكتاتور) ويطلق هذا اللقب قديماً على القواد في ايام التده والخطر من تكون لهم السلطة المطابقة واستخدم سيللا هذه السلطة ليسن قوانين تغير النظام الدستوري القديم وذلك بان يتخى القصة بموجب هذا القانون من مجلس الشيوخ ولا تحري المداخلة في قانون قبل ان يوافق عليه مجلس الشيوخ ولا يحق لمحامي الشعب انه ان يقترحوا شيئاً واعد هذه الاصلاحات التي خولت مجلس الشيوخ سلطة مطلقة اسنقال سيللا من منصبه واحد نفسه بالاقتطاع الى داره والعيش في العزلة (٧٩) وكان يعرف بانه في مأمن اذ كان له مائة الف من جنوده في ايطاليا .

يومبي

يومبي -- عاد مجلس الشيوخ فقبض على السلطة لانه حسن في رأي سيللا ان يعيدها اليه ولكنه لم يكن له من القوة ما يستطيع معه المحافظة على تلك السلطة متى قام احد القواد ينازعه اياها . ودامت حكومة مجلس الشيوخ ايضاً في الظاهر اكثر من ثلاثين سنة وذلك لانه كان ثمة عدة قواد وكل مهم يحول دون حسمه ان يستأثر بالحول والطول . ولما هلك سيللا كان في البلاد اربعة جيوش على قدم الاستعداد انان منها خاضعان لقائدين من انصار مجلس الشيوخ وهما كراسوس ويومبي والا حران بقيادة قائدين حصيين لمجلس الشيوخ وهما ليبدوس في ايطاليا وسرتوريوس في اسبانيا . والمأثور انه لم يكن احد في تلك الجيوش على استعداد ونظام وان ليس في اولئك القواد حاكم له الحق بقيادة الجند .

وكان القواد الى ذاك العهد ابدًا من القناصل اما الآن فاصبحوا من الافراد ينضم اليهم الجند لالخدموا الجمهوربة الرومانية بل ليفتنوا سلب الاهلين .

ولقد انهزمت جيوش خصوم مجلس الشيوخ وبقى القائدان كراسوس وبومبي وحدهما والفقما بينهما على الزعامة وجري انتخابهما قنصلين .

سبارتا كوس — تكرر حدوث عصيان العبيد مرات (حروب العبيد) وكان ذلك في الاعلب في جزيرة صقلية وجنوبي ايطاليا حيث كان العبيد يحملون السلاح لحراسة القطعان . وبعد ان ولي الولاية القائدان كراسوس وبومبي بدأت اشهر تلك الحروب وذلك ان عصاة مؤلفة من ٧٠ مزارعًا هربت من كابو ونهبت عربة تحمل اسلحة وانتأت تحمل على البلاد حملاتها تخف العبيد والضموا اليها زراعات زراعات فلم تلبث تلك العصاة ان اصبحت جيشا . وقد هزم هؤلاء العبيد على الولاء ثلاثة جيوش رومانية ارسلت لتأديبهم وكان سبارتا كوس زعيمهم أسرى في الحرب وهو من اقليم نراسياحيء به الى ايطاليا ليستخدم في الصراع مخدبه نفسه ان يجتاز بلاد ايطاليا كلها للعود الى نراسيا بلده . بيد ان جيش كراسوس قاوم عصابات سبارتا كوس مؤخرًا وكانت تحتلة النظام فقم لها عن آخرها . وبعدها حطرت رومية على العبيد ان يحملوا سلاحًا . ويحكى انه أعدم راع من العبيد لانه قتل حنزيرًا بريًا بحربة كانت معه .

حروب في الشرق — عهد مجلس الامة لبومبي ان يتولى قيادة الجيوش في حربيين متعاقبتين في الشرق . الاول (٦٧) كانت مع قرصان البحر في سواطيء آسيا الصغرى وقد عزوا سواطيء ايطاليا ومهبوها والثانية (٦٦) كانت مع ميتريداتس الذي لم يبرح على ما اصابه من الفشل يدافع عن حوزته في اطراف آسيا الصغرى

ولقد عاد بومبي من آسيا في جيش يتفانى في الاخلاص له وكان في بضع سنين السائد المسود في رومية واذ كان ينظر الى الشرف اكدر منه الى السلطة لم يدخل ادنى تعديل في الحكومة . وفي خلال ذلك نال الخطوة من الامة ساب من الاشراف اسمه قيصر فانفق بومبي وكراسوس وقيصر على اقتسام السلطة (٦٠) فانتخب قيصر قنصلًا ثم واليًا على االيا وتولى كراسوس قيادة الجيش الذي ارسل الى آسيا للمحاربة على البارتيين ولقي حتفه سنة ٥٣ وبقي بومبي في رومية .

كاتالينا — بينا كان بومبي يحارب في الشرق حدثت في رومية ازمة كادت تؤدى الى نورة وذلك ان احد الاشراف من قدماء انصار سيللا واسمه كاتالينا كان فقد ثروته لاسترساله في الشهوات فحاول ان يسترجع ماله بالقبض على ازمة الاحكام وكان رجلاً

قوي التسكينة جريء النفس مقداماً لا يتطرق الى قلبه وسواس وله اصدقاء كثيرون من اشراف الشبان المستهترين الفاسقين اخلصوا في حبه اذ كان يقضي معهم اوقات صفائه وبقرضهم مالا ويهديهم حيولاً وكلاب صيد . وله من الانصار قدماء اشباع سيللا وقدماء الجنود الدين اسكنهم سيللا في ايطاليا ممن باعوا اراضيهم واخذوا يبحثون عن مورد يعيشون منه .

فاتفق كاتالينا مع جمهور من هؤلاء الساحطين على ان يذبحوا في آن واحد القنصلين يوم يذهبان معاً الى معبد الكابول فلم يفلحوا فيما دبروه لان الخبر تراسى الى القنصلين الا ان كاتالينا احتفظ بانصاره وظل يدس الدسائس وكان اعداء مجلس الشيوخ وربما فيصرايضاً يمشدون سرّاً فقدم نفسه لستخب قنصلاً فكان حصمه في هذا الانتخاب شيشرون اشهر محام واعظم خطباء الرومان وكان هذا توصل الى ان يتخب حاكماً لان الاسرات الشريفة عدت منذ عهد ماريوس لا تسمح الا بانتخاب اناس من الاشراف .

وساعد اشباع مجلس الشيوخ الخطيب شيشرون فخرى انتخابه وسقط كاتالينا الا ان القنصل الآخر رصيف شيشرون وهو الطوبويس كان مائلاً مرّاً للمحانقين . فدبر كاتالينا مكيدة كبرى على ان يذبح اصحابه شيشرون واعضاء مجلس الشيوخ في رومية ويحرقوها بينما يكون قدماء اجناد سيللا المقيمين في اتروريا راحقين على رومية . فبلغ الخبر شيشرون فلم يخرج الا في كوكبة من الفرسان محدقة به الا انه لم يكن عنده جيش لقتال قدماء الاجناد الذين شرعوا يتجمعون ويتسلحون والعبيد الدين اخذوا يسلمونهم في كادو فقصى جراً من السنة التي تولى فيها القنصلية وهو في فلق مستمر .

واخيراً رحع واليان يقودان حموداً فتسر شيشرون بقوة تمككه من الدفاع فاستدعى مجلس الشيوخ ليوافق على قيام القناصل بما فيه سلامة الجمهورية الرومانية وان يعطي القناصل سلطة ليتخذوا عامة الاسباب التي يرونها مناسبة وادخل الجند الى رومية يرايطون في الساحات ودعا مجلس الشيوخ الى الاجتماع ثانية وفي هذه الجلسة الى حضبته الاولى في مقاومة كاتالينا وسأله متعراً اياه بما دبره من المكيدة التي افنضح امرها وانذرته بالانصراف فغادر كاتالينا رومية وذهب للالتحاق بقداماء الاجناد المتمردين في اتروريا وظل اشباعه في المدينة فانفقوا سرّاً مع وفود الالوبروج بان يقدموا لهم فرساناً ثم عبروا آراءهم وافشوا مر التآمرين . فطلب شيشرون خمسة من رؤوس زعماء المؤامرة واضطروهم الى الافرار . تم استفتى مجلس الشيوخ فيما يجب ان يعاملوا به فاجاب بانه يجب اعدامهم ولكن كان احد المجرمين واسمه لانتولوس فاضيا ولا يحق لاحد ان يوقفه الا حاكم له

مقام ارقى من مقامه فذهب شيشرون بذاته لتوقيف المجرمين الخمسة واخذهم الى سجن الكابتول وحنقهم وعاد يقول لمجلس الشيوخ : « لقد عاشوا »

فاعلن كاتالينا الحرب ولم يكن سوى جزء من رجاله يحمل سلاحا ومعظمهم انفصوا من حوله وزحف عليه جيش بقيادة القنصل انطونيوس آتياً من الجنوب وزحف آخر من الشمال ولم يبق لكاتالينا سوى ثلاثة آلاف رجل حاول بهم الفرار نحو الشمال ورأى جبال انين في وجهه مسدودة فانقض على جيش انطونيوس وهاجمه وقتل مع اصحابه جملة واحدة (٦٣) فقال اذ ذاك شيشرون من مجلس الشيوخ لقب « ابوالوطن » دلالة على انه انقذ رومية من محالب العدو ولكن لما انتهت سنة حكمه لم يعهد له بسلطة

فتح بلاد الغال

دحول قيصر الى غاليا - اتفق قيصر مع بومبي وكراسوس ان يتولى كل منهم القيادة في احدى الولايات العظمى على ان يكون له الحق في ان يحبس جيشاً موضع كراسوس يده على سورية وبومبي على اسبانيا وقيصر على الثلاث ولايات المجاورة لغاليا وذلك لمدة خمس سنين . وقد ذهب قيصر لما انقضت سنة حكمه بصفته والياً الى مقر ولايته ايمشيء فيها جيشاً يكون هو قائده ودخل في الحال في عدة حروب وطلعت عشر سنين بعيداً عن رومية (ولم يدم حكمه اكثر من خمس سنين الى سنة ٥٣ ولكنه جدد دفعته ثانية الى سنة ٤٨) وكانت رومية الى ذاك العهد لم تخضع غير جزء من البلاد التي مر لها الشعوب العالية بل لم يكن لها سوى ولايتين عاليتين : غاليا سيرالين وهي مؤلفة من البلاد الواقعة بين جبال انين . الالب (وهي اليوم ايطاليا الشمالية) . والبروفاسيا وهي عبارة عن سواطيء البحر المتوسط وبلاد الرون من جبال الالب الى جبال البيريه . وكانت هذه البلاد مع اقليم ايليريا (الجبال الواقعة في شرقي الادرياتيك) هي الثلاث ولايات التي تولاهها قيصر . اما باقي بلاد فرنسا الحالية التي دعاها الرومانيون غاليا فكانت مستقلة بعد يسكنها ثلاثة عناصر من الناس . أحدها الغاليون وهم يتغلون القسم الاعظم من البلاد اي جميع فرنسا الواقعة بين نهر العارون ونهر السين ويصفهم اليونان والرومان بان هؤلاء السكان من الرجال العظام بيض البشرة شقر الشعر زرق العيون طوال السبلات يأكلون اللحوم ويسكرون نبيد السرمواز (ضرب من الخمر) او بشراب الایدرومل وهم أشد شهماً بالجرمانيين منهم بالهرسييس اليوم . وكان السواد الاعظم من هذه الامة يعيش شقياً في الاكواخ لاشأن لهم في ادارة شؤون بلادهم يحضعون لكبار ارباب الاملاك القدين يقاتلون راكبين صهوات خيولهم ويدعوهم قيصر بالفرسان ويذكروهم كما يذكر تحاربين شجعاناً للعباة ولا يبعد

ان يكون هؤلاء الفرسان العاليون شبيهين بالجرمانيين هم من الفاتحين نزلوا وسط شعب اصغر منهم أجساماً اشقر اذهب يشبه الشعب النازل اليوم في البلاد الغربية أي فرنسا وايرلندا وبلاد الغال

والقسم الثاني من تلك العناصر الثلاثة هم البلجيكيون نزلوا البلاد الواقعة في شمالي السين الى نهر الرين وهم يشبهون كما كان يقول الرومان الجرمانيين النازلين في الشاطيء الآخر من نهر الرين والظاهر انهم كانوا أقل اختلاطاً بالشعب القديم من الغاليين واحسن الفرسان فيهم كانوا يقاتلون راكبين

والقسم الثالث من تلك العناصر هم الآ كينيون نزلوا في جنوبي نهر الغارون وهم ضئال الاحسام تحعان يشبهون الايريين في اسبانيا ويتكلمون بلغة ايريه ويعتبرون سائر شعوب غاليا كأنهم غرباء هؤلاء حضعوا قيصر اول الامر وبعد فلم يكن العاليون والبلجيكيون والاكتيون أنما معدودة بل لم يكن نمة غير شعوب صغيرة يستولي أقدرها على نحو ثلاث أو أربع من مقاطعاتنا اليوم وكل مقاطعة تؤلف حكومة مسنقلة ودعاها قيصر سيفيتا أي التي يحكمها كما يشاء وتحارب غيرها . وكانت لبعض تلك الحكومات ملك ويحكم معظمها مجلس من الاشراف (الفرسان) وكان للكهنة عند الغاليين سلطة كبرى

لم تدرح تلك الشعوب على حالة من التوحش بعد تعيش بما يتجه لها ماشيتها وما مدنها الا اسوار صغيرة محصنة يجعلون فيها مواشيهم وعيالهم انان الحرب ولئن كان معظم البلاد غابات وحراحا فقد بدؤا يررعون حنطة ليتيسر ان تطعم جيوشاً رومانياً بأسره

جاء قيصر يوي فتح غاليا في جيش اختاره من سكان الولايتين الغاليتين الخاضعتين لرومية خاصة وكان مؤلفاً بحسب العادة الرومانية من مشاة عظمين كثرائب وعاليه اسلحتهم وهم مدربون اكثر من جيوش الشعب العالي ولقد عني قيصر بذكر خبر الفتح في مفكراته فاوهم القاري بان الغاليين ساقوا عليه جيوشاً اكثر عدداً من جيشه ومن المحتمل بانه لم يقل الحقيقة اذ لم يكن في استطاعة عاليا ان تطعم غير عدد قليل من الناس ومعظم سكانها ليسوا محاربين

غارة الهيلفتيين والسوفييين - عند ما وصل قيصر الى بلاد الغال كان الايدوانيون النازلون في جبال مورفان اشد شعوب اواسط عاليا بأساً وعاصمتهم بيبراكت بالقرب من أوتون وبلادهم واقعة بين نهر السون والوار . ومن أشداء البأس الارفرنيون النازلون في البلاد الجبلية التي أطلق عليها اسمهم (اوفرنيا) وكانوا حاكمين على الامم النازلة في البلاد الصخرية الوسطى

فحارب الابدوانيون السكيانيين النازلين في جبال جورا لاختلاف طراً بينهم على الملاحاة في نهرسون فاستدعى السكيانيون من المانيا رعيماً سويافياً وهو الملك (اريوفيست) فأتى بعصابة من حيرة المحاربين مؤلفة من العامه خاصة وهم السويافيون . وبعد ان تغلب الابدوايين طلب الملك اريوفيست الى السكيانيين جرءاً من ارضهم ليدرل فيها جيشه . وكان السكيانيون صالحوا الابدوايين لقتال اريوفيست الذين زلوا عليهم وعملها استجد الابدوانيون برومية ولما قاد قيصر جيشه الى بلاد سون تقدم على انه حليف شعب عالي لمقاومة مارة جرمانية وفي غضون ذلك اخذ الهيلفتيون وهم شعب عالي يسكن سويسرا بالهجرة من بلادهم فانقلبوا منها يحملون أسراتهم ومواشيهم وامتعتهم محمولة على مركبات قائلين انهم يريدون مهاجمة بلاد العال ليستوطنوا شواطئ المحيط . وربما كان ذلك حيلة منهم ليدهبوا لنصرة الابدوايين على اريوفيست ونقدموها الى قيصر ان يسمح لهم باجتياز تلك الولاية الرومانية فاني عليهم ذلك فلم يبق امام الهيلفتيين الا ان يقطعوا وادي سون فداهمهم قيصر بالقرب من نهرسون وحمل اولاً على ساقه جيشهم ثم هاجم مجموعهم فذبح منهم حزاً عظيماً واضطر من افلتوا من القتل الى الرجوع الى بلادهم . ثم ارتد على اعقابه لقتال اريوفيست واسرع حتى بلغ في جيشه الى فيرونوسيو (بزانسون) وحاذر جنده من هول هذه الحرب وهم في بلاد جبلية معساة بالعابات يهاجمون برابرة اشداء على اهبة تامة فجمع قيصر قواد المئة من جنده (يوزباشية) وقال لهم علي من يوجسون حيفة ان يسافروا مع الفرقة العاشرة فاجابه قواد المئة بانهم يتبعونه حيثما ذهب

وقطع الجيش الروماني مجاز جبال الفوسخ ونزل الى سهل الالراس وجاء يعسكر امام العدو . والف اريوفيست معسكره من مركبانه وتحصن وراها وكان قيصر يمرت جيشه في السهل ويعيبه للقتال ثم صحت عزيمة اريوفيست على الخروج من المعسكر فداهم الجيش الروماني في ورسانه فخرج وفر جنده فطارده العدو حتى نهر الرين . وكان المهاجمون الجرمان يطردون الى خارج غاليا ولكن قيصر لم يأت مع جيشه الى ولايته بل رابط معه في وادي سون حيث قضى الشتاء وقد اخذ يعامل بلاد عاليا كالبلاد المغلوبة فاضطرت الشعوب الغالية ان تحالف رومية .

فتح شمال عاليا — ابى البلجيكيون النازلون بين نهري السين والرين وهم اتجمع شعوب غاليا كافة ان يدخلوا في محالفة رومية فتماهدوا بينهم وتحالفوا وجمعوا جميع المحاربين من ابنائهم في بلاد لاون . فحاء قيصر في الربيع في تماني فرق من الجند وعقد محالفة مع احد هذه الشعوب وهم الريمسيون وورل في معسكر حصين على رابية يفصلها عن معسكر البلجيكيين

واد ذو بطائح وظل الجيستان زمنًا احدهما قبالة الآخر واذ كان الجيش الروماني منظماً كانت تأتية النجدات من الطعام تباعاً اما البلجيكيون فشق عليهم ان يتغذوا في تلك الادغال والحراج فانفذ قيصر الايدوانيين احلافه بحروب بلاد البيلوفاكيين اهم تلك الشعوب المتحالفة ولما بلغ البلجيكيون ذلك انقضت جموعهم ليذهبوا للدفاع عن بلادهم فتخلص قيصر من جيش العدو بدون قتال وراح يطوف بلاد البلجيكيين ويهاجم مدنها الواحدة بعد الاخرى مكرهاً كل امة ان تكون حليفة لرومية وان تعطيها على سبيل الرهن رجالاً من الأسر النبيلة في بلادها .

وقد دام النيرفيون (اهل بلاد السامر) احد هذه الشعوب الجيش الروماني في عابة على شاطيء نهر السامر بينما كان يبني معسكره وهرم الفرسان الغاليين احلاف الرومان وعساكر الرجالة الخفيفة الا ان الكتاب حمت المؤخرة ونحالت دون الهزيمة فاخذ قيصر يحارب النيرفين حرباً يريد بها ابادتهم عن آخرهم . ولما احضر الجيش الروماني الشعوب البلجيكية قضى الشتاء في وسط بلاد غاليا على شاطيء اللوار .

فتح العرب — قبلت الشعوب النازلة على ضفاف البحر المحيط ان تحالف رومية وتقدم لها رهائن وما جاء الشتاء حتى تحالفوا بنهم وابوا ان يرسلوا حنطة لاطعام الجيش الروماني واسروا عندهم مندوبي الرومان الذين حاولهم في طلب ذلك ليكرهوا قيصر على ان يعيد اليهم من استبقاهم عنده من رجالهم رهينة . وكان للفتنين (سكان فاس) وهم من الشعوب الخطيرة في داك الحلف سفن حربية صنعوها من تهر البلوط وجعلت بحيت تسير على ارادة ربانها ولها مقدم مرتفع يقاوم فعل الامواج وطبقات سفلى منبسطة تستطيع ان تبحر على قيعان الشاطيء وفي البحار الصغيرة فانشأ قيصر سمّاً دات قلع في مصب نهر اللوارهاحم بها اسطول الفتنين . وصعب عليه ان يحطمه لان سفنه لم يكن لها من العلوما يكفي للوصول الى مساماة تلك السفن المييقية وكانت مراكبه داخلة في الماء كثيراً بحيث لا يتسنى لها ان تطارد مراكب عدوه في وسط العصور والقيعان وبعد اللتيا والتي صنع الرومان مساجل دات مقابض وعصي طويلة قطعوا بها الحبال التي كانت تمسك قلع سفن الفتنين فلما سقطت القلع من هذه السفن ولم يكن عندها مجاديف تقذف بها وقفت لا تبدي حراكاً فداهمها الجيش الروماني واخذها عنوة فطلب الفتنون الصلح الا ان قيصر امر باشرافهم فضربت اعناقهم وناع سائر الشعب بيع العبيد . وفي تلك المدة ايضاً كان اقتطع قيصر فرقة صغيرة من جيشه لتخضع لسلطان رومية جميع الشعوب النازلة في الاقليم المعروف اليوم باقليم نورمانديا وهناك فرقة اخرى له تحارب شعوب الاكتيين في جنوب نهر الغارون

وعلى هذا فقد اخضع قيصر في ثلاث حملات (٥٨ — ٥٦) عامة بلاد غاليا واغتنم فرصة الشتاء للعودة الى ولايته في ايطاليا المعروفة بسيزالين وفي العام التالي (٥٦) ضرب موعداً للقائدين الآخرين اللذين كانا يقاسمانه الحكم وهما بومبي وكراسوس واجتمع ثلاثتهم على تحوم ولايته في ولاية لوكس وقرروا تجديد حكومتهم لخمس سنين اخرى

حملات الى خارج غاليا — حارب قيصر خارج غاليا دلالة على سطوته واشغالا لجيشه وكان شعبان جرمانيان اجتازا نهر الرين وهاجما بلاد البلجيك فسار قيصر في جيشه وفرسان شعوب غاليا على نهر الرين بالقرب من ملتقى نهر المور وهاجم الحرمان وذبحهم مع نساءهم واولادهم ثم بنى على الرين جسرا من جذوع الاسجار وذهب لتخريب الشاطيء الايمن ولما عاد الى غاليا ركب البحر مع فرقتين (٥٥) واجتاز بحر المانش وزل الى بريطانيا (انكلترا) ولما انتأ في السنة التالية سفناً ممتعة قليلا لقل الاثقال والخيول عاد الى بريطانيا في جيش كبير واحتاز الغابات التي دافع عنها المحاربون البريطانيون حتى بلغ نهر التيمس (٥٤)

قيام الغاليين — كان الاشراف في معظم الشعوب الغالية من اشياع رومية يقاتلون في الجيش الروماني على انهم رديء من الفرسان ويعاشرهم الضباط الرومانيين وكان بعضهم من اصحاب قيصر الا ان السواد الاعظم من تلك الامم كانوا يتبرمون باولئك الجنود الغراء الذين يسرون سير السادة فانشق بعض الزعماء عن حرب الاشراف وانفقوا بينهم سرا على تهيج الشعب . وكان قيصر قد وزع جيشه على شعوب كثيرة لقضاء فصل الشتاء وذلك لان القمح كان نادراً في تلك السنة . فقرر زعماء الغاليين ان يغتصموا هذه الفرصة لمهاجمة الفرق المنعزلة وقطع مواصلاتهم فانظروا ريثما يبتعد قيصر الى ولاية سيزالين حيث ذهب لقضاء الشتاء .

الا ان شعب الكاروت (شارتر) ابدى نواجز العصيان قبل ان يتم ما يروونه مستشيطاً غضباً من ملكه الذي نصبه قيصر وحاكمه فحكم عليه بالاعدام وقتل . فباغ قيصر هذا النبا فاستعد للحرب ولما ازمعت الفرقة الرابطة في بلاد السامبر الخروج من معسكرها داهمها الايبورون وذبحوها . ورأت فرقة رومانية اخرى ان تبقى في معسكرها فاحاط بها الغاليون فاسرع قيصر وتمكن من انقاذها وعند ذلك استراحت الجنود الرومانية الى آخر الشتاء . ولما طلع الربيع ابى عدة شعوب غالية من الشمال ان يبعثوا بوفودهم الى قيصر فجمع جيشه برمته وسحقهم واحداً بعد واحد فانقم من الايبورين بتخريب زروعهم وحرق قراهم وذبح

السكان وطارد المنهزمين الى غابات آردن وما جاء الحريف الا وقد خضعت غايا الشمالية بأسرها .

الفارس فرسختور يكس — اجمع شعوب اواسط البلاد في خلال الشتاء امرهم بينهم على العصيان ثانية وبدأ الكارنثيون اولاً فداهموا مدينة سابوم على نهر اللوار فقتلوا فيها تجار الطليان كافة . وفي هذه المرة تسلم عامة الشعوب النازلين بين نهر السين والعارون لقتال الرومان وبني الاكتيون على الحياض . وبدأت الشعوب المخالفة لرومية تنزع السلطة من يد الاشراف استيعاب قيصر واقاموا زعماء جدداً ودخل هؤلاء في التحالف الغالي وكانت زعيم الثورة شائناً من اشراف ارفرنا اسمه فرسختور يكس وهو فارس يحسن الفروسية حدم في الجيش الروماني وكان صديق قيصر وحدث ثورة في بلاده اولاً وما هاج سكان القرى حتى نزع السلطة من ايدي الاشراف واصبح منكأً على ارفرنا . تم بعت برسل الى الشعوب الاخرى وجمع جيئساً وجعل من نظامه ان يحرق الحائنين ويصلم آذان الاتقين ويسمل عيونهم . فداهم الغاليون الرومانيين في آن واحد في الجنوب من ولاية بروفنسيا (من اقليم لانكدوك) وفي الشمال من البلاد الواقعة بين نهري السين والسون حيث كانت ترابط الفرق الرومانية واضطر قيصر ان يجتاز جبال سيفن وهي مكللة بالتلوج واكره فرسختور يكس من رجاله ان يعود للدفاع عن بلاده فانسع الوقت لقيصر ان يجمع جيشه بالقرب من سانس ويذهب فيه الى اقليم اللوار لحرب فرسختور يكس جميع البلاد وجعل المدن قاعاً صفصفاً لتكون قفراً لا يجد فيها العدو شيئاً يطعمه بيد ان البيطور يجيبين لم يقبلوا بتحريب مدينتهم افاريكوم ودافعوا قيصر عنها زمناً

بعت قيصر في الربيع (٥٢) فيلقاً لمباغثة شعوب السين وذهب بنفسه في معظم جيشه للهجوم على جر كوفيا قلعة الارفرنيين فرد على اعقابه وخرج موقفه اذ لم يكن لديه طعام (لحراب مخازن ذخائره في رفر) وهو محصور بين شعوب الارفرنيين والابدوانييين الذين ذبحوا التجار الطليان ومع ذلك اصر على عدم اخلاء عاليات وتمكن من الوصول الى سانس . وفي خلال ذلك عين المجلس المؤلف من مندوبي جميع الشعوب العالية الرعيم فرسختور يكس قائداً عاماً على الجيوش العالية

فاستدعى قيصر من جرمانيا فرساناً اخذهم لحساب رومية وقاد جيشه من ناحية سون واعلمه فعل ذلك ليتمكن من مراسلة بروفنسيا فنبهه فرسختور يكس في جيشه وحاول ان يقطع عنه مواد الطعام ورمى الجيش الروماني وهو في مسيره بفرسانه الغاليين فهزمهم فرسان الجيش الغالي ورجع فرسختور يكس على اعقابه الى مدينة اليزيا الحصينة في بلاد

الآكام بين نهر السون ومصب نهر السين فنبعه قيصر وحاصره فيها جاعلاً حول اليربا سوراً تعلوه دائرة مجنحة ذات أبراج يحميها مخندق .

وصل جيش من الغاليين لرفع الحصار عن جيش فرسجتوريكس ودايم الرومانيين ولكن حال دون الوصول اليه ذلك السور الذي اقامه قيصر من ناحية الحلاء . وبعد اشتباك القتال بين الجيشتين رُدَّ الجيش العالي على اعقابه وفرق شذر مذرف فلم يبق عند الجيش المحاصر في اليزيا شيء من الراد فسلم فرسجتوريكس (٥٢) فبعت به قيصر الى رومية حيث قضى ست سنين سجيناً ثم شهد حفلة انتصار قيصر وصرب عنقه .

وهكذا انتهى العصيان العام . وقضى قيصر سنة اخرى في احصاء الشعوب التي كانت تقاوم واحداً بعد الآخر فابادها . وكان يفاخر بأنه دبح في ثماني سنين مليوناً من السكان وانه اسر منهم مليوناً آخر باعه ببع العبيد وقضى سنة اخرى لتنظيم شؤون حكومة االيا وبعد ذلك صفا الجو لرومية مهلاك اعدائها . وقد وسد قيصر الحكم الى الاشراف اشباع الرومان والفرقة من العاليين لقبوها بالسنبوب وكان جيشه المدرب يحبه لخدمته نفسه ان يستخدمه في الاستيلاء على المملكة الرومانية باسرها . فحُصعت االيا لرومية مباشرة وانقسمت ولايات ولكن نظمها لم يتم الا على عهد اعسطس .

عاقبة الجمهورية

كانون الاوتيكي — فيما كان القواد يتنازعون بينهم فبمن يستأثر بالسلطان على العالم الروماني اشتهر رجل تعلقه بالدستور الجمهوري القديم الذي احدث في روما في التداعي لم يلبث ان انتحر وكان كانون هذا هو الملقب بعد كانون الاوتيكي باسم المدينة التي انتحر فيها .

كان هذا الرجل من أسرة شريفة من احلاف كانون ورير الاحصاء الشهير والمدافع عن الاخلاق الرومانية القديمة كتب له ان يكون صاحب ثروة طائلة وهو شاب بعد . وكان قد تعلم فلسفة الرواقيين وجرى عليها فاشأ يعيش عيش الرهاد يأكل قليلاً ويشرب قليلاً ولا يتطيب وعود نفسه احتمال الحر والبرد الشديد يسافر ماشياً في كل فصل من فصول السنة حتى مع اصحابه الراكبين خيولهم ولا يلبس الا ثياباً بسيطة رثة وقد وقع له ان خرج بدون حذاء .

ولما أرسل قائد الاحد الحيوش الى احدى الحروب (بموجب امتياز فنيان الاشراف) احبه حمده واحترموه اذ رأوه يعيش متلهم عيشاً بسيطاً ولما وسدت اليه نظارة المالية عي بالظرف في الحسابات بنفسه على العكس فبمن كان قبله من الاشراف يتولون هذه النظارة

فأبهم كانوا يتركون الكتاب ينظرون في شؤون المالية وحدهم وبذلك اكتشف ترويرات
الكتبة وحاكم المرتكبين واشهر بعيرته وكان لا يأخر عن جلسة من جلسات مجلس الشيوخ
او مجلس الامة فصار يضرب المثل لشرفه واصبح القوم يقولون عن الامر المتعذر « لا يمكن
تصديق هذا ولو قاله كاتون »

وكان كاتون يقوم بما يعتد به واجب عليه دون ان تأخذه رأفة او ناله رهبة .
وحاول ان يحكم على مورينا لانه انتاع اصوات الامة حتى اتخته قمصلاً فراءه شيسرون
وكان ادراك قنصلاً بخطاب سحريه من فلسفة الرواقيين فقال كاتون « حقاً ان لنا
قنصلاً محمكاً » واقترح قيصر في مسألة المشتركين في قتل كاتانينا ان يتأخر اعدامهم
لأبهم روموا قضية فاستد كاتون على قيصر و اشار الى مجلس الشيوخ ان يأمر باعدام الجناة
في الحال فلم يسمع المجلس الا ان يقرر قتلهم .

ولما اقترح يومي سن قانون يسمح له بادخال جيشه الى رومية حلاقاً لما رسمه الدستور
استشاط كاتون غضباً في حادثة مجلس الشيوخ من المحامي متلوس الذي اقترح وضع
القانون وصرح بانه ما دام حياً لا يدخل يومي الى المدينة مسلحاً ولما جاء متلوس الى الساحة
في جيش من العبيد المسلحين الموافقة على القانون احترق كاتون صفوف الجماعة وفقد
بالقرب من متلوس ومنه من قراءة مشروعه فجاء العبيد ادراك صارحين يرمون بالحجارة
و يضربون العصي فهرب الشعب وبني كاتون فانقذه مورينا بان جرد الى احد المعاندو عاد
الشعب وصعد كاتون على المنبر وحطب في سيئات هذا القانون فابى متلوس ان يعرضه وذهب
الى آسيا ليحقق بيومي

ولما اتمى قيصر ويومي وكان قيصر قنصلاً اقترح سن قانون فلم يجرأ غير كاتون على
قناله فانزله قيصر من المنبر بواسطة رجال الشرطة وبعث به الى السجن وظل كاتون يتكلم
في الطريق وقد تبعه جمهور من اعضاء مجلس الشيوخ فعزم قيصر ان يحلي سبيله ولخلاص
منه ارسلته الحكومة الى قبرص ليطرده منها الملك بطليموس دون ان يعطوه جيتماً واد كان
هذا الملك اتهم لم يبق على كاتون الا ان ينظم قسمة بما حلف الملك من الكنوز فاقى الى رومية
تبلغ كبير واستقبله مجلس الشيوخ احسن استقبال وتقدم للانتخاب قاضياً وكانت القبيلة
الاولى وافقت على انتخابه واد كان يومي رئيس المجلس لم يربداً من ان يدعي ان السماء
ترعد واعل بانقضاء الجلسة (والرعد طالع شؤم كما عرفت في بعض الفصول السابقة)
وعند ما اقترحوا ان يعطوا لقيصر جيشاً تقدم كاتون الى يومي ولطالما شغل الاول قتال
الثاني وحضه على الحذر من قيصر فبقي يومي عدواً لهذا . وهذا لم يمنع كاتون عند ما رأى

المنافسين في الحكومة يقتتلون في المدينة من معاهدة اقتراح المقترحين ان يعينوا بومبي وحده قصداً عند ما انترب احدهما من صاحبه ولما زحف قيصر على رومية بحيثسه لفتح كاتون لمجلس الشيوخ ان يلبى الى بومبي بتقاليد الحكم باحمه قائلاً على من عمل التتر ان يتلافاه . وتبع بومبي الى خارج ايطاليا ومنذ داك العهد اطلق شعره ولحيته علامة على الحزن واتشار باطالة زمن الحرب وكان يحاف من عاقبة قتال يقتل فيه الرومانيون بعضهم بعضاً ولما بلغه هرمة فارسال سافر الى مصر يريد الالتحاق ببومبي ووقف في افر بقية حيث كان لاحد اتباع بومبي جيش وتولى الدفاع عن مدينة اونيكييا

واد هرم قيصر جيش افر بقية اقترح كاتون على الرومانيين المازلين في اونيكييا ان يحاصروا وابوا فاطلق كاتون جميع اعضاء الشيوخ الذين لحوا اليه تم استقم وتعتى مع اصحابه واحذ يحوض في المباحث الفلسفية ولما حان وقت اليوم طالع محاورة لافلاطون في حلود النفس والتمس سيفه الذي كان رعه انه عه معاصباً فاحمره اليه لجعلد على مقربة منه وبام فاستيقظ عند الفجر تم طعن نفسه في صدره وكان عمره ٤٨ سنة .

فارسال - لم يبق في الملاد بعد وفاة كراسوس عبر بومبي وقيصر وكلاهما يود الاستئثار بالسلطة وكان من تقدم بومبي على صاحبه انه كان في رومية مستولياً على ازمة مجلس الشيوخ وكان مع قيصر جيش عاليا المدرب على الحروب منذ تلامي سمين قصاها في الحملات .

فاتخذ بومبي حطة المحو واستصدر من مجلس الشيوخ امراً بان يترك قيصر حيثسه ويحيى الى رومية فعقد قيصر اذ دال عزمه على اختيار حدود ولايته (وكان الحد هو نهر روبيكون) وزحف على رومية . ولم يكن عند بومبي جيش في ايطاليا للدفاع فركن الى الفرار مع اكر الشيوخ من الساطي والآخر من بحر الادرياتيك وكان له عدة جيوش في اسبانيا واليونان وافر بقية شنت قيصر شملهم واحداً بعد الآخر فهرم جيش اسبانيا سنة ٤٨ تم جيش اليونان في فارسال سنة ٤٨ فجيش افر بقية سنة ٤٦ ولما غلب بومبي في فارسال لحا الى مصر فقبله ملكها .

حكم قيصر - ولما رجع قيصر الى رومية عه اليه بالامر لمدة عشر سمين فصار الحاكم المطلق تم حارب جيوش اتباع بومبي في افر بقية وساد جميع البلاد الخاضعة للرومان واحتل في رومية نظمه باربعة اعداء العالين والمصريين وملك بحر الخمر في آسيا الصغرى وملك النوميديين حليف البومبيين في افر بقية (لم يكن من الياقة بان يهاجر لتعلمه على جيش روماني) .

فقام مجلس الشيوخ لقيصر بالتشريفات الدينية فاعطاه اولاً كرسيّاً اعلى من مقاعد

القنصل ولقبه بالاول تم حوله الحق ان يحمل تاجاً من العار (وكان ذلك من حق الارباب) ومجده لقب «ابو الوطن» وامتدح احتفالات والعاباً اكراماً له واقام له تمثالاً خطوا فيه الفاظ التعظيم وعهدوا الى الكهنة للاحتفال بعبادة رب يوليوس قيصر . ومن الممكن ان يكون قيصر طمع في لقب ملك ومع هذا دعا نفسه بالامبراطور وقبل بان يلبس توناً ارجوانياً وان يجلس على عرش من ذهب ويرسم خوذته على النقود .

واحتفظ قيصر بمجلس الشيوخ وجميع المناصب وهو الذي كان يعين المرشحين الدين يقضى على الشعب انتخابهم وهو الذي وضع قائمة بمجلس الشيوخ وكان هالك كسرون من الشيوخ فبلغ عدد الاعضاء الى تسعمائة ومعظمهم من النجاة وكثيرون منهم من الغالين ولم يقض في رومية غير خمسة عشر شهراً من حيث المجموع مما اتسع له الوقت ان يقوم بالاصلاحات التي كان ينويها (ما عدا تقويم السنين) تم قتله ندماً وانه الذي كانوا يربون في اعادة حكومة مجلس الشيوخ (٤٤)

احد الحكام الملائكة --- اضطر الشعب الروماني وكان يحب قيصر رعيه قتله وها روتوس وكاسيوس ان يهربا فنجيا الى الشرق حيث حيثاً عظيماً وظل العرب تحت حكم ايطونيوس الذي اعتمد على جيش قيصر فحكم رومية حكماً استبدادياً وكان قيصر تبي ابن اخته او كثاف وعمره ثمان عشرة سنة بوصية اوصى بها فسمي بحسب العادة الرومانية باسم متببيه ودعا نفسه يوليوس قيصر الاوكتافي . فصم الى حزنه جند قيصر وعهد اليه مجلس الشيوخ ان يحارب ايطونيوس واعد ان تغلب عليه آثر الاشتراك معه لاقتسام السلطة فاتفقوا مع بريدوس ودخلا بلائهم الى رومية واستولوا على الامر استيلاءً مطلقاً مدة خمس سنين تحت اسم الحكام الثلاثة المعهود اليهم تنظيم المسائل العامة . وشرعوا في حصرهم واعدائهم الخاصة (فامر ايطونيوس بضرب عنق تيشرون) (٤٣) ثم ذهبوا الى الشرق لتثبيت جيوش التحالفين وبعد ذلك انقسموا المملكة بينهم . ولم يدم الوفاق بينهم طويلاً بل قاتل بعضهم بعضاً في ايطاليا حتى توسط جندهم في الامر واضطروهم الى العودة لما كانوا عليه من الاتفاق تم جرى تقسيم المملكة من جديد فاصبح ايطونيوس ملك الشرق واوكتاف ملك العرب (٣٩)

حرب الاكتيوم - دام السلم بضع سنين فاحد ايطونيوس يعيش عيش ملك شرقي مصاحباً لكلو بطرة ملكة مصر وشغل اوكتاف قتال ابن يوبي الذي كان تحت امره اسطوله يحرب به سواطي ايطاليا . وانتهت الحال بهذين الملكين بانقطاع علائقهما فنشبت آخر حرب بينهما وكانت حرباً بين الشرق والغرب تمت بحرب اكتيوم البحرية واسلم اسطول

كلو باطرة انطونيوس صاحبها فلما الى مصر وانحروني اوكتاف وحده صاحب المملكة المطلق (٢١) وكان قد انتهى امر حكومة مجلس السيوخ .

تقرير السلطة المطلقة - شكك الناس كلهم من هذه الحروب وكان سكان الولايات يؤحدون فداءً ويسبي الجنود معاماتهم ويقتلهم تقتيلاً يضطرونهم كل فريق من الحكام ان يحازوا اليه ويعاقبهم الغالب على اهتمامهم الى المألوف . وكان القواد يعدون الخند بان يكافئهم اعطائهم اراضي يستعملونها فيطردون منها عامة سكان مدينة ليحل محلهم قدماء الاجناد . وكان اغنياء الرومان يحاطرون ثروتهم وحياتهم ومتي غلب حرمهم يصبحون العوبة في يد الغالب يتصرف فيهم بما يشاء . فقد وضع سيلا مثلاً من المذابح المدبرة (٨١) وبعد اربعين سنة (٤٣) جدد انطونيوس اوكتاف امر القتل بدون محاكمة

واقدر كان شعب رومية نفسه يتكو من سوء هذه الحالة فلا تصل الى رومية الجيوب التي هي مادة عدائه على طريقة مطردة بل كانت تقع في يد قرصان البحر او يهبها اسطول العدو فبعد ان مضى قرن على طريقة هذا الحكم لم يعد للجميع من الروما وسكان الولايات والاعنياء والفقراء رغبة في غير السلام وعدوها تقدم الى ذلك الشعب المنهوك بالفتن الاهلية وارت قيصر ابن اخته اوكتاف احد الحكام الثلاثة - تقدم اليهم بعد ان تغلب على رصيفيه قال المؤرخ تاسيت وقبض بيده على جميع سلطات الامة ومجلس السيوخ والحكام . ولم تمض صغ سنين الا وقد اصبح سيدا على رومية وليس بعد هذا من لقب فلم يعد يفكر احد في مقاومته وقد اعلق معبد جانيوس وبشر في العالم الوية السلام وهذا كان ما يطلبه العالم باجمعه وذلك لان حكومة الجمهورية بواسطة مجلس السيوخ لم تكن تمثل غير الشعب والحروب المدنية فكانت النفوس تطمع في رجل يكون من القوة بحيث يحول دون الحروب والمورات وعلى هذا الوجه أسست الامبراطورية الرومانية .

اغسطس

نظم الحكومة الملكية - يقضي نظام الحكم الجديد الذي وضعه وريت قيصر ان يكون الحكم المطلق بيد رجل واحد يدعى الامبراطور اي الرجل المدر الامر وله الحق ان يتولى السلطات اسرها التي كانت مورعة بين الحكام القدماء فيرأس مجلس السيوخ ويجمع الجيوش كلها ويقودها ويضع قائمة باسماء اعضاء السيوخ والفرسان والوزيرون ويجبي الضرائب وهو القاضي الاكبر والمبرر الاعظم وله سلطة القضاة . ولبيان ان هذه السلطة قد جعلته رجلاً فوق الرجال من البشر لقبوه بلقب ديب وهواء طس او اعست ومعناه المحترم لم ننظم شؤون المملكة بتورة انت على كل اصطلاح قديم ولم يبلغ اسم « جمهورية »

وانقضت ثلاثة قرون واعلام الحدود لا يزال يكتب عليها اربعة حروف من اول اربع كلمات S P. Q R ومعناها مجلس الشيوخ والتعب الروماني ولكن اجتمعت السلطة التي كان يقاسمها اتخااص كنير ون في يد واحد وبدلاً من ان يتولاها سمة فقط اصبح يتولاها طول حياته فالامبراطور هو الحاكم الفرد مدى حياته في الجمهورية وفيه يتجسد الشعب الروماني ولذلك كان مطلق التصرف .

مجلس الشيوخ والتعب — بقي مجلس الشيوخ الروماني على ما كان عليه قديماً مجلس اعيان الاعنيا . واكثر الوحوه حرمة في المملكة فكانت عضوية المجلس تعد من الشرف المرعوب فيه فادا ارادوا ان يقولوا الاسرة العلانية كبيرة يقولون هي اسرة شيوخ ولكن مجلس الشيوخ على حرمة لم تعد له سلطة لانه لا يتأقى الامبراطور ان يستغني عنه ولم يرح مع هذا اول قوة حاكمة في الحكومة وان لم يكن المسيطر عليها وكان يتظاهر الامبراطور احيانا بانه يريد احد رأيه ولكنه لا يعمل بمشوراته .

فقد الشعب كل سلطة اد اُغيت محاسنه مد عهد تير . واصبح جمهور الامة المردحم في رومية لا يتألف الا من بضعة الوف من كبار السادة مع عبيدهم ومن حليط من التحالفين وكانت الحكومة قد تعهدت باطعامهم ودام الامبراطرة يوزعون عليهم الحسطة ويرضون لهم شيء من النقود فاعطى اعسطس سبعمائة فرنك عن كل رأس تسع مرات واعطى ديرون ٢٥٠ فرنكاً ثلاث مرات عن كل رأس .

نم ان الحكومة كانت تقيم مشاهد لتسلية هذا العواء . وكان عدد المشاهد المطامية ٦٦ يوماً في السنة على عهد الجمهورية وبلغت بعد قرن ونصف على عهد مارك اوريل ١٣٥ يوماً وفي القرن الخامس وصلت الى ١٧٥ يوماً دع عنك الايام الاضافية

وتدوم هذه المشاهد مد شروق الشمس الى غروبها فيتناول المنفرجون طعامهم في الساحات . وهذا ما كان الامبراطرة يتحدثون منه طريقة امينة لاشغال العامة . قال احد المماليخ لاعسطس . لئانذك باقيصر يعني الشعب بما . بل كانت هذه المشاهد واسطة لاستئالة قلوب الامة للامبراطور فكثيرا ما كان اقبج الامبراطرة اكثرهم حظوة عند العامة وكان ديرون (الظالم) يعبد لانه قام بالاعاب لطيفة فلم يصدق العامة بانه مات وكان ينظر قدومه بعد ثلاثين سنة من موته .

وما كان العامة في رومية يحتون عن تولي الامور بل غاية ما تطال اليهم نفوسهم ان يتسلوا او يأكلوا كما قال جوفينال في عبارة له « خير والاعاب الميدان »
التأليه — الامبراطور وحده سيد المملكة ما دام حياً لان الشعب الروماني يتحلى له

عن كل سلطة ومتى مات يجت مجلس الشيوخ فيما اتاه في حياته ويحاكمه باسم الشعب فاذا حكم عليه تبطل جميع اعماله وتخطم تمثله ويمحي اسمه من المصانع والآثار (١) واذا اقر على اعماله (وهو ما يحدث غالباً) يقرر مجلس الشيوخ بان الامبراطور مات وقد ارتقى الى مصاف الارباب .

وقد عدا معظم الامبراطرة ارباباً بعد موتهم على هذه الصورة فكانت تقام لهم معابد وعهد الى كهن ان يقيم لهم الشعائر الدينية وقد كان في جميع اجراء المملكة معابد رسمت باسم الرب اغسطس والربة رومية واشتر عن انتخاب انهم قاموا بوظائف كهن للالهى كلود وللهى مريازين وهذه العادة في تأليه الامبراطور المتوفى كانت تسمى «التأليه» والسكنة يونانية وانتقلت عاداتها من يونان الشرق على ما يظهر

ادارة الولايات - كان تلتائة او اربعائة أسرة شريفة في رومية تحكم البلاد وتستقر باقي المعمور منذ الفتح الروماني فحاء الامبراطور ينزع منهم الحكومة ويجمعهم لسلطان ظمه . حتى اصبح كتاب الرومان يشنون من فقد حريتهم المسلوقة ولم يكن لسكان الولايات ما يأسمعون عليه بل ظلوا رعايا ولكن بدلاً من ان يرأسهم عدة مئات من الرؤساء يتناوبون الحكومة على الدوام ويحيئونهم بنهجين للعى اصبح لهم رئيس واحد وهو الامبراطور يهتم بالنظر في امرهم . واقد اوجرتير السياسة الامبراطورية بما يأتي «الراعي الصالح يجز صوف عمه ولا يتعمد» فمضى زهاء قرنين وقد اكتفى الامبراطرة بحز سكان مملكتهم يسلبون منهم كثيراً من الاموال واكسبهم يحموهم من العدو الخارجي بل من عمالهم انفسهم . وعند ما كان سكان الولايات يتكون من الفظائع ومن سرقات حكامهم كانوا يستعدون الامبراطور فيعديهم . وكان من المعروف عند القوم ان الامبراطور يقبل الشكوى على صراطه وهذا كان يكفي لادخال الرعب على قلوب الولاة الفاسدين وادخال الطمأنينة على رعاباهم

الولايات كلها ملك الامبراطور (٢) . لانه يمثل الشعب الروماني فهو قائد جميع الجنود وسيد الناس طراً ومالك الاراضي كافة (قال الفتيه كايوس ليس لنا في اراضي الولايات الا التمتع بها والامبراطور وحده مالك لها) واذا كان من المتعذر ان يصب الامبراطور في كل ولاية عنه الوكلاء الذين يختارهم نفسه يرسل الى كل ولاية بصائط (يسمونه مندوب اغسطس لتولي وظيفة القضاء) وهذا المندوب يحكم البلاد ويقود الجيش ويطوف في

(١) عثر على كتابات محي منها اسم دوميتسين على هذه الصورة

(٢) ترك اغسطس لمجلس الشيوخ بعض ولايات من اقل ولاياته مبرلة ولكن ظل

فيها حاكماً متحكماً مثل ولاياته الخاصة كانه صاحبها

ولايته ليفض المصالح المهمة و بيده الحياة والموت كالامبراطور . ويبعث الامبراطور ايضا بمحافظ لحجي الحراج وادخال المال في صندوق الامبراطور (ويسمونه نائب اغسطس)

فالصابط والمحافظ يمتلان الامبراطور ويحكمان على رعاياه ويقودان جنده ويثبتان ملكيته . ويختارهم الامبراطور اذ امن الطبقتين الشريفين في رومية يختار الصباط من مجلس الشيوخ والمحافظين من الفرسان وهو لاء العمال مراتب للسريفة على نحو ما كان الحكم في رومية القديمة يندرجون من ولاية الى اخرى ذاهبين من طرف المملكة الى طرفها (١) فمن سورية الى اسبانيا ومن انكترا الى افريقية . واذك لنقرأ في الكتابات المكتوبة على قبور رجال ذاك العهد جميع المناصب التي شغلوها مبينة احسن سان . وكتابة قبورهم تكفي لبيان تراجعهم . ما تولد من اعمالهم

الحياة البلدية - وكان تحت هو لاء العمال الكبار الذين يملون الامبراطور وهم لا يسألون عما يفعلون اناس من العامة الحاضعين يديرون شؤون انفسهم بانفسهم وللامبراطور الحق في ان يتدخل في شؤونهم الداخلية الا انه لا يسيء في العادة استعمال هذا الحق . فيطلب اليهم فقط ان لا يجاروا وان يدفعوا على وتيرة واحدة ما يفرض عليهم من الاموال وان يحاكموا امام محكمة الوالي . وكان في كل ولاية كبير من الحكام المحكومين ويسمون اهل المدينة او البلديون ومن هنا جاءت كلمة الحكم البلدي والمجلس البلدي تحري كل مدينة خاضعة للامبراطورية في ترتيباتها على مثال رومية نفسها فيكون لها مجلس الشعب وتنتخب حكامها لسنة ويقسمون الى فرق في كل فرقة عضوان ومجلس الشيوخ مؤلف من كبار ارباب الاملاك والاعماء وارباب الاسر القديمة وفي الولايات كما في رومية لا يكون مجلس الامة الا صورة والحكم للمجلس الشيوخ اي للاشراف

من العادة ان يكون مقر الولاية مدينة اي مثل مدينة رومية مصغرة ولها معاندها واقواس نصرها وحماماتها العامة واحواضها ودور تنميتها وميادين قتلها والعيثة فيها عيثة مصغرة من عيش رومية فتوزع الحنط . والدرهم على الفقراء وتولم الولايات العامة وتقام الحفلات الدينية الكبرى والالعب الدموية . الا ان رومية تقوم بما يجب لذلك من النفقات تأخذ من مال الولايات اما في الولايات فان الاشراف يقومون بالانفاق على حكومتهم واعيادها . والحراج الذي يجبي لحساب الامبراطور يحمل كله اليه ولذلك

(١) قال الفيلسوف ابيكيت لا يقدر كبار الرجال ان يتأصلوا في الارض كالنباتات بل عليهم ان يسبحوا كسيرا لاطاعة اوامر الامبراطور

يقضى على اعداء كل مدينة ان يقوموا بما يقنضي من النفقات للاحتفال، بالالعب واحماء الحمامات وتبليط الشوارع وبناء الجسور والمجاري والساحات . قاموا بذلك مدة تزيد عن قرنين وانفقوا عن سعة شهدت بذلك المصانع المنبئة في ارض المملكة وألوف من المكتوبات على الاحجار

المستعمرات - تقيم رومية في البلاد التي تشك في خضوعها لها حيشاً صغيراً تسكنه فيها فيبني مدينة تكون حصناً حصيناً وتبعت اليه بأناس من الوطنيين الرومانيين يكونون حندا وفلاحين في آن واحد ويجري الجيش الاراضي المجاورة الى حصص متساوية توزعها عليهم وهذا ما يسمونه مستعمرة

ويبقى المستعمرون وطنيين رومانيين ويحضعون لجميع ما تأمر به رومية . وتختلف المستعمرة الرومانية عن المستعمرة اليونانية - التي كانت كثيراً ما تشق عصا الطاعة حتى انها لتحارب آتينة نفسها - بان تكون ابنة حاضعة لامها فليست المستعمرة الاحامية رومانية مرابطة بين الاعداء . وكانت اكثر هذه المحطات العسكرية في ايطاليا ولكن كان منها في مكان آخر مثل مستعمرة فاربون وليون وآرل فاما كانت مستعمرات رومانية .

حيث التحوم - لم يكن في المدن الداخلية جيش روماني لان سكان المملكة لا يرون الانقراض على الحكومة فلم يكن للمملكة اعداء الا على الحدود وكان الاجانب ابداء على استعداد من مهاجمتها فالجرمان وراء سهري الرين والطونة ورحالة الصحراء وراء رمال افريقية ووراء الفرات جيوش المملكة الفارسية

ولدا كان من اللازم اللازم اقامة حند يكون على قدم الاستعداد على تلك التحوم المعرضة ابداءاً للتهديد ادرك اعسطس ذلك فاتاً جيشاً دائماً فلم يكن جنود الامبراطورية من اصحاب الاراضي يؤخذون من حقوقهم ليخدموا في الجندية بعض حملات بل كانوا اناسا من الفقراء جعلوا الحرب صناعة لهم فيدخلون الجندية ليخدموا فيها ست عشرة سنة او عشرين سنة وربما جددوا هذه المدة

وعلى هذا كان للامبراطورية في رومية ثلاثون فرقة من الوطنيين اي ١٨٠ الفاهم بموجب العادة الرومانية مساعدون فيبلغ مجموعهم نحو ٤٠٠ الف رجل على التقريب وكان هذا الجيش قليلاً بالنسبة لعظم تلك المملكة

ولكل ولاية على الحدود جيش صغير بعيد في معسكر دائم يتببه قلعة يجبي الباعة ينزلون بقرها فلا يعتم المعسكر ان يصبح مدينة وهكذا يعسكر الجند نازاء العدو فيحفظون

شجاعتهم ودربتهم . مضت ثلاثة قرون والجند الروماني يدخل في كل حرب زبون مع الدابة المتوحشين ولا سيما على ضفاف الرين والبطونة في بلاد ندية فاحلة مغشاة بالغابات والمستنقعات . وربما بذل الجند الروماني في هذه الحروب التي لا نتيجة لها من الشجاعة والشهامة أكثر مما بذل قدماء اليونان في فتح العالم

الآداب - لم يكن الرومان بالطبع أمة فنون وقد أصبحوا كذلك فيما بعد مقتفين فيها أثر اليونان . فمن يراهم أخذوا نمودجاً من فاجعاتهم وقصصهم الهلالية وملاحمهم وانشيدهم وأتعارهم الفلسفية والعامية والتاريخية . واقتصر بعضهم على ترجمة الاصل اليوناني (كما فعل هوراس في أناسيده) وكلهم اقتبسوا من اليونان افكارهم ومناحيهم ومزجوها عند ما احتذوا مثالها بما عرف فيهم من صفات الصبر والشهامة حتى صارت بعض آثارهم غريبة الغرائب في أسلوبها

وانفق الرومان على ان العهد الذي أزهت فيه الآداب اللاتينية حقيقة كانت الحسين سنة التي قضاها اغسطس في الحكومة فهو الوقت الذي نبغ فيه فرجيل وهوراس واوفيد وتيبول وبروبرس وتيت ليف ولكن عصر اغسطس (كما يسمونه) قد سبقه ولحقه قرنان ربما عادلاء في اخراج النوابع في الحيل الاول (القرن الاول قبل المسيح) ظهر الشاعر العربي المدهش لوكريس وقيصر رانير ناتر وشيرون اخطب حطيب وفي الجيل اللاحق كتب سيبك ولوكين وتاسيت وبلين وجوفنال ما كتبوا

وبعض هؤلاء المؤلفين العظماء فقط من أسرة رومانية ومعظمهم ايطاليون وكثيرون من الولايات مثل فرجيل من مانتو وتيت ليف من نادو (في االيا) وسيبك اسباني . وكأن الفصاحة هي الفن الوطني حقاً في رومية فكان الرومان كالطليان في ابامنا يحبون الكلام علناً . وكان الخطباء يأتون الى ساحات الاجتماع حيث تلتئم مجالس الامة في أواخر عهد الجمهورية يخطبون ويكثرون من الحركات وسط دوي القوم وشيرون اعظم أولئك الخطباء وهو الوحيد الذي بقيت بعض قطع من خطبه

ولما سقطت الجمهورية انقضت أيام المجالس فقدت الفصاحة لقلة المادة

اللغة اللاتينية - انتفعت آداب اللغة اللاتينية بفتوحات رومية فنقلها الرومان مع لغتهم الى رعاياهم المتوحشين في الغرب فتناسى جميع شعوب ايطاليا وغاليا واسبانيا وافريقية وضاف البطونة لغاتهم الخاصة وتعلموا اللغة اللاتينية . ولما لم يكن لهم آداب وطنية خاصة اقتبسوا آداب حاكميهم فتكلم اهل الامبراطورية اذ ذاك بلغتي الشعبين الكبيرين القديمين فظل الشرق يتكلم باليونانية واخذ العرب باجمعه يتكلم باللغة اللاتينية

فلم تكن اللاتينية اللغة الرسمية للوطنيين وكبار الرجال فقط كما هي الانكليزية لعهدنا في الهند بل ان الامة نفسها تتكلم بها ما امكن من الصحة بحيث ان القوم في اوربا بعد انقضاء ثمانية عشر قرناً ما برحوا يشكون الى اليوم بحمس امات مشتقة من اللاتينية وهي الايطالية والاسبانية والبرتغالية والفرنسوية والرومانية

وانتشرت الآداب اللاتينية مع اللغة اللاتينية في عامة انحاء الغرب لما كانت تدرس في القرن الرابع في مدارس نوردو واوتون غير شعراء اللاتين وخطبائهم وظل الاساقفة والقسيـدون بعد هجوم البرابرة يكتبون باللغة اللاتينية ونقلوا هذه العادة ايضاً الى شعوب انكلترا والمانيا الذين احتفظوا بلغتهم الجرمانية . فباللاتينية كتبت في القرون الوسطى السجلات والعقود والشرائع والتواريخ والكتب العلمية . وفي الادبار والمدارس لانقراً ولا نسج ولا تعتبر غير الكتب اللاتينية وما عدا كتب العبادة لم يعرف غير مؤلفي اللاتين امثال فرجيل وهوراس وشيترون وبلين لجور وما كانت النهضة العصرية الاورية الا عبارة عن احياء ما فقد من آثار اقلام كتاب اللاتين واصح النسخ على متوالهم اكثر من دي قبل . فكما ان الرومان انتسوا لانفسهم آداباً خاصة لتقليدهم اليونان هكذا صار المحدثون من الاوريين يسجون على مثال كتاب اللاتين . وليت شعري هل عاد ذلك بحيرام بشر؟ ومن يجراً ان يفوه بذلك؟ فما لاجدال فيه اذ ان لعائنا الرومانية الاصل هي بنات اللاتينية وان آدانا طامحة بالافكار والمنازع الادبية الرومانية وان العالم العربي باسره مصبوع نصبة الآداب اللاتينية .

الصناعات - عثر الباحثون بكثرة على تماثيل وصور بارزة رومانية اقتتها الايام من عهد تلك الحكومة منها ما نقل عن الآثار المصرية ويكاد يكون معظمها تقليداً لها ولكنها اقل من الاصل لطفاً وذوقاً . ومن اغرب الانودجات الباقية النقوش البارزة والصور النصفية والنقوش البارزة كانت تزدان بها المصانع (كالمعابد والعمد واقواس النصر) والقبور والنواويس تمثل بها احسن تمثيل مشاهد حقيقية وحفلات ونذوراً وحر وناوماً وكل ما يحنطها علماً بالحياة السالفة . وان النقوش البارزة التي جعلت حول اعمدة تراجان ومارك اوريل لتجعلانا كأننا نشاهد مشاهد حر وها العظيمة بتلك الرسوم تمثل لك الجنود ثقاتل البرابرة ويحاصرون قلاعهم ويأتون بالاسرى كما تشاهد النذور العامة والامبراطور يحطب شعبه والصور النصفية هي في الاكثر صور الامبراطرة وسائهم واولادهم واذ كترت تماثيلهم في اطراف المملكة باسرها عثر على كثير منها . حتى ان عند جميع المتاحف اليوم مجموعة من الصور النصفية الامبراطورية وهي صور حقيقية وربما كانت تشبه باصحابها كل

التبهاذ يرى فيها سماء كل امبراطور واضحة اي وضوح وكثيراً ما تكون بتعة مستكرهة بحيث لم يحاول النقاشون ان يرينوها ويحفوا من سخنات المصورين

فعلم البناء هو الفن الروماني احيائي لانه يقوم بحاجة عملية وفيه ايضاً قلد الرومان اليونان باخذ الاروقة والعمد ولكن كانت لهم طريقة لا يستعملها اليونان وهي العقود (الاقبية) اي فن وضع الاحجار المنحوتة تدعم بعضها بعضاً على شكل قوس مربع . فبالعقود تسمى لهم ان ينشئوا النية اوسع واكثر نفناً من انية اليونان

المصانع - اليك اهم انواع المصانع الرومانية منها «المعبد» وهو كثيراً ما يتبها المعبد اليوناني وله دهليز متسع ويكون احياناً اكثر سعة تعلوه قبة . ومن هذا النوع معبد البانثيون الذي بني في رومية على عهد اغسطس . ومنها «الكنيسة الكبرى» وهي بناء مستطيل طويل تعلوه سقف وتحيط بها اروقة وفيها ينصدر الحاكم يحيط به نوايه وفيها يجتمع التجار ليتجادلوا في ثمن البضائع والكنيسة هي «بورصة» ومحكمة مما . وفي الكنائس الكبرى اقيمت بعد ذلك مجالس المسيحيين وظلت الكنائس النصرانية قروناً محتفظة باسماء الكنائس الرومانية واتكأها

ومنها المرازح (المرايح) ذات الدرجات «افنيائر» والملاعب وهي مؤلفة من عدة طبقات واروقة وضعت بعضها فوق بعض تحيط بالملاعب وكل طبقة من هذه الاروقة تعلوه عدة صفوف من الدريجات وذلك مثل الكوليرة في رومية وميادين ارل وبم . ومنها قوس النصر وهو باب شرف له بعض سعة بحيث يكفي لمرور مركبة منه وهو مرين بعمد ومرحرف نة قوس كثيرة ومن هذا النوع قوس النصر في اوراج . ومنها الجسر وهو يبنى على صف من الحمايا وسط النهر . ومنها المجاري التي تجلب فيها المياه وكتيراً ما تكون على شكل جسر لتر فوق دار ومن هذا الضرب من المجاري القطعة من الجسر المسماة كارد

وقد كان الامبراطور اعسطس يفخر بانه افتتح في رومية رهاء تماثيل معبداً قال «لقد وجدت مدينة من القريه وهاءنذا اترك مدينة من الرحام» وعمل احلافه كلهم على زحرفة رومية وقد ازدحمت المصانع حوالى الفوروم (الميدان) خاصة واصبح الكاتول مع معبده المعروف بمعبد المنتري اشبه تبيء بالا كروبول في آينة . وفي داك الحي ايضاً اشوا عدة ساحات ذات مصانع مثل ساحة قيصر وساحة اعسطس وساحة رفا زساحة تراجان وهي ازهاهن

استخدم الرومان (١) في ابنتهم الحجارة التي وقعت تحت ايديهم في البلاد يرصفونها بملاط

(١) لا ينبغي ان يعرب عن الاذهان ان الصناعات الرومانية هي كالأداب الرومانية

متين صنع بالكس والرمل بحيث انت عليه الف وثمانمائة سنة وهو لم يتحت بما اصابه من الرطوبة . ولا نقرأ في مصانع الرومان تلك البهجة التي نتجلى على المصانع اليونانية بل انها متسعة متينة راسخة القواعد شأن افتح الروماني . وما زالت ارض البلاد الى يومنا هذا طالحة بانقاض تلك المصانع ولم يرح الباحثون يعثرون حتى في قفار افريقية والدهشة آخذة منهم على مصانع رومانية محفوظة سالمة . ولما أريد جلب الماء الى تونس لم يعملوا الا ان اصلحوا مجرى النهر الذي أنشئ في العهد الروماني .

التجارة — اصحت رومية اعظم مدينة في العالم (ويذهبون الى انه جاء عليها زمن كان فيها مليون نسمة) فكانت بالطبع مركز تجارة المملكة . ولقد مصت العصور القديمة والمتاجر لنقل في الماء اي في البحار وفي الانهار اكثر من الطرق التي يقضيها عجلات ثقيلة لنقل تلك المتاجر . فكانت المتاجر تنقل الى رومية من طريق البحر خاصة فتقلها السفن الى مرفأ اوستي عند مصب نهر التيبر ومنها توسق في قوارب تصعد النهر حتى تصل الى سفح جبل افنتين وتنزل تنحها في مرفأ رومية . وكانت البصائع الخاصة ببقية ايطاليا تفرع في مرفأ نوزول في خليج نابولي ومن هناك يرسلونها في الطرق وادا تيسر لم يرسلوها في قوارب تسير على الشاطئ او تجري صعداً في الانهار تجرها الخيول

وكانت رومية وايطاليا تصرفان اكثر مما ستحان فتجارتها خاصة تجارة واردات وكان تجار من الطليان يدلون في اهم مرافئ العالم يجمعون فيها حاصلات كل بلد ليبيعوا بها الى رومية . وكنت تجد في كل بلد مركزاً للتجارة مثل المزة في صقلية وقرطاجنة في افريقية والاسكندرية في مصر ومن هذه البلاد كانت تجلب الى رومية الحبوب والريت والفاكهة والبقول النافسة ومن المراكز التجارية افير في آسيا الصغرى واطاكية في سورية ومنها كانوا يرسلون الاصواف والاقمشة والخنطة التي تخرجها البلاد الداخلية . ومن هذه المراكز اوبيا على شاطئ البحر الاسود واليه كانت تأتي خنطة روسيا . ومنها قادش في اسبانيا كانت ترسل الى رومية فضة الملاح واو بار شتكيا (في الاندلس) ومن هذه المراكز نارون وارل في غاليا كان يجلب اليهما في نهر الرون حلود بلاد الغال واحسابها (اما مارسيليا فكانت سقطت منزلتها القديمة ومرسى فيرجوس اصبح ميناء حربية) .

وكان الرومانيون يجلبون ايضاً بضائع من خارج فبيعت اليهم الشرق بادوات الرتبة والرفاهية كالاعطور والابازير (الفلفل وجوز الطيب والرنجيل) والنيلة والعاج والاحجار لم نبدأ بيد صناعات من الرومان بل بيد اناس من سكان الولايات ربما كانوا من العبيد ولم يكن تمت روماني الا الرجل الذي يعملون له اعمالهم

الكرمية واقشة الصوف والحرير والعبيد السود والحيوانات النادرة (ولاسيما القروء) فكانت تجلب الى الاسكندرية من طريق البحر الاحمر او في النيل وتأتي الى انطاكية من طريق الخليج الفارسي وبادية الشام (مع القوافل) والى اولبيا من طريق بلاد فارس وبحر الحزر وكان الرومان يستخرجون من بلاد الشمال المواد التي لم تهذبها يد الصناعة مثل عنبر البلطيق وقصدير انكثرا وكان يأتي من طريق غاليا الجلود والاديم والشمع وشعور النساء والعبيد أغسطس — مات أغسطس ولم يخلف ورثا يرثه مباشرة خلفه ابن زوجته تiber وهو الذي تبناه ومضى نصف قرن والامبراطور ابدأ رجل من أسرة أغسطس وادرك الرومان مذكداك فساد هذه الطريقة

وكان للامبراطور مدة حياته سلطة مناهية لاحد لها فهو الحاكم على هواه في الاشخاص والاموال يحكم بالقتل ويصادر الاموال ويهلك من يريد اهلًا كه بدون رقيب لا يقف امام ارادته حاجر من نظام ولا قانون . حتى قال المسترعون الرومان : ان لامر الامبراطور قوة القانون . وبذلك عرفت رومية الاستبداد الذي لانهية له على نحو الاستبداد الذي كان يجري في المدن اليونانية استبداد لم ينحصر في سور ضيق من مدينة بل كان عظيماً كالمملكة . وكما كان في يونان ظالمون اهل حشمة ووقار كان في رومية امبراطرة حكام مختسمون ولكن قل في هؤلاء من لم يستهزم دوار السلطة عند ما يرون اهم بلغوا ارقى رتبة يصل اليها انسان . ومن امبراطرة رومية من لم يستخدموا سلطتهم التي لم يسمع بتلها الا لترسل اسماؤهم كالامثال فصرب المثل نيرون وظله و بكلود حليفة تiber وسخافته وكاليجولا وجبوه المطبق وتقليده حصانه رتبة قنصل وتطاوله الى ان يعبد كالارباب . فكان الامبراطرة يصطهدون الاتراف خاصة ليحولهم عن كيد المكاييد ويضغطون على الاغنياء ليصادروا أموالهم

وكانت هذه السلطة المتناهية سيئة النظام وهي تتمثل كلها في شخص الامبراطور ومتى هلك يجمت فيما اتاه من الاعمال . كان القوم عارفين بان العالم لا يستغني عن سيد ولكن ليس في شريعة ولا عادة ما يستدل به على ماهية داك السيد . فكان من حق مجلس الشيوخ وحده ان يعين الامبراطور ولكنه يختار ابدأ بالقوة من اختاره الامبراطور السالف أو رضي عنه الخند . ولقد عثر حراس القصر الامبراطوري بينا كانوا يبحثون فيه عقيب وفاة الامبراطور كاليجولا على رجل احتباً وراء الفرش وهو ترتعد فرائضه فرأوا انه من انسباء كاليجولا فعينه الحرس امبراطوراً وكان هو الامبراطور كلود

الحرس الامبراطوري — كان يحظر زمن الجمهوريات على القائد ان يأتي في جيشه الى المدينة فاصبح الامبراطور رئيس الجيوش كلها وله في رومية حرس عسكري مؤلف من نحو

عشرة آلاف رجل أقاموا منذ عهد تير في تسكنة حصينة بالقرب من المدينة . وبتنخب هذا الحرس من قدماء الاجناد وتدر عليه الرواتب الكثيرة وتوالى عليه الاحسانات وبهؤلاء الجنود يعتز الامبراطور فلا يخاف بائقة تصيبه من الناقمين عليه من أهل رومية بيدان الخطر كان يأتي من الحرس نفسه واذ كانت الموة معهم اعتقدوا بانه يحل لهم ان يأثوا كل شيء وكان زعيمهم أوسع سلطة من الامبراطور

التورات والحروب — استشاط أشراف الرومان عصباً مما أناه نيرون من الفطائع وضروب الجبن فحدا سخطهم بعض الولاة الى الانتقاض وحلح الطاعة فتعراذ ذلك مجلس الشيوخ بقوة يستند اليها فأعلن بان نيرون عدو عام فلم يسعه الا الهرب ثم الانتحار . وبعد موته (٦٨) وقع اختيار مجلس الشيوخ على والي اسبانيا المدعو غالبا فعينه امبراطوراً ولكن الحرس الامبراطوري لم يره كريماً جواداً فذبحه ونصب مكانه أحد ندماء نيرون واسمه أتون . تم ان الجنود المراقبة في تحوم جرمانيا ارادت ان تنصب بنفسها امبراطوراً فدخلت فرق هيرالرين الى ايطاليا فصادفوا الحرس الامبراطوري بالقرب من كويمون فقتلوا منهم مقتلة عظيمة في وقعة شعواء أجدت بطرفي الليل ثم نصبوا الامبراطور الذي اختاره مجلس الشيوخ وهذا القائد فينليوس

وفي دلك الحين انتخب جيش سورية زعيمه فسباسين الذي قاتل فيتليوس وعين مكانه (٦٩) وهكذا اصبحت رومية ثلاثة امراطرة في سنتين وأرل الجند ثلاثة امراطرة عن عروشهم . وفي خلال هذه الحروب نهب جنود حرمانيا مدينة وحرقت معبد الكاثول . العلافيون — نصب فسباسين امبراطوراً فوطد أركان السلم وكان ايطالياً وهو حفيد أحد الفلاحين حافظ على عادات له في الاقتصاد والاذاجة في عيشه . فرأى القسم الاعظم من مجلس الشيوخ قد تفرق تعلمهم والاسرات القديمة قد بادت أو هلكت فاستعاض عنها بأسرات ايطالية أو من اهل الولايات ولما تجدد مجلس الشيوخ على هذه الصورة كف عن اداء العداء للامبراطور فخلف فسباسين أولاً (٧٩) انه تينوس الذي مات للحال تم ابنه دومنسين (٨١) الذي كان قاسيا عداراً مثل ظلمة اليونان

الانطونيون — اشتهر الحمسة الامراطرة الآتون وهم نرفاوترا جان وادريان وانطونين ومارل أوريل (٩٦ — ١٨٠) بالحمسة والحكمة ويدعونهم الانطونيين (وهذا الاسم لا يوافق في الحقيقة الا الآخرين منهم) ولم يكونوا من نسل البيوت القديمة في رومية بل كان تراجان وادرين اسبانيين وولد انطونين في نيم ولم يكونوا أمراء من أسرات امبراطورية خلقت لتولي رقاب الناس منذ ولادتها . وقد تولى الحكم اربعة امراطرة وهم عقيون فلم

يتسنى نقل الحكم بالوراثة . وكان الامبراطور يختار كل مرة من قواده وولاته أقدر رجل يحلفه ويتبناه ويعينه باختيار مجلس الشيوخ له وهكذا لم يبلغ عرش الامبراطورية الا اناس مخنكون يحلفون آباءهم في مركزهم بدون قال وقيل .

ولقد كان عصر الانطونيين اهدأ العصور التي عرفها العالم القديم والحروب تنشب بعيدة عن تحوم المملكة ولم يحدث في الداخلية شغب عسكري ثنائياً ولا مظلمة ولا أحكام جائرة . فكبح الانطونيون حماح الجند بتدريبهم على النظام ونظموا المحاكم ومجلس الامبراطورية وهو مؤلف من الفقهاء والمشرعين واستعاضوا عمن حرروهم من العبيد الذين ظالما سخط الرومانيون عليهم على عهد الاتني عشرين قيصرآ باناس من الموظفين النظاميين احتاروهم من أشرف الطبقة الثانية (يعني الفرسان) وما عاد الامبراطور ظالما يخدمه جند بل كان حقاً الحاكم الاول في الجمهورية لا يستعمل سلطته الا لما فيه نفع شعبه

حارب الانطوبيون حروناً كثيرة ليدفعوا الشعوب المخاربة التي كانت تحاول مهاجمة الامبراطور من ناحيتين . حاربوا في أسفل نهر الطونة الداسيين وهم شعب بربري سكن البلاد الجبلية ذات الغابات التي سمياها الآن ترانسلفانيا كما حاربوا على الفرات حكومة البارتيين العسكرية الكبرى التي كانت جعلت المدائن عاصمتها قرب بابل وكانت مملكتهم تمتد على طول بلاد فارس .

ولقد حمل تراجان على الداسيين عدة حملات واجتاز الطونة ورج في ثلاثة مواقع واستولى على عاصمة ملك الداسيين (١٠١ - ١٠٢) وتفضل عليهم بالصلح ولما عاود الداسيون الحرب عمد تراجان ان يأتى عليهم فاتساً على نهر الطونة جسراً من حجر وهاجم ولايتهم فضمها الى المملكة الرومانية (١٠٦) وأرسل فيها طواريء ومستعمرين أتوا فيها مدناً وأصبحت ولاية داسيا بلاداً رومانية تكلم اهلها باللاتينية وتحلقوا بالاخلاق الرومانية .

ولما اجملت الحيوس الرومانية في اواخر القرن الثالث كانت قد استحكمت اللغة اللاتينية من الداسيين وظلت شائعة في بلادهم خلال القرون الوسطى على الرغم من غارات برابرة الصقالبة . وقد اطلق على الشعب الذي يسكن اليوم السهول في شمالي الدانوب اسم رومية فيدعى الروماني ويتكلم بلغة مشتقة من اللاتينية كالفرنسية والاسبانية

حارب تراجان الباربيين ايضاً فجاز الفرات واستولى على « المدائن » وهي عاصمتهم وتوغل في احتواء البلاد الى فارس ودخل الى سوس واحذ منها عرش ملوك فارس المعمول من الذهب الاصم . وانشأ اسطولاً على دجلة ونزل في النهر حتى مصبه وابتكر في خليج فارس

واستخلص من البارتهين البلاد الواقعة بين بلاد المرات ودجلة وجعلها ولايتين روميتين بيد ان هاتين الولايتين انتقضتا بعد سفر الجيش الروماني .

اما الانطونيان الاحبران وهما انطوين ومارك اوريل فقد سرفا الامراطورية بنضائلها وكان كلاهما يعيش ببساطة كما يعيش الافراد على غناها دون ان يكون لهما ما يشبه قصرًا او سرايا وان يتعرا بأنه كانت لهما سلطة وسيادة

واقد لقب مارك اوريل على العرش بالحكيم وكان يحكم البلاد مدفوعاً بعامل الواجب على غير ارادته ومع انه كان يؤثر العلة قصى حياته في الحكم وقيادة الجيوش . وانك اترى فيما حطه في تذكرته البيئية من افكاره صورة الفيلسوف الروافي الصالح الراهد العازف عن العالم وهو على جانب من اللطيف والحلم قال . « أحسن الاساليب في الانتقام من الاشقياء هو ان لا يعمل المرء عملهم والارباب انفسهم يعطفون على الاشقياء فلك ان نقندي بالارباب »

واقد كان مارك اوريل يأخذ برأي مجلس الشيوخ في عامة المسائل ويحصر جلساته بدون انقطاع . واقد وقف في وجه كثير من التعوب البربرية الجرمانية يرد عاراتها ويدفع عاداتها تلك القبائل التي اجتازت الطونة على الحليد ودخل الى تماليا ايطاليا واقتضى له ان يؤلف جيشاً جند عبيداً وبرابرة (١٧٢) فاسحب الجرمانيون ولكن بينا كان مارك اوريل مستعولاً في سورية بقتال أحد القواد المترددين عادوا على اعتقالهم وهاجوا الامبراطورية ومات مارك اوريل على ضفاف الطونة (١٨٠)

ولما وقفت الفتوح (بعد تراجان) كانت الامبراطورية تمتد على طول جنوبي اوربا كلها وعلى طول الشمال من افريقية والغرب من آسيا ولا يقف في سبيلها الا الحدود الطبيعية من العرب البحر المحيط ومن الشمال جبال ايكوسيا ونهر الرين والطونة وقافقاسيا ومن الشرق بوادي المرات وبلاد العرب ومن الجنوب سلاطات الليل والصحراء الكبيرة . فكانت الامبراطورية الرومانية عبارة عن البلاد التي تتألف منها اليوم كل من انكلترا واسبانيا وايطاليا وفرنسا والبلجيك وسويسرا وبافيرا والنمسا والمجر والبلاد العثمانية في أوربا ومراكش والحزار وتونس ومصر وسورية وفلسطين والاناضول أي انها ضعفا مملكة الاسكندر .

السلم الروماني - ابطال الرومان الحروب في داخلية بلادهم باخضاع جميع الشعوب لسلطانهم . فتوطد السلم الروماني الذي وصفه احد كتّاب اليونان بما يأتي: « لكل فرد ان يذهب حيث شاء فالمرافي غاصة بالسفن والجبال أمينة على ساكنيها أمن المدن لما كنفها

ولم يبق داع للخوف وقد طرحت الارض سلاحها الحديدي القديم. نجلت في نياح الاعياد .
 وها انتم أولاء قد حققتم قول هوميروس بان الارض ملك للجميع»
 فاصبح الناس في العرب للمرة الاولى في حل من انشاء بيوتهم وزرع حقولهم والاستمتاع
 باموالهم واوقاتهم دون ان يكونوا كل ساعة عرضة لمهدد يتهددهم باستلابها منهم او ان
 يذبحوا او يقادوا كالا سري والعبيد . وهذا أمان قلما نقدره قدره اذ قد تمتعنا به كلما منذ
 الصغر ولكن الطائر انه كان يعد من حسنات الامور البائرة عند القدماء
 * سهلت الرحلة في تلك الامبراطورية المسالمة وأتت الرومان طرقاً في كل مكان مع
 محطات ومواقف وصنعوا مصورات (خرائط) لطرق المملكة وكان كثير من ارباب
 الصاعات والتجار يرحلون من طرف الى طرف آخر من المملكة . ويرحل علماء البيان
 والفلسفة في بلاد الامبراطورية داهبين من مملكة الى أخرى . هم يلقون المحاصرات .
 وكان ينزل في كل ولاية أناس من اهل الولايات القاصية فقد دلت الكتابات على
 الاحجار انه كان في اسبانيا اساتذة ومصورون ونقاشون من اليونان وفي االيا صياغ وصناع
 آسيابون

وجميع هؤلاء كانوا ينقلون عاداتهم وصناعاتهم واديانهم ويمزجونها بما يرونه عند الامم
 التي ينزلون عليها ثم يعتادون بالتدريج على التكلم باللغة الرومانية وما ابلج بحر القرن
 الثالث عشر حتى عدت اللاتينية لغة بلاد الغرب المشتركة كما صحبت اليونانية لغة الشرق منذ
 قام حلفاء الاسكندر . فنشأت في رومية كما نشأت في الاسكندرية حضارة مشتركة
 سموها الحضارة الرومانية ولم تكن كذلك الا باسمها ولعتها واجتمعت حضارة العالم القديم في
 قبضة الامبراطور

الامبراطورية الرومانية في القرن الثالث

السيفيريون — بدأت الفتن الاهلية بعد عهد الامبراطرة الايطونيين فدبح الحرس
 الامبراطوري سنة ٩٣ : الامبراطور برتيناكس ورأوا ان يضعوا المملكة في المراد فتقدم
 طالبان : يدان ابتياعها احدهما سوليسين تقدم على ان يعطي كل جندي خمسة آلاف فرنك
 والثاني ديدبوس رفع ما يدفعه لكل جندي الى ستة آلاف فرنك فحمله الحرس الى مجلس
 الشيوخ وعينوه امبراطوراً ثم لم يستطع القيام بما تعهد به فدبحوه

وفي خلال ذلك بويج بالملك ثلاثة قواد لثلاثة جيوش كبيرة وهما قائد برتانيا وقائد
 ايليريا وقائد سورية وسار هؤلاء الثلاثة المتنافسون الى رومية فوصلت فرق ايليريا قبل
 غيرها فعين مجلس الشيوخ القائد سبتيم سيفير امبراطوراً على رومية فنشبت عندئذ حروب

سالت فيهما الدماء انهاراً احدهما لمداغة حيش سورية والاخرى لمداغة جيش برتانيا وظلت لسيفير الكلمة النافذة مدة سنين وهو الذي اوجز سياسته في كلمتين فقال : « ايها الابناء ارضوا الجند واهروا بن بقي »

الفوضى والغارة — مضى قرن ولم يكن قاعدة في الحكومة غير ارادة الخند وكان في الامبراطورية ما خلا جيش الحرس الصغير في رومية عدة جيوش كبيرة على سهر الرين والطونة والشرق وانكترا . وكل جيش يود ان يجعل قائده امبراطوراً او المنافسون يتقاتلون حتى كتبت العملة لواحد محكم لصع سنين تم قتل (١) واذا اسعده الحط بنقل السلطة الى ابنه من بعده فالجيش يتنرد على انه ذاته وتعود نار الحرب تستعر .

وفي ذاك الحين نشأ امبرطرة عرائب في اطوارهم فكان ايلاجابال كاهناً سورياً لبس ثياب امرأة وترك امه تؤلف مجلس شيوخ من النساء (مجلس شيوخات وعجائز) ومنهم الامبراطور ماكسيميان وهو حندي بالعرض وحبار قاس وسفاك كان يأكل على ما يقال ٣٠ ليرة من اللحم ويتسرب عشرين ليرة من الخمر . وجاء رمن على هذه المملكة والدين بدعون الامبراطورية ثلثون امبراطوراً انقطع كل منهم الى ناحية من المملكة (٢٧٨-٣٦٠) وسمى نفسه امبرطوراً فدعي هؤلاء الثلاثون بالثلاثين ظالماً .

وبينا جند البلاد متعولون يقتال بعضهم بعضاً كان يرى البرارة ان اتخوم حالية من الحامية فيجنازون ارض الامبراطورية ويحربونها . وكان افليم عالياً خصوصاً هو الذي يقاسي الامر بن من هذه العارات في القرن الثالث فتجنارها عصامات من المحاربين الجرمان كالامان والفرنك واذ لم يجدوا فيها مدناً حصينة ولا حيوتاً هبوا المدن وحرقوها واحذوا ماشاءوا من اهلها اسرى معهم ودبحوا الباقين . وقرصان الكسون يحربون شواطئ بحر الماش كان هذا القرن الذي انقضى في حروب قرن حرافات فكانت تجدي كل مكان اناساً يبدون ارباب المشرق مثل الرب ايزيس واوزيريس والربة الكرى ولكن ميترا وهو رب فارسي رب عام اكثر من الارباب قاطبة في الامبراطورية . وميترا الشمس وهي مصورة في المصانع الى انتشت اكراماً لها وهي تصرع توراً وقد كتبت عليه ما يأتي : « للشمس التي تغلب الرب ميترا » وقد عثر على مثل هذه الرسوم في جميع اجزاء الامبراطورية . وعبادة الشمس ملتبسة مهمة وهي احياناً اشبه بالتمعائر المصرية فيكون فيها عماد وولائم مقدسة ومسحة وتوبة وشموع ولا حل ان يقبل المرء في جملة اهل هذه العبادة يجب القيام باعمال من صوم ومحن مخوفة

(١) قدروا ان عدد الامبراطرة من القرن الاول الى الثالث ٤٥ مات منهم ٢٩ قتلاً

وقد كان دين ميترا في اواخر القرن الثالث الدين الرسمي في المملكة . ودان الامبراطرة والحيش بهذا الرب القهار ولهذا الرب في كل مكان معابد على شكل مغاور ذات مذابح ونقوش بارزة وكان في رومية ايضاً معبد حخم انتسأ الامبراطور اورليان . وكان من اسد الحاجات الماسة في داك العهد البقاء مع الارباب على صلح ووثام فاخترعوا حفلات لتزكية النفس فيلبس المؤمن توناً ابيض مربنا بالذهب ويقعد في اسفل هوة فيطبقةونها على رأسه بلوح من الحشب متقوب ويأتون بشور يقفونه على هذا اللوح فيسخره الكاهن فيجري دمه من الثقب على انواب المؤمن ووجهه وتسعره . وكانوا يعتقدون ان هذا التعمد بالدم يطهر المرء من السيئات كافة ومن يجري له يكون كيوم ولدته أمه في حياة جديدة ويخرج من الحفرة شمع الصورة ولكنه سعيداً مغبوطاً .

احتلاط الاديان — احدث الاديان كلها في هذا القرن الذي تقدم فيه فوز النصرانية على غيرها بالاحتلاط فتعبد الشمس تحت اسماء منوعة اوهي التربية وهايوس وعمل وايلكابال وميترا) وجميع هذه العبادات منسوخة بعضها عن بعض وكثيراً ما تجري على مثال العبادات النصرانية ومن اعظم الامثلة في هذا الاحتلاط الديني ما كان يتوفر عليه اسكندر سيفير الامبراطور المحتشم الطيب ذو الدمة فقد كان في قصره مصلى يعبد فيه المحسنين للانسانية وهم ابراهيم واورفيه ويسوع وانولونيوس دي تيان .

ديوكسين — بعد مرور زمن في الحروب الاهلية قام امبراطرة تمكنوا من وضع حد للتعبد وكانوا قساة عاملين رجنداً ترقوا في درجات الجندية حتى اصبحوا زعماء وقواداً ثم صاروا امبراطرة . ويكاد يكون مشأ معظم اولئك الامبراطرة من ولايات نصف متوحشة كولايات الطوبة وايلريا وبعضهم كانوا في طفولتهم رعاة او مرارعين . وكانوا في سذاجة اخلاقهم على مثال قدماء قواد الرومان ولما ظلمت وفود ملك فارس ان يروا الامبراطور ربوبس رأوه شجاعاً اصلع يلبس عباءة صوف ويضطجع على الارض وينناول حمصاً وشحم خنزير وكانت هذه سيرة كوربوس داندنوس قبل خمسة قرون

واقد كان هؤلاء الامبراطرة اسداء على الحند فاحدثوا في الحيش نظاماً وفي البلاد اماناً واكتند نتأت بحكم الصرورة بورة اصرم نيرانها الامبراطور ديوكسين الذي تدرج من الجندية الى تولي مقام الامبراطورية (٢٨٥) ونازل عن الملك بعد ان نظم شؤون الامبراطورية .

ولم يعد يكفي رجل واحد لتولي الحكم في تلك البلاد المتسعة والدفاع عنها فاتحد كل امبراطور له كما اتحد ديوكسين من انسبائه واصحابه اثنين او ثلاثة يوازرونه

وعهد الى كل واحد النظر في جزء من مملكته . وفي العادة ان يُدعوا باسم « قيصر »
ويحدث أحياناً ان يتولى امبراطوران متكافئان يدعى كلاهما باسم اعسطس ومتى هلك
احدهما يحلّله احد القياصرة اما الجيوش فلا تتنازع ان تُنصب امبراطورة .
واتسعت الولايات اي اتساع حتى ادى ذلك لديوكسين الى تقسيمها فكان عددها
٤٨ ولاية في القرن الثاني فاصححت زهاء ٩٠ ولاية (وعدت عاليا سبع عشرة ولاية بعدان
كانت سبعاً) واسمى الحرس الامبراطوري في رومية حطراً على البلاد فاستعاض
الامبراطور ديوكسين عنه بفرقتين سماها فرقتي القصر .

المدنية الرومانية على عهد الامبراطورية

مدينة بومبي — ذكر بلين الفتي في كتاب له قصة توران بركان فروف (سنة ٧٩)
الذي هلك فيه حاله بلين القديم . وكان المعلوم ان هذا البركان اخرب مدينتين صغيرتين
رهتين وهما هر كولانوم وبومبي ولكن لم يعرف احد موقعهما . واكتشفت في القرن الثامن
عشر بالعرض مدينة هر كولانوم معبأة لطبقة من اللحم تم كشفت مدينة بومبي مدفونة تحت
طبقة من الرماد وحجر الكذا . وبديء بالبحث في هر كولانوم فاعترف فيها على تماثيل صغيرة
جميلة ومدارج مخطوطة محروقة توصل العلماء الى حل بعضها ولكن حالت صعوبة
العمل في اللحم فوقم الباحثون عن التوفر على ما كانوا يدوّن به . وآثروا ان يحثوا في بومبي
حيث يسهل برع الرماد وقد مضى القرن التاسع عشر باجمعه والمهم متوفرة على برع الرماد
عن المدينة حتى كادت تظهر بأسرها الآن كما كانت .

ظهرت بومبي الانظار على ما كانت عليه قديماً وقد سقطت السقوف من ثقل الرماد
وفرّ السكان من كثير من البيوت عند وقوع هذا البلاء ثم عادوا يفتشون عن اهم الاعلاق
وانفس النفائس . وما رحلت الحيطان قنمة ولم تمنع منها الاعلانات المكتوبة بالحجارة بل ما
زلت ترى فيها الخطوط التي حطها المارة بالفتح وسلمت التوارع وبلاطها المحفور بسير المركبات
والعجلات . وقد وجدوا ايضاً على الرماد ما تركته تحت الدين هلكوا احتناقاً من الرسوم
وقد توصلوا بان جعلوا جيباً مائلاً في تلك الرسوم واحرجوها فكانت قوالب لتلك
الاجساد الميتة .

العيثة الرومانية — تصور بومبي للفكر كيف كانت العيشة في المدينة رومانية صغيرة
فتمد كانت هذه المدينة حديثة البناء ذات شوارع مصفوفة مقطوعة الى زوايا قائمة ومبلطة
ببلاط محكم الاجزاء ولها ارضنة الا ان الشارع الاعظم كان معوجاً ولمنع من ضيقه ان
كان يتمذر على مركبتين ان تلقيا في وسطه .

ولم يكن للمساكن غير نوافذ صغيرة وقليلة تطل على الشارع بل كانت للغرفة كلها نوافذ من وسط الدور يدخل اليها النور . وهذا عرفت ان الشوارع كانت محاطة بجدران ما عدا الشوارع الرئيسة وعلى طولها صفوف من الحوانيت يستأجرها السوق والباعة . وساحة المدينة متوسطة الحجم تحيط بها المباني والمصانع مثل ديوان مجلس شيوخ المدينة ومعابد صغيرة ومماكم وسوق مستوف ورواق ذو عمد وفيه كان يجتمع اهل البطالة وفيها داران للتمثيل حفر القسم الاعظم من الكبير منهما في أكمة وهو يسع خمسة آلاف منفرج والصغير يسع ألفاً وخمسمائة وفيها مشهد ذو درجات على شكل نصف دائرة « انفيثياتر » نقام فيه الالعب ويتصارع فيه المصارعون . وفيها ثلاثة حمامات عامة (على الاقل) لاصغرهما وهو الذي حفظ اكثر من غيره مقصورة للاستحمام واخرى للحمام السخن وتالفة للبارد وصوان (محل التياب) وليس في الدور غير احوة ومقاعد ومناديق وسرر وتعمدانات وكثير من المصابيح اذ لم يكن القدماء يكترون من الالات . اما العرف فصغيرة ويجعلون الرينة كلها في قاعة الاستقبال الكرى الا ان مصاييف اعني اعياء السكان مبلطة بالفسيفساء والحدان معتاة بصور جميلة فيها متاهد اساطير وتزيينات من اكاليل وازهار اما الحوانيت حالتها تتعرب بضعف التجارة والحوانيت باعة المشروبات اشارات مصورة وقد صوّرت في احداها صورة باحوس (رب الكرم) يعصر عنقوداً . وكتب على حانوت آخر : « هنا فندق يؤجر عرفة ذات ثلاثة سرر » وقد عثروا في تلك المدينة على مغبر فيه رحيان تداران باليد وعلى معمل لقصر التياب ودكان حلاق وبيت جراح وادواته من القلر (الخماس الاصفر) ومعمل نقش ودباعة .

المتاهد — كان للمتاهد في حياة هذا الشعب العطل من الاعمال في رومية شأن يصعب علينا تصويره فكانت المتاهد كما في يونان عبارة عن العاب اي حفلات دينية وتعاقب المتاهد طول النهار وتعود من الايام التالية مدة اسبوع على الاقل . والمشهد عبارة عن موعد لتواعد اليه الامة الحرة باسرها وهماك كانت تقام المظاهرات في حلال الحروب المدينة سنة ١٩٦ احذ المتفرجون لسان واحد يهتفون : السلم . والمتشهد (الفرجة) كان بحسب ما تميل اليه النفوس في ذلك الزمن فقد متل فيه ثلاثة امبراطرة فمثل كاليجولا في هيئة حودي ونبرون ممثلاً وكومود مصارعاً . وللمتاهد ثلاثة اصرب وهي المرح او المسرح (المرح) والملاعب وتشكل نصف الدائرة (انفيثياتر) وكان المرح على الاسلوب اليوناني والممثلون يمارسون وقد جعلوا اوجها مستعارة على وجوههم يتخضون قصصاً اخذوها من اللغة اليونانية . ولما كان الرومان يقدررون مثل

هذه الروايات قدرها لانها تعلق عن عقولهم وكانوا يؤثرون الروايات المضحكة الجافة المعروفة بالميم ولا سيما «البانتوميم» التي يستخصها الشخص دون ان يتكلم و يظهر عواطف الاتخاض الذين يمثلهم بحركاته وسكناته . تمتد بين اكميتين من جبل افاندين وبالنتين ساحة للسباق تحيط بها اروقة علتها مراق وادراج . وهذا المكان هو الملعب الاعظم اصبح يسع منذوسعه نيرون ٢٥٠ الف متفرج . ثم وسع في القرن الرابع حتى صار صالحاً لاجلاس ٣٨٥ الف شخص وهناك كانوا يمثلون الفرحة التي يجيها الشعب الروماني وهي سباق المركبات ذات الاربعة الخيول فالمركة الواحدة تطوف الملعب من اقصاه الى اقصاه ثلاث مرات وعليها ان تقطع ٢٥ سوطاً في اليوم الواحد . وسائقو المركبات تبع لشركات تراحم كل منها الاخرى و يلبسون لونا من الالبسة خاصاً لشركتهم فكانت الشركات ارباعاً باديء بدء تم استحوالت اثنين وهما الرقاه والحصراء ولكليهما شهرة في تاريخ التمرد . ولقد اوع القوم في رومية بسباق المركبات كما يولع الناس اليوم اسباق الخيل حتى كان موضوع حديث النساء والاولاد ايضاً وكثيراً ما يتعصب الامبراطور لهريق دون آخر في السباق وتكون من النزاع بين الزرق والخضر مسألة سياسية

انتسأ الامبراطور فسبازين على ابواب رومية بناء الكوليزة وهي عمارة ضخمة ذات طبقتين تسع سبعين الف متفرج كانت عبارة عن ملعب مستدير حول ميدان يصطادون فيه ويتقاتلون فاذا ارادوا الصيد يجعلون الميدان غابة يطلقون فيها الوحوش الكاسرة فيجئ رجال مسلحون بحراب يصيدونها . وكانوا بنوعون المشهد يجعل الحيوانات الكثيرة في هذا المكان ولا سيما النادر منها كالاسود والفهود والفيلة والديبة والجواميس والكركدن والزرافة والتمور والتاسيح . وظهر في الالعب التي احتفل بها الامبراطور يومي ١٧ فيلاً و ٥٠٠ اسد في الميدان وكانت لبعض الامبراطرة دار لعرائب الوحوش . تم رأى القوم بدلاً من ان يجعلوا الرجال المسلحين امام الحيوانات ان يطلقوا الحيوانات على الرجال وهم عراة مقيدون . وشاعت العادة في جميع مدن الامبراطورية باستخدام المحكوم عليهم بالاعدام في هذه التسلية فاقرست الحيوانات ألوفاً من الناس من كل جنس و سن ومنهم كثير من شهداء المسيحيين على مرأى من الحضور .

المصارعون — كان قتال المصارعين (رجال بأيديهم السيوف) من اجل المشاهدة الوطنية عند الرومانيين فينزل رجال مسلحون الى الميدان يتبارزون حتى يقتل بعضهم بعضاً وبلغ الحال بالرومانيين على عهد قيصران صاروا يقتلون ٣٢٠ زوجاً من المصارعين في آن

واحد وقد قتل اغسطس في حياته كلها عشرة آلاف رجل وقتل تراجان مثل ذلك في اربعة اشهر . وكان المغلوب يذبح في الحال الا اذا عفا الشعب عنه

وكثيراً ما يلقون باناس من المحكوم عليهم في ميدان الصراع ولكن المتصارعين يكونون في الغالب من العبيد واسرى الحرب وكل انتصار يجلب الى ميدان الصراع عصابات من البرابرة يقتل بعضهم بعضاً ليتلذذ المتفرجون (١) وكان في رومية مصارعون من كل بلد منهم العاليون والجران والتراسيون وربما كان منهم الرنوج فيقتتلون بالسلمحة مختلفة عن اسلحتهم الوطنية عادة . وكان يحب الرومان ان يروا هذه المقاتلات في صور مصفرة .

وكنت ترى بين هؤلاء المقتتلين في الملعب اناساً من المتطوعة الاحرار حدا بهم حبهم للخطر ان يقدموا انفسهم للصراع وقوانده القاسية وان يقسموا لعمائهم بانهم يقدمون ليصربوا بالعصي ويحرقوا بالحديد المحمى ويقتلوا ثقتيلاً . وقد تجدد غير واحد من اعضاء مجلس الشيوخ من هذه العصابات من العبيد والمشردين بل تجدد في زمرتهم الامبراطور كومود وبل الى الميدان لذاته . ولا نقام هذه الالعب الخطرة في رومية فقط بل في جميع مدن ايطاليا وعاليا وافريقية (اما اليونان فقد استنكفوا من قبول هذه الالعب) واليك صورة كتبت على تمثال اقيم لاحد اعيان بلدة منتورن : « قد اظهر في اربعة ايام احد عشر زوجا من المصارعين ما برحوا يقتتلون حتى بعد ان سقط نصفهم في الميدان وصاد عشرة دبة هائلة ولا تلك انكم تذكرونه ايها الوطنيون الاشراف »

وكان الشعب يهوى اهراق الدماء على نحو ما يجري اليوم باسبانيا في سباق الثيران . وبنبغي للامبراطور كما ينبغي للملك اسبانيا ان يحضر هذه المجازر . ولقد فقد الامبراطور مارك اوريل ثقة العامة في رومية لانه اظهر مللا من مشاهدة تلك الالعب فكان يقرأ ويتكلم ويقابل الناس بدلاً من ان ينفرج . ولما صحب معه المصارعين لستخدمهم في قتال الدابة الذين هاجموا ايطاليا او شكت الغوء ان تمرد وصرخوا قائلين : « انه يريد ان يسلبنا تسليتنا ليضطرنا الى التفلسف »

المدارس = لم يخطر للقدماء قط ان يعلموا الاولاد كلهم فليس العبيد وحدهم بل السواد الاعظم من سكان الامبراطورية لم يتعلموا القراءة . على انه لم يكن في المملكة (١) شكر احد الخطباء الامبراطور قسطنطين في خطاب رسمي القا لانه قدم جيشاً برمته من الدابة الاسرى ليتصارع امام الجمهور ولانه استعمل قتل الناس لتسليمة الناس . قال وليت شعري اي ظفر اجل من هذا ؟

غير مدارس للاغنياء وللوطنيين الرومانيين . وقلما نعرف المدارس التي يتعلم فيها ابناء الوطنيين والاجناد القراءة والكتابة . وقد كانت راتب معلم المدرسة قليلاً جداً وآباء الاولاد هم الذين يؤدون اليه راتبه . وطريقة التعليم عبارة عن ضرب الاولاد بقرعة او بالعصي . وقد مَثَلُوا في صورة وجدت في مدينة بومبي ولدًا يمسكه اترابه بينما كان المعلم يضربه بالسوط .

وتعلم الأسرات الغنية اولادها على مؤدب عبد يكون رومياً في الغالب فيعلمهم النحو واللغة اليونانية . والمدارس العامة تقبل التبان الاغنياء خاصة يرسلهم آباؤهم اليها ليتعلموا فيها الخطابة . والعلماء المناير لم ينزع من الناس دوقهم في الخطابة ومراهم عليها . وعلى ذاك العهد بدأ المفوهون او الخطباء يكثررون ويعلمون الناس كيفية الاداء فافتتحوا منذ القرن الاول في رومية مدارس يقبلون فيها الفتيان الاغنياء . وكان بعضهم يبرن تلاميذه على اثناء المرافعات في موضوعات حيالية في الخطابة وقد حفظ لنا الخطيب سيميانيات عدة من هذه الدروس الخطابية وموضوعها اولاد مخطوفون ولصوص ومتشردون على اساليب مختلفة أسست على الولاء مدارس من هذا الطراز في جميع اقطار المملكة فكان في االيا مدرسة قديمة في مدينة مارسيليا اليونانية يقصدها الطلاب من ايطاليا . واصبحت مدرسة اوتون منذ زمن اعسطس عامرة اكثر من غيرها بالطلاب وهي التي بقيت عامرة الى آخر ايام الامبراطورية .

ثم أنشئت مدارس من هذا النوع في الشمال منها مدرسة في ريس واخرى في تريف . وكانت في الجنوب لعدة مدن مدارس من مثل هذه واشهرها هي التي اصبحت مدرسة بوردو بعد ذلك .

تنفق المدن على هذه المدارس فتعين لها الاساتذة وتدفع لهم اجورهم والمقصد الاول منها تعليم ابناء الأسرات الغنية التكلم باللاتينية واليونانية وان يكتبوا فيهما ليتمكنوا من ان يكونوا موظفين . ويعلم فيها النحو والبيان خاصة . وكان اشهر استاذ في مدرسة اوتون في القرن الرابع الخطيب اومين ارسله الامبراطور قسطنطين وكان مدحه . واعظم رجل في مدرسة بوردو هو اوزون مربى ابن الامبراطور (٢٦٩) ومؤلف عدة مقاطيع شعرية لاتينية متكلفة .

الاشراف — دثرت الأسرات القديمة الغنية في رومية الا قليلاً ولكن قام غيرها من الأسر الحديثة التي اغتنت بالصيرفة والتجارة والتزام الجباية واستثمار الاراضي المفتوحة . وكما تمكن غني من ارباب الاملاك من ان يعينه الامبراطور حاكماً تشرف أسرته وبذلك شرفت

جميع الأسرات العمية في إيطاليا والولايات (حتى لم يبق في اواخر القرن الثالث اناس من الفرسان العاديين) وكان كل عظيم من كبراء هؤلاء الملوك يعيش بين عبيده ملكاً صغيراً لا عمل له الا اتباع الشهوات وداره في رومية اتسبه بقصر تفص غرفة التشريفات (الانريوم) كل صباح باناس من الرين (الرنونات) وهم اناس من الوطنيين يحتفلون اليه لا مورطيفة صباح كل يوم يسلمون عليه بالسيادة ويسارون موكبه في الشارع . لان الاصطلاح يطلب ان لا يظهر العبيد امام الجمهور الا ويحيط به جماعة . وقد ضحك هوراس من احد القضاة لمروره بتوارع تيبور في خمسة من العبيد فقط . وللكبراء خارج رومية مصايف هجة على سواطيء البحر او في الجبال ينقلون فيها لا عمل لهم والضجر آخذ منهم

ولم تكن واجهات لبيوت هؤلاء الاغنياء من الرومانيين على العكس من بيوتنا الحديثة بل كانت كلها دائرة من داخل اما من الخارج فلم تكن سوى حيطان عارية لا شيء فيها والغرف صغيرة وفرشها قليل وهي مظلمة لا يدخلها الضوء الا من قاعة التشريفات وهي في وسط البيت وفيها نصبت تماثيل الاجداد وفيها يستقبل الروار ويدخل اليها النور من شق في السقف ووراءها البير يستيد وهي حديقة محاطة بصفوف من العمود وعليها تطل عرف الطعام مزينة انحرزينة وفيها سرر لجلوس الضيوف ويتناولون فيها الطعام لان ذلك كان من عادة اغنياء الرومان كما كان من عادة اليونان في آسيا . وكثيراً ما يكون بلاط الدار معمولاً بالفسيفساء .

الاخلاق — وصف سينيك في رسائله وجوفنال في اهاجيه الرجال والنساء في عهدها وصفاً مزعجاً حتى اصبح فساد رومية القياصرة مثلاً سائراً في الغابرين . على ان هذا ناشئ من دوام اضطرابات القرون الاخيرة للجمهورية مثل بذخ الاغنياء الغليظ وقسوة السادة مع عبيدهم وطيش النساء المزوج محنون . فلم يأت الشرف من طريقة الحكم الامبراطورية بل من الافراط في جمع تروات العالم اجمع بيد بضعة الوف من الاشراف او ادعياء الشرف وتحتهم بضع مئات من الاحرار يعيشون عيشاً سافلاً وملايين من العبيد يظلمون ظلماً هائلاً وكانت الاسرة الكبرى تندثر بسرعة حتى هال الامراطور اعطس ما رأى من نقص عدد الرجال الاحرار فسن قوانين لجل الناس على الزواج والعقاب على العزوبة واذ كان تأثير هذه القوانين يحتاج الى زمن لم تنجح اصلاً . ولقد كثر عدد الاعزاب من الاغنياء حتى غدت مداھنتهم من الصناعات الراجحة وذلك ليوصي لهم من يدهنون لهم بشيء من المال يأخذونه بعدهم . ومن حسن التدبير ان لا يرزق الغني ولداً فيكون محاطاً بالمرائين والمتترين . قال احد القصصيين الروحانيين : « ينقسم الناس في هذه المدينة الى طبقتين

منهم من يصطاد ومنهم من يصاد» وقال سينيك : « ان في جرمان الاولاد زيادة نفوذ المرء » .

الطبقات النازلة — فقد اتميز بين الوطنيين الرومانيين والغرباء موقعه ومكانته اذ لم يعد في رومية انتخابات وشمل حق التملك على التدرج سكان الولايات . وجاء زمن على عهد كاراكالا (سنة ٢١٢) صدر فيه امر بمنح حق الوطنية لجميع سكان الامبراطورية ولم يشعر بهذا الامر كثيراً لان العمل كان جارياً عليه من قبل بالفعل ويمتاز الرجل امتيازاً خاصاً بتروته التي يملكها ويقسم الناس الى طبقتين : الاغنياء ويدعون اشرف الشرفاء وهم اعضاء مجلس السيوخ والفرسان واطباء مجالس السيوخ في المدن ولتألف منهم طبقة قواد العشرة اما بقية الشعب وهم العامة فيتألف منهم الفقراء المدقعون والسوقة الحقيرون .

فاشرف الاتراف وحدهم يحسبون في المجتمع وهم يقومون بعامة الوظائف المدنية وجميع موظفي الامبراطور من طبقة اعضاء السيوخ او طبقة الفرسان وجميع حكام المدن من قواد العشرة . ولهم كلهم امتيازات رسمية ومحال خاصة بهم في دور التمثيل وحضور الحفلات واذا حكم عليهم بالاعدام لا يصابون ولا ياتي بهم للوحوس في المالب لان هذه العقوبات المخزية كانت خاصة بالغواة والعامة

ولقد عاش الفقراء في هذا المجتمع الارستوكراسي عيشة ضئيلة يعيش فقراء رومية من الصدقات العامة او بالاحتلاف الى الاغنياء ومداهنتهم وهذه العيشة كانت صراً مسنوراً من التحاذه . ويصبح الفقراء في القرى مستعمرين في اراضي كبار ارباب الاملاك الذين يعاملونهم معاملة ثقب من معاملة العبيد وترى الفقراء في المدن صناعات او مرتقة ومنزلهم منزلة المعتق من العبيد . واذا حسنت حال المدينة يكون لهم نصيب في بوزعه الحكم من الصدقات ويدخلون بدور احرة الى متاهد التمثيل والالعب والحمامات العمومية وكنت ترى في جميع المدن حمامات حارة مؤلفة من مقاصير للاستحمام ذات احواض تأتيا الحرارة من موقد جعل تحت الارض . والحمامات في مدينة رومانية كمحال الرياضة في المدينة اليونانية هي مكان اجتماع من لا عمل لهم . بل كانت الحمامات في مدن الرومان اعظم من محال الرياضة عند جيرانهم اليونان مئات من المقاصير على اختلاف اجناسها من مقصورة باردة الى فاترة الى حارة الى صوان للثياب ومقصورة لذلك البدن بالزيت ومحل للحادثة ومقاصير للرياضة وحدائق يحيط بكل ذلك سور عظيم . وقد تغلت حرائب حمامات كاراكالا بالقرب من رومية مساحة عظيمة من الارض .

العبيد - وتأثرت تحت طبقة الاحرار الفقراء الطبقة الاخيرة وهي طبقة العبيد الذين هم في بعض البلاد معظم السكان . والسادة من الرومانيين كالتسرقين لهدنا كانوا يحبون ان يحيط بهم جمهور من العبيد . في البيت الكبير الروماني يعيش مئات من العبيد ينقسمون بحسب الخدم التي يتولونها منهم الموكلون بالفرس وتعهده الاواني الفضية والاعلاق والتحف ومنهم حفظة للتياب ومنهم وصائف ووصيفات ومنهم القيمون على المطبخ والحمام ومنهم رئيس المتكلم ومعاونوه ومنهم عبيد الموكب الذي يرافق سيد البيت وسيدته في التوارع ومنهم حملة المحفة (المحارة) ومنهم الخوذيون والسواس ومنهم أمناء السر والقراء والنساخ والاطباء والمربون والممثلون والموسيقيون وارباب الصناعات من كل صنف لانهم في كل بيت كبير يطحنون الدقيق ويحيكون الصوف وينسجون التياب . ومن هؤلاء العبيد من حبسوا انفسهم في المعامل يصنعون اشياء يبيعها سادتهم ويكون ربحها لهم ومنهم من يؤجرهم اصحابهم الى الخارج على انهم بناءون او بحارة فقد كان لكراسوس خمسمائة عبد من المهندسين . وكل هؤلاء يدعون عبيد المدن .

عبيد الريف - كل ملك (ثقيش) كبير يتوفر على زراعته عصاة من العبيد فهم الخرايون والرعاة وانكرامون والبساننيون والصيداؤون يجعلون شراذم تؤلف كل شرذمة من عشرة اشخاص . ويلاحظهم وكيل منهم يهيم عليهم . ويرى صاحب الملك ان من دواعي اعجابه ان تخرج ارضه كل شيء فهو لا يبتاع شيئاً وكل حاجياته تنبت في ارضه وهذا مما يجعلونه من جملة التناء على الاغنياء فصاحب الارض يؤوي اليه عدداً عظيماً من عبيد الريف كما يسموهم والملك الروماني اتبه تربية ويسمى مصيفاً (فيلا) وقد بقي اسمها واطلق عليه اسم مدينة (فيل) مد القرون الوسطى وهو الملك الروماني القديم مكبراً

معاملة العبيد - يعامل العبيد بحسب اخلاق سيدهم فمن السادة النورين الذين اشتهروا بالانسانية سيدهم ونو سيديك وبلين فقد كانوا يطعمون عبيدهم طعاماً جيداً او يحادثونهم وربما اجلسوهم معهم على موائدهم ويسمحون ان يكون لهم اسرة وثروة صغيرة . وهناك سادة على العكس من هؤلاء عاملوا عبيدهم معاملة الحيوانات وعاقبوهم اشد العقوبات بل ربما قتلهم لهوى في النفس . والامثلة على ذلك كثيرة . فقد كان موبوس بوليوت عتيق اغسطس يطعم السلور البحري (سمك مريضة) في بركته فكسره احد عبيده آنية على غير قصد فما هو الا ان القاه في البركة ليكبر طعاماً لسمكه

وصف الفيلسوف سينيكا فظائع السادات بهذه العبارة : « اذا سئل أحد العبيد أو عطس خلال المأدبة أو طرد الذباب متهاوناً أو رمى مفتاحاً وسمع له صوت نكلب في

الاقتصاص منه وأي كلب فادا اجاب رافعاً صوته قليلاً ودلت تلاميذ وجهه على سوء خلقه أبحق لنا ان نصر به بالسياط؟ وكثيراً ما نبالغ في الصرب ونقطع له عصواً ونقلع سنناً» وهكذا رأينا الفيلسوف ابيكتيت وكان عبداً كسر مولاه ساقه . اما النساء فلم يكن أيضاً على شيء من الشفقة واليك كيف امتدح ادفيد احدى العقائل قال . «مشطوا رأسها امامي مرات وماقط غرزت الابرة في ذراع العبد الذي يمتطها»

وما كان الرأي العام ليحول دون هذه الفظائع فقد مثل جوفال عقيلة غضبي على أحد عبيدها وهي نقول أصلبوه — وأي جريمة أتاها العبد حتى استحق هذا العذاب؟ ما انحسه ودل العبد من البشر؟ وسواء أتى امرأاً اداً ام لم يأت فاني أريد عذابه وأمر به وارادتي هي الحجة في هذا الباب

اما الشريعة فلم تكن الطف من الاحلاق فكانت في القرن الاول قبل المسيح توجب بان صاحب البيت اذا ذبحان يقتل عبيده كلهم به . ولما أريد الغاء هذا القانون خطب ترازيا أحد معتبري الفلاسفة في مجلس السيوخ مطالباً ببقاء هذا القانون .

والعبيد مطبق تحت الارض يدخله النور من نوافذ ضيقة بعيدة بحيث لا يتيسر الوصول اليها فاذا اتوا ما يغضب ساداتهم يسجنونهم فيه بالليل وفي النهار يبعثونهم ليستغلوا قيديهم بسلاسل من حديد ثقيلة . وكثير منهم من وسمت وجوههم بحديدة محماة

لم يعرف القدماء المطاحن الميكانيكية بل كانوا يطحنون الحنطة بمطاحن باليد يديرها العبيد وكان ذلك من اسقى الاعمال يندبون اليها عقوبة لهم في العادة . وكانت المطحنة قديماً مثل محبس (لومان) وقال بلوت «كان يبكي أشقياء العبيد الذين يطعمون البولانتا (سويق من دقيق الدرة) وهناك يرندوي الاسواط وقعقة السلاسل والاعلال» وبعد ثلاثة قرون أي في القرن الثاني بعد المسيح وصف القصصي اوليه داخل مطحنة بقوله: «ايها الارباب ما انعس هؤلاء المساكين من البشر فقد اسودت جلودهم وتبرقت من ضرب السياط ولا تستر ابدانهم غير خرق من قميص مدموعة جباههم مخلوقة رؤوسهم مقيدة ارجلهم مشوهة ابدانهم من النيران مقروضة جفونهم من الدخان وقد علام غبار الدقيق»

ولم يكن العبيد يكتبون ولذلك لانعرف ما هو رأيهم انفسهم في معاملة ساداتهم لهم . الا ان الموالي انفسهم كانوا يشعرون بحقد عبيدهم عليهم . ولما انتهى الى بلين لجون ما اصاب احد ارباب الاملاك من ذبحه في حمام بيد عبيده قال ملاحظاً : «هوذا الخطر الذي يتهددنا كنا» . وقال كاتب آخر: «اصبح كثير من الرومان عرضة لحقد عبيدهم أكثر من حقد الظالمين»

الشركات — كان في جميع بلاد الامبراطورية في الشرق اليوناني أكثر من الغرب اللاتيني عدد كبير من الشركات مختلفة الضروب والاشكال . فمنها شركات لارباب الصناعة الواحدة وشركات للمثليين والمصارعين وشركات اديبة وشركات لاجتماع السكيرين على الشراب ولبعض هذه الشركات أعضاء من الرجال الاغنياء مثل جمعيات الحياة وكان اعضاؤها يلتزمون الاموال الاميرية . ومثل جمعيات التجار الذين يتجرون بين ايطاليا وعاليا ولكن معظم تلك الجمعيات كان مؤلفاً من صعايلك القوم .

واقدر طال منع الحكومة الرومانية لهذه الجمعيات والشركات ثم تسامحت بها حتى اذا كان القرن الثالث اخذت تمد اليها يد مساعدتها ولكن الحكومة لم تمنع قط الجمعيات لدفن الموتى وكانت هذه الجمعيات ثلث من اناس مساكين لا يستطيعون ان يقتنوا ارضاً لتكون لهم قبرا فكانوا يستركون ويدفعون اقساطا للحصول على سرب يكون مشتركاً بينهم ليدفنوا فيه امواتهم . فالمغارة او السرب المعدة لدفن الموتى هو عبارة عن بناء مقبب وفيه صفوف كثيرة من المقاصير يجعل في كل واحدة منها رفات ميت ويسمون بها برج الحمام بسبب شكلها .

وعلى هذا كان اعضاء جمعية الموتى على ثقة من الحصول على مدفن لائق بعد موتهم وقبر دائم لهم على الدهر وهو ما كانت القدماء يحرصون عليه كل الحرص ويسمون هذه الشركات لا بأسماء حرن امثلا تكون شؤماً بل يسمونها باسماء ارباب ويسمون الشركات الصغار وكان يدخل فيها كثير من العبيد وتجعل جميع الشركات الا قليلا تحت حماية احد الارباب ليحميها (مثل جمعيات الاطباء التي اطلقوا عليها اسم اسكولاب) وما كان لكثير من هذه الشركات من عاية الا ان يتعبدوا كلهم جماعة . والحكومة لاتدر الارزاق الا على المعابد والكنهنة وبعض التعائر الرسمية . وجميع الاديان الاخرى كانت منظمة على هيئة جمعيات . ولاهلها صندوقهم وكاهنهم ومصلاهم ومذبحهم وحفلاتهم . وكانت الكنائس النصرانية اولاً شركات من هذا النوع .

واهم الشركات شركات ارباب الصناعات فكان منها في عامة المدن حتى ان العواصم كان فيها عدة شركات من نوعها واعضاؤها في العادة من ارباب الصناعة الواحدة وتسمى كل شركة باسماء صناعات اعضائها فقد كان في افيز شركة حلاجي الصوف وفي جنيف شركة الملاحين وفي ليون شركة عملة البناء . وتقبل كل شركة في اعضائها اناساً من اهل صناعة اخرى . ومن العادة ان يكون لكل شركة عبادة فتعبد رباً وتقيم عيداً للاحتفال به يحملون فيه علمه (ودامت هذه العادة في القرون الوسطى في شركات الصناع المسيحيين) وهذه

الشركة تقوم بدفن أعضائها متى ماتوا في مدافن لائقة . ولكل شركة مديران يختاران من المعلمين ويكونان في العادة وكيلًا وأمين صندوق ينتخبهما الأعضاء كلهم إلا أنه لم يكن لهما أدنى سلطة على أرباب الصناعة وما كان يكره أحد على الدخول معهم

الحقوق الرومانية

دين البيوت — يعبد أعضاء كل أسرة باجمعهم اجدادهم ويجتمعون حول مزار واحد فار بابهم واحدة ولم وحدهم ان ينظروا اليها ولا يحق لاحد ان يعبد اجداد أسرة الا اذا كان من فرع اولئك الجدود . ويقام المزار الذي يجعل فيه ارباب البيت في مكان منفرد من الدار لا يقترب منه غريب . والاسرة الرومانية اتبته بكيسة صغيرة لها دينها وعبادتها لا يقبل فيهما احد غير اعضائها ولذلك تختلف كثيراً عن الاسرة الحديثة لان نظامها ديني . الزواج — اخذ الرواج الروماني يصير احتفالاً دينياً فيسلم الاب ابنته المخطوبة الى خارج الدار فتحمل في موكب الى دار زوجها والناس يرددون كلمة مقدسة وهي : « العرس ايتها العروس » حتى اذا جاؤا بها الى دار زوجها يقدمون لها الماء والنار وهناك يقسم الزوجان بحضور ارباب الاسرة قطعة من الحلواء معمولة من الحوارى وكان يسمى الزواج اذ ذاك شركة الحلواء .

و قد اخترع الرومان منذ الزمن الاطول ضرباً من الزواج يسوغ للطبقة الوسطى فقط وهو اما ان يبيع المخطوبة احد اوليائها واقربائها بحضور شهود من قبل زوجها ويصرح هذا بانه ابتاعها على ان تكون زوجته وهذا زواج البيع واما ان تجيء الزوج فتساكن زوجها ومتى قضيا سنة معاً يعتبران متزوجين وهذا الزواج بالعادة

الرومان كاليونان يرون الزواج فرضاً دينياً والدين يأمر بان لا ندتر الاسر . وعند ما يتزوج الروماني يصرح بانه اتخذ زوجته ليكون له منها اولاد . وقد طلق احد اشراف الاغنياء زوجته وكان يحبها حباً جماً لانه لم يرزق منها اولاداً .

المرأة — ليست المرأة الرومانية حرة اصلاً فهي في سببيتها ملك ابائها يختار لها زوجاً واذا تزوجت يصير امرها بيد بعلمها ويقول الفقهاء انها في يده وانها مثل ابنته . وبالجملة فللمرأة سيد على الدوام بيده موتها وحياتها .

ومع هذا لم يعاملوا المرأة قط معاملة الرقيق بل هي مساوية في المكانة لزوجها ويدعوها أم الاسرة كما يدعو الرجل أبا الاسرة فهي سيدة في البيت كزوجها تسيطر على النساء الرقيقات فتكلفهن بجميع الاعمال الساقة كطحن الحب وخبز الخبز وعجنه . وتجلس في قاعة التشريفات من الدار تنسج وتحمك وتوزع الاعمال بين الاماء وتلاحظ الاولاد وتدير

شؤون البيت . وايست المرأة الرومانية كالمرأة اليونانية بميدة عن الرجال بل لتناول الطعام على المائدة مع زوجها وتستقبل الزائرين وتذهب لتناول الطعام في المدينة وتظهر امام الناس، في الحفلات وفي دور التمثيل وامام المحكمة . الا انها في العادة تكون جاهلة امية وذلك لان الرومانيين لا يهتمون بتعليم بناتهم . واهم صفة يعتبرونها في المرأة ان تكون زاهدة فاذا ماتت يكتبون على قبرها اشارة الى مدحها : « انها التزمت ببيتها ولم تخرج منه وعزلت الصوف »

الاولاد — الولد الروماني لاييه بمثابة ملك له وللوالد الحق في ان يعرضه في الشارع فاذا اخذه يريه في بيته اولاً والبنات يبقين في البيت ريثا يتزوجن وهن يغزلن ويحكن تحت ملاحظة امهاتهن والبنون يعملون في الحقول مع آبائهم ويقرنون على استعمال السلاح ليس الرومان شعباً مفضلاً في الصناعات وغاية امانهم ان يعرف ابناؤهم القراءة والكتابة والحساب وهم لا يطلبون على ذلك مزيداً فلا يعلمونهم الموسيقى ولا الشعر وبلقنونهم القناعة والحيمة والحشمة في ما تلبسهم والطاعة في منازعهم .

ابو العائلة — ان من يطلق عليه اسم سيد البيت يدعو الرومان ابا الاسرة . فابو الاسرة مالك للاملاك وكاهن في عبادة الاجداد وسلطان الاسرة فهو الحاكم المتحكم في بيته يحق له ان يطلق زوجته ويطرد ابنائه وان يبيعهم ويزوجهم بدون ان يأخذ رأيهم . ويحق له ان يستأثر بما يملكونه لنفسه بل وكل ما تحمله اليه زوجته وكل ما يكسبه اولاده . اذ لا يدوخ للمرأة ولا لاولادها ان يملكوا شيئاً وبالجملة فيبده حياتهم ومماتهم اي انه قاضيهم الوحيد . ان ارتكبوا جريمة قرب الاسرة يحكم عليهم لا الحاكم .

اصدر مجلس الشيوخ (١٨٦) الروماني امره ذات يوم باعدام جميع من اشتركوا في الاحتفال بعبادة باحوس فنفذ الحكم على الرجال . اما النساء اللاتي اشتركن في الحفلة مع المجرمين فعمد المجلس الى آباء الاسرات في امرهن وهم الذين اعدوا نساءهم وبناتهم . كان الشيخ كاتون يقول « ان الزوج قاضي امرأته له ان يعمل بها ما يشاء فاذا ارتكبت غلطاً يعاقبها واذا تناولت خمرأ يحكم عليها بالاعدام واذا حانت يقتلها » ولما كان كاتالينا بكيد المكاييد لمجلس الشيوخ لاحظ احداهم ان ابنه اشترك في المكيدة فاوقفه وحاكمه فحكم عليه بالموت . وتدوم سلطة ابي الاسرة بدوام حياته والابن لا يخلص من عبوديته له حتى انه اذا اصبح قنصلاً يظل خاضعاً لسلطة ابيه . ومنى مات الاب يصبح الاولاد اصحاب بيوت اما امرأته فلا تكون حرة اصلاً بل تكون تحت سيطرة ورث زوجها بل تخضع لابنها نفسه الثملك = كانت الثروة في القرون الاولى لرومية عبارة عن ماشية وعبيد خصوصاً واللفظ الذي دلّ بعد على الدراهم معناه قطع . ويسمى المالك رب الاسرة . ومن المحتمل

ان الارض لم تكن تنتقل بالارث لان لفظة ارض عندهم تدل على ارض مساحتها فدانان وهو المكان الذي يكفي لانشاء بيت وحديقة . ولم يلبث الرومانيون ان قبلوا عادة اعتبار المالك لحقل صاحباً له وعندئذ وضع حق التملك للماشية والعبيد والاراضي والبيوت وكانوا يعرفونه بانه حق الانتفاع والتحريب (الاستعمال وسوء الاستعمال)

تم صار لهذا الحق ان يتناول كل شيء من الحاجات واللاتات والدراهم والعقود والديون وحقوق الاستمتاع . ويجب على من اراد ان يملك شيئاً ان يملكه على الصورة التي عينتها العادة . واليك ملامح كيف تحري صفقة المبيع : يضع البائع امام خمسة من الوطنيين ينوبون عن مجمع ومعه سادس يمسك الميزان بيديه قطعة من الخحاس في هذا الميزان تعادل ثمن المبيع . فاذا كان هذا حيواناً او عبداً يمسكه البائع بيده ويقول : هذا لي بموجب القانون الروماني ابتعته بهذا الخحاس الموزون وزناً حسناً .

ثم ابتدعوا طرقاً اسهل لنقل الملك من يد الى يد فصاروا يكتفون بدفع المبيع الى المتباع . وهذه الطرق لا تملك تملكاً رسمياً بل يكون المقتني للملك ممتعاً به ولكن هذا التمتع يحوله نفس الحقوق كما لو كان ملكاً رسمياً له .

ولصاحب الملك الحق في ان يعطي املاً له بعده لمن يشاء واذا لم يوص بشيء من هذا القبيل يقتسم اولاده تروته واذا اراد ان يغير نظام الوراثة يكتب وصيته . وكان يجري ذلك بمجلس امام مجلس الامة زمناً طويلاً ثم اصطلحوا على صورة متكلفة في البيع كأن يبيع المالك ماله لمن يريد ان يجعله وريثاً له وانتهت الحال بان اصبحوا يكتفون بوصية مسطورة وكان يحق لصاحب الملك خلال القرون الاولى ان يوصي لمن يشاء وان لا يترك شيئاً لاولاده ثم اكره القضاة آباء الاسر بالتدريج على ان يوصوا لكل واحد من اولادهم بقسم من تروتهم فاخذ ينال كل ولد جزءاً من الارث .

الواح الوصايا الاثنتا عشرة — لم يكن عند الرومان في مبداء امرهم كسائر الشعوب القديمة شرائع مكتوبة بل كانوا يجرون على عادات الاحداد اي ان كل جيل يجري في كل شأن من شؤونه كما جرى الجيل السالف . وقد سنّ حوالي سنة ٤٥٠ عشرة احكام منتخبين شرائع كتبوها في اثني عشرة لوحة من الحجر . وكانت هذه شريعة الاثني عشرة لوحة أنشئت احكاماً موجزة شديدة قطعية وما هي الا لقنين جاف قاس مثل الشعب النصف البربري الذي وضع له . فبموجب هذه الشريعة يعاقب الساحر اذا تلا كلمات سحرية ومر على حقله بغلة جاره . واليك حكم هذا القانون في المدين الذي لم يؤد ما عليه من دين : « اذا لم يدفع يرفع امره الى القضاء واذا عاقه المرض او السن عن الحضور يركب حصاناً او

محفة ويمهل ثلاثين يوماً فاذا لم يوف ما عليه يربطه الدائن بسيور او سلاسل وزنها ١٥ ليرة و بعد ستين يوماً يبيعه فيما وراء نهر التيبر وللدائنين اذا تعددوا ان يقطعوا المدين ارباً ارباً ولا غبن اذا قطعوا منه قليلاً او كثيراً قال شيشرون كانت شريعة الاثني عشرة لوحة منبع التقنين الروماني باسره وكان الاولاد في المدارس يستظهرونها بعد اربعة قرون من وضعها .

الاشارات في الدعاوي — لا يكفي بموجب هذا القانون الروماني القديم اتفاق الاختصاص في مسائل البيع والشراء والارت فلا يكفي لاجل احد حكم المحكمة الرومانية ان يعرض الانسان قضية بل يجب عليه ان يلفظ عدة كلمات ويقوم ببعض اشارات تقضي بها العادة وكل قضية تقام امام المحكمة يجري تمثيلها بالاشارات . فللطالب بشيء يسكه المدعي بيده والاحتجاج على حار رفع حائطه على جاره يرمون بحجر على هذا الحائط . وهاك ما يجري اذا اختلف اثنان في ملكية حقل . يأخذ الخصمان بايديهما كأنهما يريدان ان يتضاربا ثم يفترقان ويقول كل منهما : « اصرح بان هذا الحقل لي بموجب حقوق الرومانيين فانا ادعوك باسم محكمة القاضي الى مكان الحقل ليفصل فيه بيننا » فيأمرها القاضي ان يذهبا الى الحقل قائلاً لها : اذهبا فهذا طريقكما امام الشهود الحاضرين . فيخطو المتخاصمان بضع خطوات كأنهما ذهبا وفي ذلك رمز الى ذهابهما . فيقول لها احد الشهود : ارجعا . وبذلك اشارة الى انها ذهبا الى الحقل فيقدم كل من الخصمين مدرة من التراب وهي اشارة للحقل . وهكذا تبدأ الدعوى وعندئذ يستمع القاضي للمتخاصمين . والرومانيون كسائر الشعوب القديمة لا يحسنون فهم غير ما يقع تحت انظارهم فبالمداديات يتمثلون الحق الذي لا يرى .

ولقد كان الرومان يحترمون هذه الاشكال القديمة من الاحكام من وراء الغاية فكانوا في القضاء كما هم في الدين يطيعون نص القانون دون ان يهتموا بالبحث عن معناه وعندهم ان كل دستور مقدس تجب المبالغة في تنفيذه ومن الحكم الجارية في قضاياهم ان كل ما يفوه به اللسان يكون حقاً . فاذا غلط صاحب الدعوى في ايراد مدعاه يخسر قضيته واذا اقام رجل فضيته على جاره لانه قطع له كرمه يجب ان تكون الصورة التي يوردها امام المحكمة حاوية لكلمة « شجرة » فاذا استعاض عنها بكلمة « كرم » لا يحكم له .

واحترام هذه المراسيم على اطلاقها فتح للرومانيين سبيل الوفاق الغريب في أمور كثيرة فالشريعة تقول ان الاب اذا اباع ابنه ثلاث مرات يحرر الولد من سلطة ابيه ومتى اراد روماني تحرير ابنه يبيعه ثلاث مرات متوالية وهذا العمل المضحك في بيعه يكفي لتحريره .

وكانت الشريعة تقضي قبل البداءة بحرب ان يرسل مناد ينادي بها على تخوم العدو . ولما أرادت رومية اعلان الحرب على بيروس ملك ابير الذي كانت مملكته في عبرالادرياتيكا رأت الحكومة الرومانية للقيام بهذه المصطلحات ان يتناح احد رعايا بيروس وربما كان من الآبقين من الجندية حقلاً من رومية واوهموا بان هذا الحقل اصبح ارضاً من بلاد ابير وراح المنادي بلقي فيها حربة ويدعو فيها للحرب علناً . وكان الرومانيون مثل جميع الامم الفتية يعتقدون باطلاً ان للراسيم المقدسة فضيلة سحرية

الفقه — كانت شريعة الاثنتي عشرة لوحة والشرائع التي وضعت بعد موجرة ناقصة فكانت تعرض مسائل كثيرة لاجل لها في قانون من القوانين الموضوعة . ففي مثل هذه الاحوال الصعبة كانت العادة متبعة ان يعتمد الى الاحذ برأي بعض اشخاص استهروا بمعرفتهم في مسائل الحقوق . وكانوا من اهل الاعتبار ومنهم قناصل قدماء او احبار فيكتبون آراءهم كتابة وتسمى فتاويهم اجوبة العقلاء . ومن العادة ان يكون لهذه الاجوبة شأن وقية لان استحبابها الحكماء على جانب من الاعتبار والحرمة . وقد زاد الامبراطور اغسطس بان عين بعض هؤلاء الحكماء وقرر ان تكون اجوبتهم قانوناً يعمل به . وعلى هذا صار الحقوق علماً وعلماً الحقوق او الفقهاء المشرعون يضعون القواعد الجديدة التي أصبحت سارية فنتاً بذلك علم الفقه

أمر القاضي — دعت الحال في رومية الى نصب حاكم اعلى لينفذ قواعد الحقوق المقدسة وللقنصل أو القاضي فقط ان يدير شؤون محكمة او يحقق الحقوق . واذ كان القناصل يعنون بقيادة الحيوس وهم يمهدون في العادة بالنظر في الحقوق الى القضاة . وكان في رومية قاضيان حاكمان على الاقل يفصل احدهما في المسائل التي تحدث بين الوطنيين ويسمى قاضي المدينة وينظر الآخر في الدعاوي التي تنشأ بين الوطنيين والاجانب ويسمى قاضي الاجانب وهناك محكمتان لان الغريب لا يحاكم امام محكمة الوطنيين .

وهذان القاضيان بالنظر لما لها من السلطة المطلقة يفصلان القضايا على ما يترأى لهما . بل ان قاضي الاجانب لم يكن مقيداً بقانون لان الشرائع الرومانية لم توضع الا للوطنيين الرومانيين . ولما كان كل قاض يتولى منصبه في القضاء سنة واحدة فهو يكتب عند دخوله أمراً يبين فيه القواعد التي ينوي اتباعها في الاحكام ويسمون هذا الامر امر القاضي . وبعد سنة عند ما تنتهي مدة القاضي يسقط قانونه فيحق خلفه ان يسن قانوناً مخالفاً لقانون سلفه جملة واحدة ولكن جرت العادة ان يحتفظ كل قاض بما صدر عن اسلافه من الاوامر فيدخل فيها بعض التبديلات ويضيف اليها بعض زيادات . وهكذا تجتمعت أوامر القاضي

قرونًا . ثم انتأ الامبراطور هاردن في القرن الثاني « براءة القاضي » وجعلها قانونًا مرعي الاجراء .

واذ كان هناك محكمةان منفصلتان احدهما عن الاخرى وضعت قاعدتان متباينتان وقانونان مختلفان فتتألف من القواعد المتبعة التي يجري عليها قاضي المدينة في مسائل الوطنيين الحقوق المدنية أي حقوق المدينة ومن القواعد التي يجري عليها قاضي الاجانب لتألف حقوق الناس اي الشعوب (العربية عن رومية) فادرك القوم اذ ذاك ان عدل هذه القواعد في الحقوق وابسطها واعقلها وبالاجمال افضلها الحقوق الاجنبية وان حقوق الوطنيين المأخوذة ضمن قواعد محصورة عن قدماء الرومان كان فيها خسونة وقواعد بربرية . اما حقوق الناس (الاجانب) فكان اساسها على العكس عادات التجار وعادات أناس من بلاد مختلفة زلوا رومية وهي عادات سالمة من كل سائبة ووهم وطني أخذت بمرور الايام واقراها الاحتبار قرونًا كثيرة . ورأى القوم كيف كانت الحقوق القديمة مخالفة للعقل . فقد جاء في بعض الامثال الرومانية «ان الحق الناصع هو الذي ننصه ساطة عليا ظالمة» وعلى هذا أنشأ قصاة الوطنيين يصححون القانون القديم ويحكمون باحكام العدل حتى بلغوا بالتدريج ان ينعذوا في الوطنيين نفس القواعد التي كان قاضي الاجانب يجري عليها في محكمته .

متال ذلك ان القانون الروماني يقضي ان يرت الاقارب من المذكور فقط الا ان القاضي دعا الاقارب من النساء ان يشتركن في الارت . ويقضي القانون القديم بان لا يكون المرء صاحب ملك الا اذا قام بالاحتفال في المبيع فاعترف القاضي بانه يكفى المبتاع ان ينقد البائع ثمن ما ابتاعه وان يصع يده على الملك حتى يعد مالكاً - وانت ترى ان حقوق الاجانب تعلبت على الحقوق المدنية وأبطالتها

القانون المظفر - أنشئت الحقوق الرومانية على عهد الامبراطرة خاصة فاصدر الامبراطرة الاطونيون كثيرًا من الاوامر واللائح وكانت هذه رسائل تصدر عن الامبراطور جوابًا عن الموظفين الذين يستطلعون طلع آرائهم فيساعدهم على القيام بهذا الاصلاح القضائي اناس من المتشرعين عندهم وظل بعض المتشرعين في أوائل القرن الثالث زمن من حسنت سيرتهم او ساءت من الامبراطرة يضعون القوانين الجديدة في الحقوق ويصلحون ما وجدوه منها قديمًا . ومن أشهرهم بابين واولبين ومودسين و بولس فان تأليفهم هي التي كانت أساسًا للحقوق الرومانية بعد

وهذه الحقوق التي نظمت في القرن الثالث لاشبه بينها وبين الحقوق الرومانية القديمة بحال من الاحوال اذ القديمة لم تكن ترحم الضعفاء فاقببس المتشرعون افكار فلاسفة اليونان

ولا سيما الرواقيين منهم وذهبوا الى ان الحرية حق طبيعي لكل من يولد حراً أي ان العبودية مخالفة للطبيعة ولذلك رأوا انه يحق للعبد ان يطلب انصافه حتى من سيده وان هذا اذا قتل عبده يجب ان يعاقب عقاب القاتل وكذلك حموا الولد من ظلم ابيه وهذا القانون الجديد هو الذي سموه بعد بالقانون المـسطور وهو في الحقيقة قانون جروافيه مع الفلسفة على نحو ما يأمر به العقل الداس كافة ولدا لم يبق فيه اثر للقانون الحائر المعروف بقانون الالنتي عشرة لوحة . فليس القانون الروماني الذي حكمت به بلاد الامبراطورية باسرها زمناً طويلاً ذلك القانون الذي لم يرح بعضه داخلاً في قوانيننا بل هو قانون قدماء الرومان وضع بحسب عادات جميع الشعوب القديمة ونسخ فيه على مثال الحكم الماثورة عن حكماء اليونان ثم مزج كل ذلك مزيجاً واحداً وكتبه اناس من الحكماء والفقهاء الرومانيين قروناً طويلة

النصرانية

تعليم المسيح (عليه السلام) - كان الاسرائيليون ينتظرون المسيح من نسل داود ملكاً لهم ومخلصاً فظهر عيسى في الناصرة في ولاية صعرى من الشمال اسمها الجليل لا تكاد تعرف بانها يهودية . ولد من اسرة وضيعة تحترب بالحجارة . فسماه اتباعه من الروم المسيح اي الممسوح يعنون الملك الممسوح بالرب المقدس كما دعي السيد والرب والمخلص . كلنا نعرف الديانة المسيحية . فيكفي اذا ان بين ماهي التعاليم الجديدة التي نشرتها في العالم . فقد اوصى المسيح اولاً بالمحبة فقال « انك تحب الرب الهك من كل جوارحك وفكرك وستحب قريبك كما تحب نفسك فجامع الشريعة وتعاليم الانبياء داخله في هاتين الوصيتين » فمن الواجب محبة الغير واسعافهم ومتى قضى الله بين عباده يجعل على يمينه من اطعموا الجياع وسقوا العطاس وكسوا العراة . ويقول المسيح لمن يريد اتباعه اولاً : « اذهب فبع مالك وادفعه للفقراء واقدك القدمات يعتبرون للشريف والغني والشجاع هو الرجل الصالح الا ان هذا الاسم تغير معناه منذ جاء المسيح فاصبح الرجل الصالح هو الذي يحب غيره . فعمل الخير هو محبة الغير والسعي في نفعهم . والاحسان (وهو باللاتينية مرادف للحب) اساس التقوى . وغدت لفظة محب مرادفة للفضة محسن . وضع المسيح تعليمه في الاحسان بدلاً من التعليم الاسرائيلي القديم في الانتقام فقال « عرفتم بانه قيل العين بالعين والسن بالسن اما الآن فاقول لكم اذا ضربكم احد على خدكم الايمن فقدموا له الايسر . وقيل احبوا قريبكم وابغضوا عدوكم اما انا فاقول لكم احبوا اعداءكم وافعلوا الخير مع من يبغضونكم وباركوا لمن يضطهدونكم لتكونوا ابناء الذي في السماء الذي ينزل المطر على العادلين والظالمين

حتى ان المسيح وهو على الصليب استغفر لجلاديه فقال : اعف عنهم يا رب فانهم لا يعرفون ما هم فاعلون . »

احب المسيح الناس قاطبة . ومات لا من اجل شعب واحد بل من اجل الانسانية كلها . وما قط ميز بين الأشخاص فكلهم سواء امام الله . ولقد كانت الاديان القديمة حتى دين اسرائيل دين شعب يحتفظ به ويكتمه بعناية احتفاظه بكزتمين دون ان تحده نفسه في تبليغه شعباً آخر فقال المسيح لتلاميذه اذهبوا اذاً وعلّموا جميع الامم .

وبعد ذلك قام بولس احد الحواريين وقرر تعليم المساواة النصرانية بقوله : « لم يبق اولون ولا آخرون كما لم يبق روم ولا يهود ولا مطهرون ولا قُلم ولا برابرة ولا عبيد ولا احرار فقد اصبح المسيح هو الكل في الكل . »

كان القدماء يذهبون الى ان الثروة تعلي شأن الانسان وينظرون الى ان الكبر عاطفة شريفة فقال المسيح : « طوبى للفقراء فان لهم ملكوت السموات » « من لم يتنازل عما يملكه لا يكون تلميذاً لي » حتى انه هو ايضاً كان يتنقل من مدينة الى مدينة ولا سبد له ولا لبد وعند ما كان تلاميذه يهتمون للمستقبل كان يقول لهم « لا تقلقوا لما تأكلون ولا لما تلبسون والقوا بانظاركم الى الطيور في السماء فهي لا تزرع ولا تحصد ومع هذا فان اناكم السماوي متكفل برزقها »

وعلى المسيحي ان يحترق الثروة وان يشتد في الازدراء بالعظمة . كان تلاميذه يتنازعون ذات يوم فمن يكون له المقام الاول في السماء فقال : « ان اعظمكم هو الذي يخدم غيره لان من يرتفع يسقط ومن يسقط يرتفع » وما زال البابا الى اليوم وهو خليفة القديس بولس يدعى بحادم خدمة المولى . كان المسيح بوثران يجتذب اليه المساكين والمرضى والنساء والاولاد بل والضعاف والمحرومين واحتار حواريه من عامة الناس وكان يكرر على مسامعهم « تلطّفوا وألّينوا قلوبكم »

ملكوت الله — كان المسيح يقول انه جاء الى الارض ليؤسس ملكوت الله . فظن اعداؤه انه طامع في ملك وعنده ما صلب كتبت على صليبه هذه العبارة : « يسوع الناصرة ملك اليهود » وهذا كان خلاف ما يقصده . فقد صرح المسيح نفسه بان ملكوتي ليس في هذا الارض . فلم يجيء ليقالب الحكومات ولا ليصلح المجتمع واجاب من سأله فيما اذا كان يجب اداء الجزية للرومانيين بقوله : « ادفع ما تقبصر لقيصر وأد ما لله لله . ولذا رضي المسيح بنا رآه موجوداً وعمل على تهذيب نفسه وتكميلها لا على اصلاح المجتمع ولاجل ان يفوز المسيحي بمرضاة الله ويكون اهلاً لبلوغ ملكوته لا يقتضي له ان يقدم

النذور ويقف عند حد ما رسمته الشريعة كما فعل الفريسيون اليهود او عبدة الارباب القديمة « فان المتعبددين الحقيقيين يعبدون اباهم بالفكر والحقيقة » وكلمة المسيح هي جماع آدابهم وهي : « كونوا كاملين مثل ابيكم الذي في السموات فانه كامل »

الحواريون — عهد الى الاثني عشر حوارياً الذين كانوا ملتفين حول المسيح ان يبشروا بتعاليمه في الامم باسرها . فدعوا بالحواريين (المرسلين) سكن معظمهم القدس ودعوا الى دينهم في ارض اليهودية . وكان المتنصرة الاول من الاسرائيليين .

وكان شاول اول من دان بالنصرانية وحف يحمل تعاليم هذا الدين الى امم الشرق فقضى بولس (هو الاسم الذي اتخذه) حياته بطوف المدن اليونانية في آسيا الصغرى وبلاد اليونان ومكدونية داعياً الى الدين الجديد لا الاسرائيليين فقط بل ابناء الامم الاخرى قائلاً كنتم فيما سبق بدون المسيح بعيدين عن المحاللات والوعود وها قد التأم تحتكم بدم المسيح لانه هو لا يميز بين الشعبين وينظر اليهما كأنهما شعب واحد . ولم يعد من حاجة ان يكون المرء اسرائيلياً حتى ينتحل النصرانية فان الامم الاخرى التي نبذتها شريعة موسى قد تقاربت فيما بينها بفضل شريعة المسيح . وهذا الامتزاج هو بصنع القديس بولس ولدا سمي رسول الامم .

كان المنتحلون للنصرانية باديء بدء من يونان آسيا الصغرى ثم ننصر كثيرون في جميع المدن الكبرى واتى زمن طويل والطائفة المسيحية في رومية ايضاً مؤلفة من ابناء يونان . فانتشر دين المسيح اولاً ببطء على نحو ما ستر بذلك المسيح بقوله : « يتبه ملكوت الله حبة من الخردل فهي اصغر الحبوب ومع هذا ينبت منها نبات اطول من جميع البقول فتؤوي طيور السماء الى ظلها » .

الكنيسة الاصلية — كان المسيحيون في جميع البلاد التي نزلوها يجتمعون للصلاة جماعة وانتاد امامدح المولى والاحتفال بالعتاء السري وهي اكلة يتناولونها بالاشتراك تذكراً لآحر اكلة للمسيح وتسمى اجتماعاتهم الكنيسة (المجلس)

ومن العادة ان يعامل المسيحيون في كنيسة واحدة بعضهم بعضاً معاملة الاخوة ويأتون بالعطايا لينفقوها على الارامل والفتراء والمرضى . واكثر رجالهم احتراماً بينهم الرهبان ومعنى ذلك القدماء يديرون شؤون الطائفة ويقومون بالفروض الدينية . ويتولى آخرون النظر في املاك الطائفة وكانوا يدعون الشماسة (الملاحظون) تم كثرت اعمال الكنيسة حتى انقسم سواد المسيحيين الى فرقتين احدهما جماعة المكلفين بالنظر في وظائف الطائفة وسموهم رجال الكهنوت (اي خدمة الرب) والباقيون هم جمهور المؤمنين وسموهم العامة (العلمانيين)

كان لكل مدينة كنيسة مستقلة فيقولون كنيسة الطاكية وكنيسة كورنت وكنيسة رومية وكلها في الحقيقة كنيسة واحدة وهي كنيسة المسيح حيث كان يربط الجميع الاعتقاد بايمان واحد . فالاعتقاد العام او الكاتوليكي كان هو المعول عليه دون سواه اما الالة الخاصة (المرطقات والاحاد) فكان يحكم عليها بانها اوهام واعلاط .

وبقي الكتاب المقدس عند اليهود اي العهد القديم مقدساً عند المسيحيين وصار لهؤلاء كتب اخرى جمعتها الكنيسة في مصحف واحد وسمتها العهد الجديد . فالانجيل الاربعة نقص حياة المسيح والبشارة بما حمله من السلام . واعمال المرسل تذكر كيف انتشرت هذه البشارة في العالم . ورسائل الرسل هي رسائل ارسلها الخواريون الى مسيحيي العهد الاول والابوكاليبسيس (رؤيا القديس يوحنا الانجيلي او الحليان) هو ما اوحاه القديس يوحنا الى السبع كنائس في آسيا . كتبت جميع كتابات العهد الجديد باليونانية وهي اللغة التي كانت لغة المسيحيين الى اواخر القرن الثاني وقد انتشر بين المسيحيين كثير من الكتب زعموا انها مقدسة فرفضتها الكنيسة كلها وسموها المزورة

الاضطهادات — اضطهدت الديانة المسيحية منذ ظهورها فكان اليهود اعداءها الاول اضطروا الحاكم الروماني في بلادهم الى صلب المسيح ورجعوا القديس اتين (الشهيد الاول) واستدوا في طلب القديس بولس وكادوا يقتلونه ثم وقع الاضطهاد على النصرانية من الرومان فان هؤلاء كانوا ينساقون مع جميع اديان الشرق لان عبدة اوزيريس وميترا والربة الصالحة كانوا يعترفون بالاديان الرومانية مع اربابهم الا ان المسيحيين عبدة الله الحي كانوا يزدرون بالمعبودات الصغيرة القديمة بل ان الجريمة الكبرى التي تعد على المسيحيين في نظر الرومانيين انهم كانوا يابون عبادة الامبراطور كما يعبد رب وان يحرقوا الجذور على مذبح ربة رومية

وقد اصدر كثير من الامبراطرة اوامر الى ولايتهم بأمر ونهم بالقبض على المسيحيين واعدائهم . وقد كتب بلين وكان والياً في آسيا الى الامبراطور تراجان كتاباً يدل على الطريقة التي كان يعامل بها المسيحيون قال : « جريت الآن مع من اتهموا بانهم نصارى على الطريقة الآتية وهو اني أسألهم عما اذا كانوا مسيحيين فاذا اقرروا أعيد عليهم السؤال ثانية وبألة مهذبة اياهم بالقتل فان اصرروا أنفذ عقوبة الاعداء عليهم مقتنعاً بان عظمهم الذي يعترفون به مما كانت فظاعته وان عنادهم الشديد وعدم طاعتهم يستحقان العقوبة . وقد وجهت الشكوى الى كثيرين بكتب لم تذيل باسماء اصحابها فانكروا بانهم نصارى وكرروا الصلاة على الارباب الذين ذكرت اسماءها امامهم وقدموا الخمر والبحور لتمثال

اتيت به عمدًا مع تمائيل الارباب بل انهم شتموا المسيح . ويقال ان من الصعب اكراه النصارى الحقيقيين . ومنهم من اعترفوا بانهم نصارى ولكنهم كانوا يبتنون بان حريتهم وحطامهم نصوصان في انهم اجتمعوا بعض ايام قبل طلوع الشمس على عبادة المسيح على انه رب وعلى استاد الاناسيد اكرامًا له وتعاهدوا بينهم مقسمين الايمانات لاعلى ارتكاب جريمة بل على ان لا يسرقوا ولا يقتلوا ولا يرثوا ويوفوا يهودهم . ورأيت من الصلوة الوقوف على الحقيقة ان أعذب امرأتين أمتين دعوها حادمتي الكنيسة بيد ابي لم اقف على شيء اللهم الا ما كان من خرافة سخيفة مبالغ فيها »

وعلى هذا فقد كانت الحكومة هي المصطعدة (١) الا ان العامة في المدن الكبرى كانوا اكثر اضطهادا للمسيحيين فلم يكونوا يتسامحون مع هؤلاء الذين يعبدون الها آخر عيرار بانهم ويحتقر هذه الارباب ويرون ان انكار المسيحيين لما يعبد الرومان يحلب على العالم غضب هذه الارباب . وكنت تسمع القوم اذا وقع فحط ومخافة ووباء يهتفون هتافهم الذي اشتهر امره «النصارى للاسود» والشعب يكره الحكماء على المحت عن المسيحيين ومطاردتهم .

الشهداء — هلك الوف من المسيحيين في حلال قرنين ونصف باله في الاضطهاد في طول المملكة الرومانية وعرضها وكان الهاكون من كل سن وجنس وطبقة . فالودونيون الرومانيون تضرب اعناقهم كما جرى للقدس بولس والباقيون يصلبون ويحرقون وكثيرا ما يلقون للوحوش الكاسرة نهنهم . وادا ابقوا عليهم يبعثون بهم الى الاعمال الشاقة في المناجم وكثيرا ما كانوا يبالعون في عقاب النصارى بايجاد وسائل لاهلاكهم من كل نوع . وفي المقتلة العظمى التي وقعت في ليون سنة ١٧٧ احذ المسيحيون بعد ان عدوا وسحبوا في مطبق ضيق الى الملعب فاحذت الحيوانات الكاسرة تمزق اوصالهم ولا تقتلهم ثم اجلسوهم على كراسي من حديد محما بالنار . واذا قاومت فتاة من الايماء اسمها بلاندين ان تعذب على هذه الصورة جعلوها في شبكة ووضعوها امام تور عضبان .

وكان المسيحيون يتلقون بسرور هذا التعذيب الذي يفتح لهم ابواب السموات ويرون فيه وسيلة الى الاستشهاد علنا في حب المسيح ولذلك كانوا يسمون انفسهم بالشهداء (اي الشهود) لا بالمتكبرين وعقوباتهم شهادة . بل انهم كانوا ينظرون الى تعذيبهم بنظرهم الى قتال الالعب الاولمبية ويرون انهم كالمصارع الظافرين لون الفخار والتاج . وما يرحوا حتى اليوم يحتفلون بعيد الشهداء واعيادهم موافقة للايام التي قتلوا فيها وكثيرا ما كان احد من

(١) نقول الكنيسة ان المسيحيين اضطهدوا مرات الاولى على عهد يرون (٦٤) والثانية

على عهد ديوكلايين (٣٠٣)

يحضرون تعذيب احد الشهداء يكتب قصته وكيفية توقيفه واستنطاقه وتعذيبه وعقوبته وهذه الكتابات على احتصارها طائفة بالعبارة وكانت تسمى اعمال الشهداء ونشرت حتى بين الطوائف البعيدة من اقصى المملكة الى اقصاها وما هي الا مرددة للمحد الذي احرزه المعترفون بالامان الصحيح وداعية الى الترعيب في الحري على مثالهم

واقعد حدا حب الشهادة بالوف من المسيحيين ان يعلنوا امرهم بانفسهم ويطالبوا بالحكم عليهم وامر احد حكام آسيادات يوم بالقاء القبض على بعض المسيحيين فجاء جميع متنصرة المدينة يتقدمون للمحكمة طالبين اليها محاكمهم . فاستشاطوا الى غضباً فقتل بعضهم وطرد الآخريين قائلاً : « ارحموا اليها الاسافل ان كنتم تحرصون كثيراً على الموت فهل عندكم قبور تسعكم وحبال ثقيدكم » وكان بعض المسيحيين يدخلون المعابد ويقبلون فيها اصنام الارباب ليكوبوا على رقة من انهم يتنقون حتى قضت الحال ان تمنع الكنيسة مرات تعرض النصارى ليل الشهادة

الدياميس — كان المسيحيون ينكرون العادة القديمة في احراق الموتى فاحذوا يدفنون موتاهم كاليهود في نواويس بعد ان يكفنوهم في اكفان فاحتاجوا الى قبور . واذ كانت الارض غالية الثمن حدا برل المسيحيون الى تحت الارض وحفروا في الارض الرخوة التي كانت رومية قائمة عليها دهالير طويلة وعرفاً ارضية وهناك كان المسيحيون في مقاصير احتفروها على طول الحواجز يدفنون موتاهم واداحد كل حيل يحفرونفسه دهالير جديدة صارت تحت الارض مع الزمن مدينة ارضية سموها الدياميس . ومثل هذه الدياميس كان في نابولي وميلان والاسكندرية الا ان اشهرها دياميس رومية . وقد فتحت في ايامنا فرأوا فيها الوفاً من القبور والكتابات المصرية وما اكتشفت هذا العالم المدفون تحت الارض شأ فرع جديد من فروع العلوم التاريخية وهو علم الكتابات والآثار المصرية . وقد شوهد ان قاعات المدافن في الدياميس منقوشة برسوم بسيطة وصور ولكنها تمثل مشاهد واحدة الا قليلاً وهي اما ان تصور المؤمنين من المسيحيين في الصلاة او الراعي الصالح وهو رمز المسيح . وكانت بعض هذه القاعات اتبه بالمعابد وفيها دفنوا جثث القديسين الشهداء والمؤمنين الذين رغبوا في ان يدفنوا في جوارهم وكانوا يأتون كل سنة لتناول الاسرار . وكثيراً ما التجأ المسيحيين في رومية خلال اضطهادات القرن الثالث الى هذه الكنائس الارضية للقيام بصلواتهم او للفرار من الطلب عليهم .

قسطنطين

تغلب النصرانية — مضى القرنان الاولان للميلاد والمسيحيون ضعاف التأثر في

الامبراطورية الرومانية وجمهورهم من السوق والعملية والعبيد والمعتقين والعبيد ممن يضيعون في عمار الناس بالمدن الكبرى وقد مضى زمن والطبقة العالية تنكر وجودهم حتى ان سويتون في القرن السامي لما تكلم في تاريخ القياصرة على المسيح قال انه رجل اسمه كريستوس يلبي الاضطراب بين سكان رومية . ولما اخذ الاغنياء والادباء يننون بامر الدين الجديد لم يكن ذلك منهم الا ليهروا به ولا يدكرونه الا انه دين فقراء وجهلة . واذ حانت النصرانية لمساكين هذا العالم بان وعدتهم الحراء عن هذه الحياة في الآخرة كتر اتياعها والقائلون بالتدين بها ولم تحمل الاضطهادات دون انتشارها بل قوتها وبعثت كلماتها فقد كان المسيحيون يقولون ان دم الشهداء نذر للمسيحيين وقد ظل الاهتمام الى النصرانية ينتشر خلال القرن الثالث كله بين رجال الاسرات الكبرى لا بين الفقراء فقط وما جاء اوائل القرن الرابع الا وقد اصبح الشرق كله اي البلاد التي نتكلم باللغة اليونانية مسيحياً ناسره وكانت هيلانة ام الامبراطور قسطنطين مسيحية فجعلتها الكنييسة في مصاف القديسات ولما زحف هذا الامبراطور على مراحمه ملك رومية وضع على علمه شارة الصليب وشعار المسيح وكانت العلبة التي كتبت له علبة للنصرانية فسمح للنصارى ان يقوموا بتعائير دينهم دون ان يعارضهم احد (بامره الصادر سنة ٣١٣) ثم اخذ يعطف عليهم حماراً . ومع هذا لم يتخل عن الدين القديم (الوثنية) . فبينما كنت تراه يرأس مجلس اساقفة المسيحيين الاعلى كان بلقب الملقب الحبر الاعظم ويحمل على حودنه مسماراً من الصليب الحقيقي وقوده منقوش عليها صورة رب الشمس . وقد انشأ في مدينة القسطنطينية كنيسة نصرانية كما انشأ معبداً تذكراً لهذه العلبة . ومعنى نصف قرن كان فيه من الصعب معرفة دين المملكة الرسمي في الامبراطورية .

نظيم الكنيسة -- لم يحظر في نال المسيحيين حتي في الارمان التي نالهم فيها الاضطهاد ان يقابلوا كيان الامبراطورية . ومنذ نطل اضطهادهم اصبح اساقفتهم حلفاء الامبراطور وعندها انتظمت حالة الكنيسة المسيحية بصورة قطعية على الصورة التي بقيت عليها الى يومنا هذا . فصار لكل مدينة اسقف يقيم في الحاضرة ويحكم على المسيحيين التابعين لها وتسمى الارض الخاضعة لاسقف ابرشية . وكان في اقطار الامبراطورية الرومانية ابرشيات واساقفة على قدر ما فيها من مدن وهذا هو السبب الذي من اجله كان الاساقفة كثيرين والابرشيات صغيرة في الشرق وفي ايطاليا حيث كثر عدد المدن . وعلى العكس في مدن غالبا فانه لم يكن بين الرين والبيريه سوى ١٢٠ ابرشية ومعظمها ما عدا ابرشيات الجنوب في المائة كلاً .

اصبحت كل ولاية مقاطعة كنائسية وسمي اسقف العاصمة اسقف المركز بعد رئيس الاساقفة . وكثيراً ما ينظر الى اسقف اعظم مدينة في بقعة بانه ارقى الاساقفة في تلك الارحاء وكان اساقفة المدن الرئيسة بالترق في القدس وانطاكية والاسكندرية والاستانة يدعون بالبطاركة وفوقهم كلهم البابا اسقف رومية وهو الرئيس الاعظم في الكنيسة . وفي هذا القرن انشئت المجامع الدينية الكبرى مكان في آسيا الصغرى اولا مجامع خاصة يجتمع فيها اساقفة ناحية من النواحي وكهناتها . وفي سنة ٣٢٤ دعا قسطنطين للمرة الاولى مجمعا دينيا عاما من اهل الارض الى مدينة بيقية في آسيا الصغرى حضره ٣١٨ رجلا من رجال الكنيسة فتناقشوا في المسائل اللاهوتية واتسوا الاعتراف بايمان الكاثوليك الذي سموه قانون نيقية وما زال المسيحيون يتدونه الى اليوم في قداس كل احد . تم كتب الامبراطور الى عامة الكنائس ان تمتثل ارادة المولى التي تجلت فيما اجمع عليه المجمع العام وكان هذا هو المجمع المسكوني الاول . واصبحت القرارات التي نقرها المجمع شريعة يجب على المسيحيين قاطبة ان يعملوا بها وسموها القوانين او القواعد . ويتألف من مجموع هذه القواعد القوانين الكنائسية .

الملاحدة (الهرطقة) نشأ منذ القرن الثاني بين المسيحيين ملاحدة يحالفون في آرائهم السواد الاعظم من اساء الكنيسة . وكثيرا ما اجتمع الاساقفة في بلد ليعلموا المؤمنين بان المذهب الجديد باطل ويكرهوا مبتدعه على الرجوع عنه وادا ابى يخرجونه من الوحدة المسيحية . وقد يستحيى صاحب البدعة اعوانا يقتنعون بصحة دعوته فلا يروى الرجوع عما وافقره عليه ويظلمون يدينون بما حكم المجمع برده من الآراء . ومن هنا نشأت العداوات والفتن الشديدة بينهم وبين المسيحيين المتعلقين برأي الكنيسة (الارثوذكس) واد كان المسيحيون صاعقا ومضطهدين لم يتنازعوا بينهم الا بالكلام والكتابة ولكن لما اصحت الدلائل مسيحية كلها استحال النزاع بين المسيحيين والمخالفين منهم في بعض الآراء الى اصطهاد الملاحدة وكثيرا ما تشب منه حروب اهلية .

وتكاد تنشأ جميع البدع في ذلك العهد بين يوزن آسيا ومصر على يد اناس من الازكياء والسفسطائيين والمجادلين وقد نشأت تلك البدع في العادة من محاولة فهم اسرار التثليث والتجسد . وكانت بدعة آريوس اقوى جميع البدع فمن مذهبه ان الله الآب خالق المسيح وليس هو مثله فحكم المجمع النيقى بتبديعه ولكن مذهبه انتشر في بلاد الشرق عامة . ومذ ذاك العهد ظل الكاثوليك والآريوسيون يتنازعون بينهم ايهم يستأثر بالسلطة في الكنيسة والحرب الاقوى يعزل وينفى ويحبس وحيانا يذبح زعماء الحزب المخالف . ومضى زمن

والقوة للآريوسيين وقد تحزب لقولهم عدة من الامبراطورة تم ان الآريوسية كانت لقوى
كثيرة دخول البرابرة في الامبراطورية وتمذهبهم بهذا المذهب ومعاضدتهم لاساقفته .
فقضى الكاتوليك زهاء مائتي سنة حتى قضوا على هذا المذهب المبتدع .

اواخر ايام الامبراطورية

لما ذبح الجنود احوة قسطنطين وابناء اخته سنة ٣٣٨ املت منهم طفل في السادسة
من عمره اسمه جولين فجعله الامبراطور نسيبه في افاصي آسيا الصغرى ورباه على يد
قسيسين مسيحيين فبعث به هؤلاء الى قبر الشهداء يشتد المرامير ويتلو الكتاب المقدس
امام الشعب ولما شب رخص له بالقدوم الى الاستانة فاشأ يدرس كتب المعاء الروم
وفلاسفتهم واولع باحد الفلاسفة الافلاطونيين فاصرفت نفسه عن البصرانية . واتم دروسه
في آثينا وتعلم فيها اسرار معبد الوزيرس ثم جاهر انه من اشباع الدين القديم علماً واخذ
يحتفل بعبادة الارباب فلقبه المسيحيون بالمرتد .

كان جولين آخر من بقي حياً من الاسرة الامبراطورية واد لم يكن للامبراطور قسطنطين
وارث يرثه غير هذا اجمع امره على ان يلقبه باسم قيصر وبعث به قائداً على جيش عاليا
(٣٥٥) وكانت البرابرة قد هاجمت هذه البلاد وحاصرت عصابة من الالمانيين على مقربة من
مدينة اوتون . واذا لم يكن لجولين حبرة بالحرب انصرفت همته الى درس الفلسفة فصرف
شقاء بطوله في تعلم صناعة الكر والفر واشأ يريض نفسه ويتمرن ويتلو سيرة مشاهيرة الغراء
فلما تم له ذلك حمل على الالمان في جيش صغير من المشاة الرومانيين والفرسان البرابرة
فكشبت له الطفر في الحملة الثانية في سهل بالقرب من مدينة ستراسبورغ وركب اكتاف
الالمان ورجعوا يجتازون نهر الرين (٣٥٧) وقضى جولين في عاليا ثلاث سنين اخرى وجعل
مشتاء في بلدة لوتيس حاضرة الشعب الباريزي وهي منية في جزيرة من جزر السين وكان
يدعوها «لوتيس المحبوبة» وهو اول من وصفها .

وفي هذه المدينة اتاه امر الامبراطور ان يبعث اليه بقسم من جيشه الى الشرق ليقاتل
البارتيين الذين داهموا بلاد الامبراطورية فلم ير الجند ان يتعدوا عن بلادهم الى مثل تلك
القاصية وابوا ان يقاتلوا تم اخذوا جولين ورفعوه على ترس (وكان هذا الاسلوب هو الذي يجري
عليه المحاربون الجرمانيون في مبايعة ملوكهم) وحملوه وهم ينادون «جولين اعسطس» (٣٦٠)
فكتب جولين الى الامبراطور يريد على ان يرتضيه رصيفاً له فابى قسطنطين عليه
ذلك فرحف جولين في جيشه على القسطنطينية وكان قسطنطين قضى نحبه قبل وصوله (٣٦١)
ولما خلا الجو لجولين واصبح امبراطوراً وحده اقام في الشرق وحاول ان يعيد الدين

القديم (الونية) فارجع الى الكهنة املاكهم ومناصبهم واعاد تقديم النذور الارباب بل اصدر امره الى المسيحيين بان يرجعوا المعابد التي كانوا حولوها الى كنائس وانتأ يناهض النصرانية مباشرة واني ان يعين المسيحيين في الوظائف وطرده المعلمين المسيحيين من المدارس قائلاً انه لا يحق لهم ان يدرسوا كتباً يذكر فيها اسم الارباب وهم لا يعتقدون فيها . وسعى الى اعادة الدين القديم الى حاله بان عهد الى الكهنة ان يقرؤا على العامة مواعظ ودروساً دينية الا ان الرمن حانه فساد في حملة على الباربيين وعليهم واصيب بسهم في احدى المعارك . وقيل انه صرح وهو يجود بنفسه «لقد علبت يا عايلي !» القضاء على الونية — لم يقض على دين السوق القديم لاول مرة فقد اهتدى الشرق في الحال اما في الغرب فلم يبق مسيحيون الا في المدن بل ان الامة ظلت هنا أيضاً تعبد الاصنام وذلك لان الامبراطرة الاول المسيحيين لم يريدوا ان يقصوا القضاء الاخير على دين المملكة القديم بل كانوا يحمون القسوس المسيحيين كما يحمون كهنة الارباب يرأسون المحامع الدينية وبقون احباراً عظاماً . وكان الامبراطور فراسين سنة ٣٨٤ اول من اذن ان يلعب بالحر الاعظم واذ عم التسامح في ذاك القرن بدى باضطهاد الدين الروماني منذ عدا عبر رسمي . واطيء الموقد المقدس الذي كان يشتعل في رومية منذ احد عشر قرناً وطردت الكاهنات اللاتي كن في معبد فستا يوقدن النار كما خمدت . واحتفل آخر مرة بالالعب الاولامبية في بلاد يونان سنة ٣٩٤ . وعندئذ خرج النساء في مصر من الصحراء لينقصوا مباح الارباب المرورة ويجعلوا بقاياها في قبور انوبيس وسيرايس . وقام وارسل الاسقف السوري في مقدمة عصاة من الحند والمستعوزين لحرب معبد المستري في اوامية وأتت يوجب البلاد ويحرب المزارات فقتله الفلاحون جعلته الكنيسة من القديسين

ثما هو الا قليل حتى لم يبق عبدة اوتان الا في القرى ياوون اليها فراراً من المراقبة وهم فلاحون ممن بقوا يعبدون الاشجار المقدسة والينابيع ويجمعون في المزارات البعيدة . واخذ المسيحيون يطلقون اسم الوثنيين (الفلاحين) على من كانوا سموهم الى ذاك العهد بالظرفاء وبقي ذاك الاسم يطلق عليهم . وهكذا استتدت الحال على الونية في ايطاليا واليا واسبانيا الى اواخر القرن الرابع وطوي ساطها تحت طي السكوت .

التنظيم الجديد في الامبراطورية

رومية والقسطنطينية — حرب الغرب وقل سكانه في القرن الثالث بما تواتر عليه من الحروب والغارات فاصبح الشرق اليوناني القسم المهم من الامبراطورية . وكان ديوكسين قد تحلى عن رومية وجعل عاصمته في نيكوميديا في آسيا الصغرى . اما قسطنطين فتوسع

في الامر أكثر من ذلك فانتأ رومية جديدة في الشرق وكانت القسطنطينية على رأس من البحر في محل لا يفصل أوربا عن آسيا غير خليج البوسفور الضيق في أرض كثيرة الكروم والغلات وتحت سماء صافية الاديوم واشأ طواري من الروم مدينة بيزانس وكان لها من الآكام ما يجعلها سهلة على الدفاع ومرواً وما المعروف بقرن الذهب من احسن مرافىء العالم يؤوي ١٢٠٠ سفينة ويمكن سده سلسلة طولها ٢٥٠ مترًا ثلاثاً تخطاه اساطيل العدو . فهناك ألتأ قسطنطين مدينته الجديدة القسطنطينية (مدينة قسطنطين) وجعل في اطراف السواراً عالية وانتأ فيها ساحتين اثنتين تحيط بهما الروقة . وانتأوا فيها قصرًا وملعباً ودور تمثيل واقنية وحمامات ومعابد وكنيسة مسيحية

وزع قسطنطين من المدن الأخرى ما كان فيها من التمايل والقوس البارزة المشهورة ليزين بها مدينته ولأجل اسكانها نقل اليها سكان المدن المجاورة بالقوة وقدر مكافآت والقاب تشريف للأسر الأكرى التي ستقل اليها وقرر كما كان الحال في رومية توزيع الخنطة والجمر والريت على الناس وتوفير المتشاهد والفرج لهم فكان تأسيس تلك العاصمة من السرعة العربية على نحو ما يحب القوم في الشرق مدأ العمل بذلك في ٤ تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ٣٢٦ واحتفل بافتتاحها في ١١ ايار (مايو) سنة ٣٣٠ ولكن استت بحيت تبق على الدهر فقد صدرت القسطنطينية على هجمات المهاجمين عشرة قرون و بقيت بمقام عاصمة انداً والمملكة الرومانية ترق ولا تزال الى اليوم اول مدينة في الشرق

ولما ترك الامبراطور رومية لم تعد مقرًا للحكومة وظل فيها مجلس اعيانها وان لم تعد له سلطة و بقيب مزاراتها واحتفالاتها كما بقيت الى اواخر القرن الرابع مركز الحزب الديني القديم . القصر - اخذ الامبراطرة الدين برلوا الشرق في التمود بعاداته (١) وانتأوا يلبسون ياباً ضافية من الحرير والقصب ويجعلون على رؤوسهم تاجاً مرصعاً بالؤلؤ ويتحجبون في قصورهم حيث كانوا يحلون على عرش من ذهب يحف بهم وزراؤهم ويفصلهم عن الناس جمهور من الحشم والخدم والموظفين والحرس . وعلى من ينال شرف الحظوة من (١) كثيراً ما يتولى الامبراطورية انثا احدها في الشرق والاخرى في العرب وان تكن المملكة واحدة . فالامبراطوران وان كان احدهما ينزل الاستانة والاخر ايطاليا كانا يعنيتان بان يكونا كشخص واحد . فكان القوم اذا خاطبوا احدهما يخاطبونه بالجمع فيقولون له انتم كأنتم يخاطبون الامبراطورين كليهما وهكذا انتأ نادة الخطاب بالجمع المفرد لان الناس في القديم كانوا يخاطبون بصيغة المفرد «انت» حتى الملوك والامبراطرة

مواجهتهم ان يسجد امامهم ويمرّع وجهه في الارض علامة العبادة والخضوع ويطأون عليهم القاب «المولى» و«الجلالة» ويماملونهم معاملة الارباب وكل مايمس اشخاصهم مقدس فيقولون القصر المقدس والغرفة المقدسة . ومجلس الامبراطورية المقدس والحزاة المقدسة . فكان عيش الامبراطور في الامبراطورية العربية (ايطاليا) من القرن الاول الى الثالث اشبه بحياة حاكم او قائد ام قصر الامبراطور في الامبراطورية الشرقية (القسطنطينية) فهو اشبه بقصر ملك فارس . وقد أطلق على طريقة الحكم في الامبراطورية الشرقية اسم الامبراطورية الواطئة معارضة لطريقة الحكم السالفة في القرون الثلاثة التي لقبوها بالامبراطورية العلية .

الموظفون — اصبح الموظفون اكثر عدداً مما كانوا ويحبب بالامبراطور جيش صغير من الخاصة يحرسون قصره وهناك حرس وقرنائ ووكلاء وخدم ومجلس عال وحجاب وسعاة وامناء سريقتهم الى اربعة مكاتب . واصبح الموظفون في الولايات اكثر سواداً ايضاً اذ رأى الامبراطور ديوكسين الولايات متسعة فقسمها الى عدة قطع ففي عاليا مثلاً قسم ولاية ليون الى اربع واكيتين الى ثلاث . وبعد ان كان في الامبراطورية ٤٦ والياً اصبح فيها ١١٧ تم وصلوا الوظائف فجعلوا مع الولاة والوكلاء قواداً عسكريين من دوقات وكنيتية في الولايات الواقعة على التجوم .

واصبح جميع الموظفين لا تصلهم اوامر الامبراطور مباشرة فلا يحاطبون الا كبار الموظفين رؤساءهم . فيخضع الولاة لقائدي حرس القصر والموظفون في الاشغال العمومية لحرس المدينة وحياة الاموال الى الكونت الذي يتولى الاعطيات المقدسة . والوكلاء للكونت المشرف على الاملاك والصباط الى موالي الاجناد وجميع موظفي القصر يرجعون الى مولى التشريفات وخدمة القصر الى رئيس العرفة المقدسة . وهو لاء الرؤساء كالوزراء وهذه الطريقة لا يصعب علينا فهمها فقد اعتدنا ان يرى موظفين وقضاة وقواداً وجباة ومهندسين على اختلاف في اعمالهم التي يتولونها ولكل واحد عمله الخاص ويرجع امرهم الى ناظر هو رئيس ديوانه . بل ان عندنا من النظارات اكثر مما في الاستانة . الا ان هذه الاداة الادارية التي ألفناها لانا نعرفها منذ الطفولة ليس فيها التباس ولا خروج عن حد الطبيعة . فقد كانت الامبراطورية الشرقية نموذجاً في هذا الباب واحتفظت به المملكة البيزنطية ومن ذاك العهد حاولت جميع الحكومات المطلقية ان تنسج على منوالها لان في ذلك من التسهيل في العمل ما ينتفع به من يتولون اعمال الحكم .

المتجمع في الامبراطورية الشرقية — كانت هذه الامبراطورية هي الحد الفاصل

في تاريخ الحضارة اجتمعت فيها سلطة الحاكم الروماني المطلقة مع فخمة ملوك الشرق يتألف منها سلطة لم يكن بها عهد الى ذلك العهد . وهذه السلطة التي لم يسمع بثقلها تأتي على كل شيء في يدها فلم يعد سكان الامبراطورية وطيبين رومانيين منذ القرن الرابع بل صاروا يدعون باللاتينية الرعايا (الخاضعون) وبالرومية « العبيد » فكانوا كلهم من تم عبيد الامبراطورية ولكنهم يحتفلون في ان مقام وهم درجات في الشرف الذي يوليهم اياه مولاهم ويورتونه اناءهم واليك تلك المناصب بحسب درجاتها .

- (١) اشرف الاشراف وهم الاسرة الامبراطورية
- (٢) المشاهير وهم وزراء رؤساء الدواوين
- (٣) المعتدرون وهم كبار ارباب المناصب
- (٤) الممعدون وهم كبار الموظفين (ويدعون الاعيان)
- (٥) اهل الكمال

ولكل صاحب شأن مقامه ولقبه ووظائفه . واكثر الناس احتراماً الندماء والموظفون حتى صبح ان يدعى ذاك العهد عهد الالقاب والتشريفات . وما قط شوهه الى اي حد تبلغ السلطة المطلقة اذا دعمها الخنوف في الالقاب والميل الى ترتيب كل امر بالاكثر من القوانين وعليه فقد كانت الامبراطورية الشرقية مثالا تاما لمجتمع يدار بالاآلة الصماء والحكومة فنية في ارادة قيصرها تجاوزت اقصى ما يتطال اليه حتى اليوم انصار السلطة المطلقة وسيكافح بعد اتباع الحرية زمنا طويلا تلك التقاليد التي انقبتها امبراطورية الشرق .

حكومة المدينة — لم يعتن الرومان بحماية اموال الرعايا بانفسهم بل كان الامبراطور يكتفى ببيان الخراج المطلوب من كل ولاية (وذلك كل خمس سنين في الغالب) ويحدده كما يريد . ويعلم الوالي كل مدينة ما يجب عليها ادائه . لحكومة المدينة هي التي تقدم الملح المطلوب . وما دامت المدينة غنية يجبي الوالي حراجها موزعا له بين السكان فاذا عجزوا عن الدفع يهتم على من تولوا الخراج ان يسدوا المحز لانهم مسئولون عن الخراج وحراثة الامبراطورية لاننازل عن حقوقها .

واقدر كان منصب الحماية حتى القرن الثالث مرعونا فيه كانه من أسباب الشرف فيعد الخابي في مدينته كعضو التيوخ في رومية . واذا افتقرت البلاد يعود منصب الحماية من المناصب التي تكسر متوليها فتزهق النفوس في توليها . ورأى الامبراطرة ان يسوا قانونا لعقاب من يأبى جباية الخراج فصار الخابي يتولى ذلك رعم أنه ويجب على كل من يملك خمسة وعشرين فدانا من الارض ان يكون احد الجباة طوعا أو

كرها . وكثير من الحياة كانوا يؤثرون ان يجرحوا عما يملكون من الاراضي ويهربوا ويدخلوا في سلك الرهبنة والخورنة او الاستخدام والخدمة . فأصدر الامبراطرة اوامره بالبحث عن هؤلاء الفارين وان يعادوا الى مدنها بالقوة . وقد جاء في احد القوانين المسماة اسم عبيد الامبراطورية

ومكانت الحكومة تحاول ان تبي محاسن التبوع في المدن على هذه الكيفية واد كانت تخرب بيوتهم يجرأها اصح عدد الحياة اذ في قلة . وكان مجلس التيوخ يتألف على عهد الامبراطورية العربية من مئة عضو . وفي القرن الرابع سبت قن في احدى الولايات وأمر احد الامبراطرة ان يأتيه رؤوس ثلاثة من الحياة من كل مدينة فكتب اليه الوالي « ليسع حلمكم ان يقرر ما الذي يجب ان نعمله في المدينة التي ليس فيها ثلاثة من الحياة »

المستعمرون -- وقع في الامبراطورية الرومانية مثل ما وقع في عامة المجتمعات القديمة مثل اسبارطة ويونان وايطاليا وهوان يصحاح الاحرار ويجلبهم العبيد ولم يبق في القرى ما يكفيها من الخراين . لاحرم ان المدينة الرومانية لم تخرب بل كانت آحدة بالماء . وقد كان عدد الوطنيين في القرن الاول رها . مليون نسمة وفي القرن الثالث ٢١٢ . وقد صدر أمر الامبراطور تمنح جميع سكان الامبراطورية حق الوطنية وصار الوطنيون الرومانيون يعدون بالملايين (١) وسموا بالاحتلال سائر سكان العالم بيد ان الحكم الروماني كان سديا في الاحتلال شعوب المملكة كما احتل به من قبل اهل ايطاليا وكان يقضي له كثير من الخنود وكثير من العبيد

وهذا الحكم يفلج الاعبياء ويصعب على صغار ارباب الاملاك ان يقوموا امام الكبراء مستخدمون في الخدمة او يجربون بيوتهم بأيديهم . ويقضي صاحب الاملاك الواسعة اراضيهم حتى آخر من لم يبق في بعض البلاد غير املاك واسعة يجربها العبيد . وهؤلاء السكان من العبيد لا تجددون فاذا عرض عارض من العوارض المألوفة اذ داك من مثل ونا وحرب وعارة برارة وهلاك جمهور من الخراين في احدى الاملاك تمل الارض بورا

خلت القرى على التدرج ولا سيما ما كان منها على التحوم من الناس ولم يبق سكان الا في المدن بل صار في عدة انحاء من المملكة قفار حقيقية حلت من السكان والعمران

(١) كان سكان المملكة يدعون كلهم بالرومانيين منذ داك العهد ولم يدخل البرارة الى عاليا لم يحدوا فيها عاليا بل رومانيون حتى كان الشعب في الشرق حيث كان السكان يتكلمون اليونانية يدعى الى عهد الفتح العثماني بالشعب الروماني وما رالت الى اليوم بلاد الاستانة تدعى روم الي

ماشأ الامبراطرة يسكنون فيها عصابات من البربر ممن صربوهم وأسروهم ليحيوا بهم
موات تلك القرى . الا ان هؤلاء البرابرة لا يملكون الاراضي بل يستعمرونها فقط مثل
الهيلوثيين في اسبارطة ويقصى عليهم ان يبقوا في الارض التي أرسلوا فيها لا يفارقونها ولا
اولادهم بحال يؤدون الى صاحب الارض مالا مقررا من ثم كانوا مستأجرين الى الابد
بالقوة . وليس هذا النظام جديدا بل كان في ايطاليا على عهد الامبراطورية الشرقية
أناس من الطواريء من الاحرار الفقراء قيدوا انفسهم في خدمة صاحب ملك عظيم
لينالوا منه أرضا يررعونها . وراد سواد هؤلاء الطواريء زيادة كثرى لما صمموا اليهم
الاسرى من البربر

وهذه الطريقة الشديدة لم تكف في احياء امة لان اولئك الحرايين كانوا يفرون
او يهلكون وفي القرن الخامس بعد مرور الحيتوش العظمى من المحربين (دا كير واتيلا)
كان في اراضي المملكة فراخ كثير تعذر على الامبراطرة ان يسدوه . وبقي في غالبا
وا. بانيا وايطاليا وفي العرب كله حيز من الاراضي بورا اقلية العاملين فيها واقمرت ولايات
التحوم وقد اصحح الشعب الروماني في جميع حوض الطونة من سويسرا الى البلقان منذ
القرن السادس فلم يكن في تلك البلاد الا اثم حرمانية او سلافية . حتى ان افرك لم
يجدوا في الملحيك غير قفر .

الدرارة في الجيش الروماني — هذه الاراضي الحالية تستدعي سكانا جديدا وكان
الدرارة يحاولون على الدوام ان تحطوها وما دام للحكومة الرومانية بعض جيش لا يصعب
عليها ان تردهم على اعتاقهم . الا ان الامر في التحميد صار الى الصعوبة كايحاد المال . وألف
سكان الامبراطورية حياة السكون ولم يعودوا يهتمون بخدمه الحدية . حتى اضطرت
الحكومة ان تطلب حندا من كبار ارباب الاملاك فبأحد هؤلاء بعض الطواريء الذين
يعملون في اراضيهم وكان هؤلاء المساكين المأخوذين بالقوة من وراء محاريبهم حندا
غير كفوف للقتال . وعدت الحدود منذ القرن الرابع من الصعف بحيث لا تستطيع حمل
الدروع واستعاضت عن الحدود القمعات

واصبح القواد يؤثرون ان يستعملوا الفخاريين من البربر لانهم يقاتلون بشدة على الاقل
وقد جندت الامبراطورية في خدمتها مدد من حدودا من الجرمايين يتناولون جرايات
ويقاتلون بأسلحتهم وكان اكثرهم من الفرسان واحد امبراطرة الرومان في القرن الرابع
يحمدون منهم عصابات برمتها يدلون مع سائهم واولادهم وخدمهم في اراض يهبونهم اياها
على سبيل الجراية . ويحتفظ هؤلاء الفخاريون انارلون في ارض رومانية بلغتهم وعاداتهم

وسلاحهم وزعمائهم ويدعون «المخالفين» وبلغ بالامبراطور انه اخذ يقبل منهم في جيشه
تعبوياً برمتها مثل الوز يغوت والبور عند وكانوا اجتازوا القحوم بالقوة احياناً ثم آثروا ان
يكونوا في خدمته على ان يقاتلوه . فأصحت ادراك جهوش رومانية مؤلفة من شعوب بربرية
يقودها قائد بربري . ولقد كان الجيش الروماني الذي رد غارة اتيللا سنة ٤٥١ مؤلفاً من
الوريغوت والفرنك والبورتمند وصار كثير من القواد الرومان منذ القرن الرابع (سيلفانوس
وار يوكاست) ومعهطهم في القرن الخامس (مثل ستياكون ورسمير وادواكر) من اصل بربري
ولم تعد الامبراطورية الرومانية محمية الا بأناس من المحاربين من الدارورة فاحتملها بعد انشاء جنسهم



To: www.al-mostafa.com